

**THE BOOK WAS
DRENCHED**

UNIVERSAL
LIBRARY

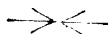
OU_190262

UNIVERSAL
LIBRARY

تاريخ الحضارة

تأليف

المسيو شارل سنيو بوس
أحد أماندة كلية السوربون في باريس



لغريب

محمد كرد علي

مكتبة المقتبس

إدارة مطبعة الظاهر بالقاهرة

تاريخ الحضارة

تأليف

المسيو شارل ساموبوس

أحد أستاذة كلمة السوربون في باريس

• ١ د. برنت

• ٨ برنت

• ٦ س. ب.

• ١١ -



لعراب

محمد كرد علي

مفتي - المفتس

ادارة مطبعة الطاهر بالقاهرة

جملة للمعرب

بسم الله وبه تقى

هذا هو الجزء الاول من تاريخ الحصار لمؤلفه العلامة المسيو -مارل سيونوس أحد اسادة كلية الدوربون -ماريز شرح فيه الحصار التي أرتأ كل أمة من الأمم مد عرف التاريخ الى يومنا هذا . وفي هذا جزء كلام موحى على الشعوب الشرقية القديمة كالمصريين والعبيقيين والبابليين والاشوريين والفرس واليهود وكلام مطول على مدنيه اليونان والرومان صنف المؤلف مؤثر من الكتب حتى كتب كتابه ثمانية اربعة ورايت وتوحي الايجاز والسهولة في معظم مصنفه وبلغ في حسن تسيقه وتجويد اسوه ورايت ان اقله من الافراسية ال عربية ليجمع نفعه لها وتفي في هذا الترقى كما تفي في العرب والله اعلم ان ينفع به ومن بالمؤتيق ان يعرب اخرين الاخرين من الكتب وهو في الهداية الفهرة في ٢٤ شعبان سنة ١٣٦٦ او ٢ شعبان سنة ١٣٦٧

البشر والشعوب

علم خصوصيات الشعوب — يعمر الارض ناس قلما يتشابهون ،
يختلفون بالطول وهيئة الاعضاء والرأس وسياء الوجه ولون العيون والشعور
ويتباينون باللغات والذكاء والاحساس . وبهذا النمايز ينقسم سكان المعمور
الى عدة أقوام تدعى أجناساً . فالجنس مجموع ناس يتماثلون ويباينون جنساً
آخر وما يمتاز به جنس عن غيره من العلامات العامة ويسمى طبائع وأخلاقاً
هو الذي يتألف منه مجموع خواصه . فيعرف الجنس الزنجي مثلاً بجلد
أسود، وشعور مجعدة، واسنان بيضاء، وأنف أفطس، وشفاه خشن، وفك
ضخم . ويدعى درس احوال الاجناس وما يتشعب عنها « ايتنوغرافيا »
أي علم خصوصيات الشعوب . وهو علم لم يرتق بعد لحداثة وضعه وما برح
مشوشاً منتشراً لكثرة مجموع خواص البشر وصعوبة التميز بينها احياناً .
الاجناس — أخص الاجناس الجنس الابيض وهو يسكن أوروبا وشمال إفريقيا
وغربي آسيا . والجنس الاصفر ينزل في آسيا الشرقية ومنه الصينيون والمغول
والبرك والمجر . ومن دخل أوروبا منهم من الفاتحين فبشرته صفراء وعيونه
خرز مقطبة ووجنانه ناثثة ولحينه خفيفة . والجنس الاسود يقطن أواسط
إفريقية وهم الممتازون باديم اسود وأنف أفطس ووفرة كالصوف . والجنس
الاحمر يستوطن أميركا ومنهم هنود تلك القارة حمر الاديم سبط الشعور

الشعوب المتحضرة — يُعدُّ أهل الجنس الابيض من المتحضرين
الا قليلا أما سائر الاجناس فقد ظلوا على حالة الهمجية والبربرية كما كان الناس
قبل زمن التاريخ . فامت الشعوب المتمدنة على تخوم قارتي آسيا وإفريقية فقام

المصريون في وادي النيل والكلدان في سهل الفرات . وكلهم أهل فلح وحرث أنشأوا الإقامة وجنحوا للسلم . أديهم مشبع ، وشعرهم قصير أنيث ، وشفاههم مبرطمة ، ولا يعلم على التحقيق من أين منبعمهم . ولم تتفق آراء العلماء على تسميتهم فيدعوهم تارة كوشيين وأخرى ساميين . وقد انسلت من جبال آسيا بين القرن العشرين والخامس والعشرين ق . م عصابات من الرعاة أهل غارة وزمهاء فنة فانشروا في أطراف أوربا كافة وفي غرب آسيا . ويتسمهم العلماء الى قسمين آرين وساميين .

الآريون والساميون - ايس بين هذين الجنسيتين من علامة خارجية جليلة فكلاهما من الجنس الابيض : اهلجية سحناتهم ، متناسبة أعضاؤهم ، صافية جلودهم ، أنينة شعورهم ، أنجل عيونهم ، رقيقة شفاههم ، منتصبه أرنبتهم ، وهم في الاصل رعاة من سكان الجبال يألفون الارتحال والقتال . ساميهم من أرمينية ، وآريهم من وراء جبال حملايا ، وهم يمتازون بالعقل واللسان خاصة امتيازهم بالديانة قديماً . وقد وقع الانفاق على تسمية الشعوب التي تتكلم لغة آرية بالآرين وهم الهنود والدرس في آسيا . والروم والطيان والاسبان والجرمان والسكنداونون والسلافون (الروس والبولونيون والصرب) والسلت (١) في أوربا . والساميون هم الشعوب التي تتكلم لغة سامية وهم العرب واليهود والسوربون ومما ينبغي ان يعلم ان بعض الشعوب تتكلم اية آرية او سامية وليست من الآرين والساميين في شيء كما ان الزنجي قد يتكلم الانكليزية وليس فيه عرق من الانكليز . وربما عددنا كثيراً من الاوريين في مصاف الآرين وليست اصولهم في الواقع الامن

جنس غلب عليه الآريون فاقبس لغاتهم على نحو ما اقتبس الفرس لغة العرب أيام غلبوهم على أمرهم فهذا الاسمان الآريّ والسامي يطلنان اليوم على فريقين من الشعوب وإيسا جنسين حقيقيين . ولا بأس ان يقال بناء على هذا المعنى ان الشعوب المرنفية كانت كلها سامية وآرية فنتسأ من الساميين الفينيقيون رجال البحار واليهود رجال الدين والعرب رجال الحرب . ففسار فريق من الآريين الى الهندواذصر فآخر الى اوربا فنشأت منهم تلك الامم التي كانت ولا تزال في مقدمة العالم . واقدامتاز الهنود في القديم بأرائهم العالية الفلسفية او الدينية واليونان بإيجاد الصنائع والعلم والفرس والرومان بتأسيسهم في الشرق والغرب مملكتين عظيمتين من اضخم الممالك التي نشأت في الايام الخالية

ويبدأ تاريخ الحضارة بالمصريين والكلدانيين حتى اذا كان القرن الخامس والعشرون للميلاد يصير عبارة عن تاريخ الشعوب الآرية والسامية

التاريخ

الاساطير — نقلت أساطير الاواين عن روايات متسلسلة ظالماتحدث الناس بها قبل ان يدونوها لذلك تراها مشوبة بحكايات وخرافات . فتحدث اليونان ان أقدم أبطالهم أبادوا الغيلان وفالموا الجبارة وكافحوا الآلهة وزعم الرومان ان روماس ربه ذئبة ورفع الى السماء وقص جماع الشعوب عن طفوليتهم اساطير من هذا القبيل لانهة بها عند التمهيص مهماقدم عهدها التاريخ — يبدأ التاريخ حقيقة لدن وجود اخبار صحيحة دونها اهل ثقة وتلو سماع . وليس هذا الدور واحداً في الكلام على الامم كلها فتاريخ مصر يبدأ قبل ثلاثة آلاف سنة ق . م وتاريخ اليونان يكاد لا يتعدى

الثمانمائة سنة ق . م وليس لالمانيا تاريخ يعرف الا في القرن الاول
للميلاد ويعرف تاريخ روسيا منذ القرن الماشر وليس لبعض القبائل المتوحشة
الى اليوم تاريخ في نشأتها

تقسيم التاريخ الكبيرة — يبدأ تاريخ الحضارة باقدم شعب متعدد
وينتهي بامنا بمعنى القرون الماضية الدور العريق في القدم جداً ومعنى القرون
الحديثة الدور الذي نحن فيه

التاريخ القديم — يبدأ التاريخ القديم بالامم القديمة المعروفة من
المصريين والكلدانيين أي من نحو ثلاثة آلاف سنة ق . م ولعم شعوب
الشرق من هنود وفرس وفينيقيين ويهود ويونان ورومان وينتهي حوالى
القرن الخامس ب . م بسقوط المملكة الرومانية

التاريخ الحديث — يبدأ التاريخ الحديث باواخر القرن الخامس عشر
زمان اختراع الطباعة واكتشاف اميركا وبلاد الهندونضة العلوم والصنائع
ويلم بذكر شعوب الغرب خاصة من اسبان واطليان وفرنسيس والمان
وروس وأميركان .

القرون الوسطى — هي عبارة عن عشرة قرون مضت بين القرون
القديمة والحديثة الا هي قديمة لما اعتور الحضارة القديمة من الاضمحلال ولا
هي حديثة لان التمدن الحديث لم يتكون بعد . وهذا ما يدعى بالجيل المتوسط .
مصادر تاريخ الحضارة القديمة — ليس في الوجود اليوم اشوريون ولا
يونان ولا رومان فقد بادت الشعوب القديمة كافة وما خلّوه من العاديات
هي فهرست نستنتجها للبحث عن اديانهم وأخلاقهم وصنائعهم . والعاديات
هي الكتب والرسوم والآثار واللغات . هذه عدتنا في دراسة الحضارة

القديمة وهي تدعى مصادر لاننا نستقي منها معلوماتنا . والتاريخ القديم يتفرع من هذه الاصول .

الكتب — وضع القدماء الكتب أيام عرفوا الكتابة فكان لبعضهم مثل الفرس واليهود والهنود كتب مقدسة وخلف الرومان واليونان تواريخ وقصائد وخطباً ومقالات فلسفية . وقلما نجد في الكتب المواد اللازمة لمباحثنا اذ ليس لدينا كتاب اشوري ولا فينيقي أما ما بقي من أسفار الشعوب الأخرى فتافه جداً . ولقد كان القدماء يكتبون ولكن أقل منا ولذلك كانت نأليفهم اندر ولم يكن لهم من كل مصنف إلا نسخ قليلة لما ان الحال كانت تقضي باستنساخها كلها باليد وقد دثر غالب هذه النسخ أوضاع أو تعذرت قراءة ما بقي منه ويسمى علم حلها «باليوغرافيا» أي علم الخطوط والكتابات القديمة .

المعاهد — أقامت الشعوب القديمة لانفسها معاهد مثلنا من مثل معابد لارباهوا وقصور الموكها وقبور لموتاهما وقلاع وجسور وقنوات وأقواس نصر . ولقد تهدم كثير من هذه المعاهد واستؤصل وتجزأ بيد العدو أو بيد سكان البلاد ومنها ما لم تقو الغير على تقويض دعائمه وما فتئت ماثلة للعيان متداعية مثل القصور العتيقة لا تنقطع الايدي عن تعديدها . وقد بقيت بقية يعلم منها ما كانت عليه سالفاً . وما زال بعض هذه المعاهد فوق التراب كألاهرام في مصر ومعابد ثيبة وجزيرة فيلا وقصور البرسبوليس في فارس والبارتينون في اليونان والسكوليزة في رومية والبيت المربع وجسر الحرس في فرنسا . وان السائح ليهدهنا لينظر الى هذه الآثار نظره لاثر حديث . وقد ردم أغلب هذه المعاهد على التدرج بتراب أو رمل أو فتات أرضية وانقاض فينبغي

تخليصها من هذا الساف الكثيف أو حفر أرضها وكثيراً ما تكون عمقة للغاية . ولم يعثر على القصور الاشورية الا بنخرق آكام وتلال . وقد حفرت حفرة عمقتها عشر متراً للوصول الى قبور ملوك ميسينا

وبعد فان عفاء هذه الخرائب لم يكن بصنع الدهر وحده فللبشر اليد الطولى في ذلك . ولم يكن القدماء ليتعبون مثلنا في التقدير والقياس لاقامة البناء . وما عنوا بنزع الردم من أماكنه بل كانوا يركون الانقاض ويبنون عليها ولا ينزعونها حتى اذا أشرف البناء الجديد على السقوط تنضم انقاضه الى اطلال اخواتها القديمة وهكذا تتألف طبقات عديدة من الانقاض . وقد جاز أحد السياح المدعو شيلمان بحفرة في مكان مدينة تروادة خمس طبقات من الاطلال اذ كان ثمت خمس مدن خربة كلها واعنتها على عمق خمسة عشر متراً . وما برحوا يعثرون في رومية في الاحابن على ثلاث بنايات منضدة بعضها فوق بعض وقد تراكت عليها الاطلال فعلا التراب في سفح النلال بضعة أمتار

بقيت مدينة بومبها لم تمسها طوارف الحداث وذلك بحادث طبيعي جرى عام ٧٩ للمسيح وهو ان بركان فيزوف في ايطاليا قذف سيلاً من الحمم مائعة أمطرت رماداً فانكشنت للحال مدينان رومانيان كانتا مدفونتين وهما هيركولانوم وپومبيه . كانت الاولى تحت الحمم السائلة والثانية تحت الرماد . وقد أحرقت الحمم المتاع وغشاها الرماد وحفظها من الهواء فبقيت سالمة . وكلما أزيح الرماد تظهر مدينة پومبيه للاعين على نحو ما كانت عليه منذ ثمانية عشر قرناً . وانك لتري في بلاطها بعد مجرات العجلات وآثار سير المركبات وصوراً خُطت بالزعم في الحيطان ونقشاً وأثاثاً وماعوناً

وخبزا وجوزا وزيتونا في الدور والمساكن وهياكل عظام من دهمتهم الكارثة مبعثرة مبددة. وبهذا عرف القاري ان الآثار والمعاهد تفيدنا كثيرا في الوقوف على حالة الشعوب القديمة. ويدعى علم الازمنة القديمة «أركيولوجيا» الرسوم — نغني بالرسوم كل ما يشمل الخطوط عدا الكتب فمعظم الرسوم زبرت على الحجر وحفر بعضها في صنائع من القلز ووجد منها في مدينة بومبيه مازبر على الجدران بالاصباغ أو بالنحج. وان بعض هذه الرسوم لتمثل تذكارات وفائض أو رجال كما هو جار الآن عند الافرنج فيما يقيمونه من تماثيلهم وبنياتهم. هكذا نرى الامبراطور اغسطس دون حياته على معبد انسير ومعظم هذه الرسوم عبارة عن كتابات زبرت على القبور ويمائل بعضها الاعلانات لمهدنا فتحتوي على قانون أو نظام تراد إداعته بين القوم. ويدعى علم الرسوم «إيكرافيا»

اللغات — تفيد اللغات التي نطقت بها الشعوب القديمة في بيان تاريخهم فاذا فهم الباحث كلمات من لغتين مختلفتين ينجلي له أحيانا أن أصل هذين اللسانين واحد ويسجل بان الشعوب التي تتكلم بها خرجت من نبعة واحدة. ويدعى علم اللغات «اينكستيك»

النواقص — لا يذهبن ذاهب الى ان السكيب والمعاهد والاطلال واللغات نكفي للاحاطة بتاريخ القرون السالفة فان فيها تفاصيل حجة يمكن الاستغناء عنها وما ترغب نفوس الباحثين في استبطان حقيقته قد يعز عليها ويفر منها. وما برح العلماء يحفرون ويحلمون ويظفرون كل يوم باطلال ومعاهد لم تعرف من قبل وقد بقيت مع هذا نواقص وسيبقى كذلك أبد الدهر

مصر

بلادها - مصر عبارة عن وادي النيل وهي في مضطرب ضيق خصب
ممتد على ضفتي النهر بين سلسلتين من الصخور طولها ٢٤٠ فرسخاً ويكاد
عرضها لا يتجاوز خمسة فراسخ وعند منقطع الصخور تبدأ الدلتا . وهناك
سهل واسع تتخلله شعب النيل وترعه . فمصر كما قال هيردوتس أبو التاريخ
هبة من النيل .

النيل - يزخر النيل كل سنة في الانقلاب الصيفي بمعارات ثلوج بلاد
الحبشة فيفيض على أراضي مصر العطشى يرتفع ثمانية أمتار وأحياناً عشرة
فتصبح البلاد كالبحيرة وتبرز القرى المشيدة على الآكام كأنها جزيرات ثم
تنخفض المياه في أيلول (سبتمبر) ويعود النهر في كانون الأول (ديسمبر) الى مجراه
الاصلي وقد ترك في كل مكان طبقة من الطين خصبة وهي الاءلر وتسمى
الطمي . هذه الرواسب تقوم مقام السماد ويكاد يزرع في التربة الدية بدون
حرث . فالنيل اذا يأتي مصر بالماء والتربة واذا تحول عنها تعود مصر كالبلاد المحيطة
بها قاعاً صفصفاً، ورمالاً مجذبة، ما امطرتها السماء وابلاولا رذاذاً . ولم يجهل
المصريون فيما مضى ما يجود به نيلهم من الخيرات الحسان وهاك نشيداً كانوا
ينشدونه تظيماً له : « سلام عليك أيها النيل أنت الذي تجلي على هذه
الارض وتأتي بسلام فتحي موت مصر . أنت اذا انجلت تملأ الارض
طرباً ، والقلوب بشراً ، فينال كل مخلوق قوته ، وكل سن ماتقضمه ، رحمك
انك تأتي بالارزاق الطيبة وتنتج كل خير ومير وتنبث للبهائم مرعاها

غنى هذه البلاد - مصر على التحقيق واحة في قفر إفريقية تبت تربتها البر والفول والعس وأنواع البقل . والنخيل فيها عابات وآجام . وفي تلك المروج التي يرويها النيل بمائه ترعى قطعان الغنم والثيران والعز والاوز وتكاد مساحتها تساوي بلاد البلجيك (٢٩٤٠٠ كيلو متر مربع) ومصر اليوم تقوم بأود ١١ مليوناً (١) من السكان وهي نسبة لاتعهد في أوربا على ان مصر كانت آهلة بالسكان قديماً أكثر منها اليوم

روابات هيرودتس - عرف اليونان مصر أحسن من مرقهم سائر الممالك الشرقية فزارها هيرودتس أبو التاريخ في القرن الخامس ق . م ووصف في تاريخه فيضان النيل واخلاق السكان وازياءهم ودينهم وذكر حوادث من تاريخهم وحكايات لقنها من أدلائه . ونكلم ديودور وسترابون على مصر أيضاً . بيد ان كل من ذكروها رأوها في انحطاط فلم يتيسر لهم ان يعرفوا شيئاً عن قدماء المصريين .

شامبوليون - دعت حملة الفرنسييس على مصر (١٧٩٨ - ١٨٠١) الى فتح أبواب الديار المصرية للعلماء فهرعوا اليها نزورون الاهرام وخرائب ثيبة عن أمم ويعودون منها وفد حنل وطابهم بالصور والآثار . ولم يكن لاحد ان يحل الخط المصري المسمى بالهيروغلفي . وتوهم الناس ان كل خط من هذ الكتابة يقوم مقام كلمة حتى اذا كان عام ١٨٢١ خالفهم شامبوليون احد علماء الفرنسييس وعمد الى طريقة أخرى وجاء أحد الضباط من رشيد بأثرذي خطوط ثلاثة كانت الخطوط الهيروغليفية المسطورة بها مترجمة الى الرومية . وهذا الاثر يمثل الملك بطليموس محاطاً بدائرة . فتوصل

(١) في الاصل زهاء خمسة ملايين نسمة ونصف مليون

شامبوليون بهذا الاسم الى الاطلاع على حروف PTOLMIS ولدى
مقابلتها باسماء ملوك آخر وكانت ايضا محاطة بدائرة اكتشف حروف
الحجاء . ولما تيسرت له قراءة الخطوط الهيروغليفية ظهر له انها كتبت
بلغة تشبه القبطية وهي اللغة التي شاعت بمصر على عهد الرومان وعرفت
حق معرفتها .

علماء الآثار المصرية - جاء بعد شامبوليون زمرة من العلماء توفروا
على دراسة أحوال مصر واكتشاف جايها وخفيها وتدعى هذه الفئة من
العلماء اجبتولوك أي المشتغلون بالآثار المصرية ولهم رصفاء في ممالك أوروبا
كافة . وقد أجرى ماريت (١٨٢١ - ١٨٨١) من المشتغلين بالآثار المصرية
على نفقة خديوي مصر . ما يقتضي من الحفريات وأحدث متحف بولاق .
وانشأت فرنسا في القاهرة مدرسة لتعليم الآثار المصرية ناطت ادارتها
بالمسيو ماسيرو .

الاكتشافات الحديثة - لا يعثر في بلد من بلدان الارض على خبايا
ثمينة كنجابا مصر ودفائها لان المصريين كانوا يبنون قبورهم أشبه بدور
يضعون فيها ما يقتضي للميت من ضرور الامتعة والاثاث والرياش والسلاح
والطعام وقد غصت البلاد بالقبور الطافحة بهذه الذخائر والاعلاق .
وساعد اقليم مصر الجاف الهواء على حفظ هذه الامتعة سالمة بعد مضي
اربعة او خمسة آلاف سنة . فلم يترك شعب من الشعوب القديمة أثراً
كآثار قدماء المصريين وما عرفنا شعباً معرفتنا له .

المملكة المصرية

قدم الشعب المصري - قال كاهن مصري لهيرودتس : انتم معاشر اليونان اطفال . كلام يفهم منه ان المصريين كانوا يرون انفسهم أقدم أمم العالم فقد قامت ست وعشرون سلالة ملكية الى عهد الفتح الفارسي سنة ٥٢٠ ق . م ترتقي أولها الى أربعة آلاف سنة . وكانت مصر دولة في خلال هذه الاربعين قرناً فجعلت منفيس في بلاد الصعيد عاصمتها اولاً الى عهد السلالة العاشرة (وهو دور الدولة القديمة) ثم صارت مدينة ثيبة في مصر العليا (وهو دور الدولة الحديثة)

منفيس والاهرام - بنى مدينة منفيس أول من ملك مصر وسورها بسور منيع فبقيت سالمة من بوائق الايام زهاء خمسة آلاف سنة ثم أخذ السكان أحجار انقاضها في القرن الثالث نشر وبنوا بها مساكن القاهرة وما تركوه منها أنى عليه النبل وسدل دونه حجاباً أما الأهرام فلا تبعد كثيراً عن منفيس ويرد عهدا أيضاً الى الدور القديم وهي قبور ثلاثة ملوك من السلالة الرابعة وعلو اعظمها ١٤٧ مترًا عمل في بنائه مئة الف عامل مدة ثلاثين سنة . وقد اقيمت سدود منحدره قليلاً لرفع الاحجار الى شاهق ثم خربت المدن المصري - يدل ما يستخرج من قبور تلك العصر من هياكل وصور وأدوات على أن هناك شعباً متمدناً . فقد عرف المصريون قبل ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة للميلاد حراثة الارض ونسج الثياب وتطريق المعادن والنقش والرسم والخط وكانت لهم ديانة منظمة وملك وادارة . على حين كانت الامم النبيهة وهم الهنود والفرس واليهود واليونان والرومان في

حالة من الحمجية مأثورة مذكورة .

ثيبة - خلفت ثيبة مدينة منفيس فصارت عاصمة البلاد على عهد السلالة الحادية عشرة ولم تزل خرائبها المدهشة في لوح الوجود وهي ممتدة على ضفتي النيل ومحيطها نحو اثني عشر كيلو متراً . وعلى الشاطئ الشمالي صف من القصور وهي اقصر والكرنك تبعد بمضباعن بعض نصف ساعة بنيت كلتاهما وسط الخرائب وبجمع بينهما شارع ذو صفتين من تماثيل أبي الهول وكان هناك قديماً أكثر من ألف أبي الهول . وأعظم هذه المعابد الخربة معبد عمون في الكرنك أحيط به سور محيطه ٢٣٠٠ متر . وان طول اشهر قصر (ايسوستيل) وأعظمه في العالم مئة و متران وعمقه ٥٢ متراً وهو حجم عمود فاندوم . وكانت ثيبة عاصمة ومدينة مقدسة ومقر الملوك ومسكن الكهنة نحو ألف وخمسمائة سنة

فرعون - يعتبر ملك مصر المعروف بفرعون ابن رب الشمس ومثاله على الارض وزعمون انه كان هوربا . وقد شوهدت صورة الملك رعمسيس الثاني جالساً بين ملكين . فالملك يتعبد انساناً ويعبد ملكاً . وفرعون ساطة مطلقة على البشر لربوبيته فحكم حكم المولى على كبار سادات عصره وعلى المقاتلة ورعاياه كافة والكهنة في عبادتهم إياه يلبثون من حوله ويخرسونه فيكون رئيسهم الكاهن الاعظم للرب عمون المسأثر بالهول والطول دونه وقد يحكم باسم الملك ويخلفه في الاحاين

الرعايا - يملك مصر من أعلاها الى أسفلها الملك والكهنة والجنود والموالي وما عداهم فوصفاء يستخدمونهم في حرب الارض وعمال الملك يلاحظونهم ويقبضون ثمار عملهم بضرب المعني أحياناً واليك ما كتبه

أحد هؤلاء الموظفين الى صديق له : ألا تذكر حالة الفلاح الذي يحرق الأرض فان جابي الاموال يقف على الرصيف المعد لجباية عشر الغلات وثلة من العمال بمصيدهم يتبعونه وزنوج ماسكون بأيديهم سعفات النخل يصرخون بصوت واحد . البدار البدار الى تسليم الجبوب . واذا لم يكن للفلاح ما يؤديه من الغلات يلقونه على الأرض ويشدون وثاقه ويجرونه في التربة رأسه الى تحت وقدماه الى فوق

كيفية حكم مصر كان الشعب المصري أبداً ولم يزل بعد فرحا لا يهتم خاضعاً خانماً أشبه بالطفل المستسلم الى ظالمه . وكانت العصافي هذه البلاد أداة التربية والحكومة حتى كان أعوان الملك يقولون : (خلق ظهر الفتى ليضرب فهو لا يمتثل الأمر الا اذا ضرب) ذكر أحد سياح الفرنسيين انه كان واقفاً ذات يوم أمام خرائب ميدة فهتف قائلاً : ليت شعري كيف بنوا كل هذا . فاستنضحك دليلاً وقال ماسكاً بيده مشيراً الى نخلة : « بهذه بنوا هذا اجمع » اعلم يا مولاي انه اذا كسرت مئة ألف سعفة من سعف النخل على ظهر من اكسافهم عربانه أبداً تبني قصور كثيرة ومعابد اعزال المصريين - فلما خرج المصريون من بلادهم لما انهم حاذروا ركوب البحر ولذلك لم تكن لهم ملاحه وما اتجروا والشعوب الاخرى ولم تعرف لهم بحرية الا على عهد الدولة السادسة والعشرين وما كانوا أمة حربية قط . ولقد قاد ملوكهم الجند في حروبهم واتخذوا القتال ديدنهم فبعثوا البعوث الى زنوج الحبش نارة والى القبائل السورية أخرى فاذا غلبوا صوروا صورة النصر على جدران قصورهم ومتى قتلوا راجعين من غزاتهم يأتون

بالاسارى فيستخدمونهم في بناء المعاهد على انهم ما حرزوا قط نصراً مؤزراً
ولا فتحوا فتحاً مبيناً فدهم الاغيار مصر اكثر مما حمل المصريون على الاغيار

ديانة المصريين

يقول هيرودتس ان المصريين من أشد البشر تديناً ولا يعرف شعب
بلغ في التقوى درجتهم فيها فان صورهم بجملتها تمثل ناساً يصلون أمام رب
وكتبهم على الجملة أسفار عبادة وتنسك .

الارباب المصرية — رب الشمس رأس الارباب (الالهة) عندهم
وهو الخالق المحسن العليم الكائن منذ البدء له امرأة وابن عريقان مثله في
الربوبية وكان المصريون يتعبدون بهذا التثليث الذي تختلف اسماءه وان
اتحدث مسمياته فكان اهل كل إقليم يسمي كلاً من هذه الاسماء الثلاثة باسم
يختلف عن الآخر . ففي منفيس سمي الاب فتاح والام سيخت والابن
ايموتس وفي أبيدوس سموها أوزيريس ، ايريس ، وهوروس ، وفي ثيبة
عمون ، وموت ، وشونس . ثم اختار اهل كل إقليم أرباب الاقاليم الأخرى
وقد يشتقون من كل رب تثليث أرباب أخرى وهكذا تعدد الارباب
وتشوش الدين

اوزريس — لهذه الارباب تاريخ وهو تاريخ الشمس فكان ذلك الكوكب
يتراءى للمصريين كما يتراءى لغالب الشعوب الاصلية انه أقدم الخلقوات
وبعبارة أخرى انه من الارباب فاوزيريس أي الشمس قتلها سيت رب الليل
وايزيس القمر امرأته تبكيه وتدفنه وهوروس ابنه الشمس الساطعة يأخذ
ناره قاتلاً قاتله

عمون را — هو رب ثيبة عندهم صور مجتازاً السماء كل يوم في قارب

وأرواح الموتى تقذف به بمجازيف طويلة فالرب يقف في المقدم مستعداً لضرب العدو برمح. وهالك النشيد الذي كان يتغنى به تعظيماً له. «السلام عليك انت تهب محسناً انت تهب صادقاً يا مولى الاقنين انت تطوف السماء من عل وأعداؤك هالكون. السماء في أنس والارض في فرح والارباب والناس في عيد وكلها اجتمعت لتمد «را» يشاهدونه في قاربه وقد كسر العدى . يارا هب فرعون حياة طيبة وامنحه ما يقوته من خنز ويرويه من ماء وطيب شعره وعطره اردانه .»

أرباب رأسها رأس حيوان — مثل المصريون أربابهم في صورة آدمية تارة وعلى مثال البهيمة أخرى . ولكل رب حيوانه فيتجسد قحاح في الجمل . وهوروس في الباشق . وازوريس في النور . وتختلط الصورتان طوراً في انسان رأسه رأس حيوان او في حيوان رأسه رأس انسان . ولرب عندهم أن يكون ذا أربع صور وأشكال فيكون هوروس مثلاً باشقاً او انساناً برأس باشق أو باشق برأس انسان

حيوانات مقدسة — لا يعلم لماذا كان يعنى المصريون بهذه الاشارة من اتخاذ الحيوانات التي تشبه الارباب مقدسة مباركة مثل الثور والجمل وايبس (طائر طويل الرجل) والباشق والقط والتمساح فيتوفرون على إطعامهم وحمايتهم . فقد قتل أحد الرومانيين في القرن الاول قبل الميلاد قطاً في الاسكندرية فثار الشعب وقبض عليه فذبجوه رغم ارادة الملك وسفاعة فيه فعلوا ذلك علي حين يرهب المصريون بأس الرومانيين كثيراً وكان المصريين رب يعبدونه في كل معبد وقد قص سترابون كيفية زيارته تمساحاً مقدساً في ثيبة فقال : كان هذ الحيوان رابضاً على شط غدير فاقترب منه الكهنة

وتقدم اثنان منهم ففتحا فيه وجاء ثالث وحشاه حلويات وسكب كعكاً مشوباً
وشراباً من عسل مصفى

الثور ايسيس — اجل هذه الحيوانات المربوبة او المؤلفة الثور ايسيس فانه
كان يمثل اوزيريس وفتح معاً ويعيش في منفيس في مصلى له يخدمه الكهنة
فيه حتى اذا مات هذا الثور يكون حاله حال اوزيريس (رب الشمس)
فيجنط وتجعل مومياءه في ناووس اما قبر اوسارهابي فهو من المعاهد الهائلة
وقد فتح ماريت الفرنساوي مقبرة السرايوم عام ١٨٥١

عبادة الموتى — عبد المصريون أيضاً أرواح الموتى ويظهر انهم كانوا
يعتقدون أولاً ان لكل انسان قريناً (كا) فاذا مات يخلفه قرينه في حياته
وهو اعتقاد اعتقدمه كثير من الشعوب المتوحشة وكان القبر المصري يدعى
قديمًا « بيت القرين » وهو عبارة عن مكان منخفض منظم كالغرفة يزين من
اجل القرين بضروب الآثار من كراسي ومناضد وكراسي وصناديق وأصونة
واغشية وأقمشة والبسة وادوات زينة واسلحة ويضعون تارة مركبة حربية
وما شاء للذته من تماثيل وصور وكتب ولطعامه من بر وكل ما احل بالمين
وحلي بالفهم ويضعون فيه طوراً قرين الميت وهو تمثال من خشب او حجر صنع
على صورته ومثاله ثم يسور مدخل الناووس فيبقى فيه القرين ومعنى الاحياء
بامرهم فيجلبون له طعاماً او يتوسلون الى أحد الارباب ان يرزقه طعاماً على
نحو ما تراد في هذا الرسم المزبور: على الحجر (قربان لا زوريس ليعطي زاداً من خبز
وشراب وثيران وأوز ولبن وخمر وجمعة ولباس وعطور وكل ما طاب وصفا
الى المتوفى فلان)

حشر الارواح — انشأ المصريون منذ السلالة الحادية عشرة يعتقدون

ان الروح تنفصل عن الجسد وتلحق باوزيريس تحت الارض حيث تغيب الشمس كل يوم فيما يظهر . هناك بتصدر اوزيريس في محكمته وقد أحاط به اربعة وعشرون محكماً فيؤتى بالروح امامهم فتحاسب عما قدمته بين يدي نجواها في الحياة فنوزن اعمالها بميزان الحق وتطلب شهادة القلب . فيهتف الميت قائلاً . « ياقلب اني ورثتك عن أُمي منذ درجت على الارض فلا تقم علي شاهداً تتجنى عليّ أمام الرب المنعال » فالنفس الشريرة تعذب قرونًا ثم تهلك والنفس الطيبة تطير احقاباً وبعد محن كثيرة تنضم الى زمرة الارباب ونفنى فيهم

الموميات — تستطيع الروح في خلال هذه الزيارة الدخول في الجسد لتستريح ولذا اقتضى ان يظل الجسد سليماً . ومن اجل ذلك تعلم المصريون طريقة تحنيط الجثث فيملأون الجثة عنبراً ويغطسونها في مستحم من النطرون ويعصبونها بعصيات فتصير مومياء . هكذا توضع المومياء في تابوت من خشب اوجبس وتودع في القبر مصحوبة بما يقتضي لها من ضروريات الحياة

كتاب الاموات . كان بوضع بجانب المومياء كتاب صغير اسمه كتاب الموتى يذكر فيه ما ذنبني للنفس أن تقوله في العالم الثاني دفاعاً عن نفسها امام محكمة اوزيريس وهو : « ما ارتكبت خيانة وما عذبت أيماً وما ارتكبت محرماً ولا ألفت البطالة ولا وشيت بالعبد الى مولاه ولا حبست الخبز عن المعابد ولا سرقت عصيات الموتى ولا طعامهم ولا طففت مكاييل الحبوب ولا صدت الحيوانات المقدسة ولا قبضت الاسماك المقدسة . اطعمت الجوعان واسقيت العطشان وكسوت العريان وقدمت الضحايا

للارباب وصنعت الوضائم للموتى اهـ» وهنا تستبان حكمة المصريين وهي الاحتفاظ بالرسوم والتكاليف واحترام ما له علاقة بالارباب وان يكون المرء مخاصماً محشماً محسناً

الصنائع

الصناعة - المصريون أول من مارس الصنائع التي تمس حاجة الشعب المنحضر اليها فكانت الصور في القبور من عهد السلائل الاولى أي من نحو ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد تمثل ناساً يحرثون ويزرعون ويحصدون ويدرسون ويدرون الجبوب وقطعاناً من ثيران وخرافاً واوزاً وخنازير واعياناً حسنة ثيابهم واحتفالات واعياداً يحتفل فيها بضرب العيدان أي كما كانت حياة هذه الامة بعد ثلاثة آلاف سنة حذو القذة بالقذة . وقد عرف المصريون لذلك العهد صنع الذهب والفضة والقلز والاسلحة والحلي والزجاج والخزف والطينا ونسج الثياب من صوف وكتان وانسجة شفافة او موشاة بالذهب

عقود الابنية - كان المصريون اقدر البنائين القدماء في العالم اقاموا المعاهد العظيمة حتى صارت كأنها خلدة بحيث لم يقو الزمن لعهدنا على تقويضها وتبيدها ولم يبذروا منابوتاً لسكن الاحياء بل كانت مبانيهم خاصة بالارباب والموتى فينبون لهذا الغرض المعابد والمقابر . ولم يبق من مساكنهم الارسوم محيلة أما تصور الملوك فلم تكن على قول اليونان غير خانات بالنسبة للقبور . ذلك لان المسكن يبنى ليأوي اليه الانسان في حياته والتبر يبقى خالداً على الدهر القبور — أصل الهرم الكبير قبر ملوكي والقبور القديمة هي من هذا النوع . وترى في مصر السفلى الى اليوم اهراماً مصطفة كالشوارع أو

مبددة هنا وهناك تختلف في الكبر والصغر . ثم صارت تقام القبور تحت الارض يعمر بعضها تحت التراب وينحت الآخر من حجر الصوان « الكرانيت » في الجبال ولكل جبل قبور جديدة . وكانت مدينة الموتى أي مدافهم على مقربة من مساكن الاحياء ولكنها ازهى وأوسع

المعابد — يتطلب الارباب كذلك مساكن طيبة خالدة وتتألف معابدهم من هبكل جميل وهو مأوى الرب نكتنفه القصور والحدائق وغرف الكهنة وحاشيتهم ودروج جواهرهم وأدواتهم وملابسهم وقد صنع مجموع هذه الابنية المسورة في عصور كبيرة . فاشترك ملوك من جماع السلالات المصرية في تشييد معبد عمون في ثيبة من السلالة الحادية عشرة الى السلالة الاخيرة ومن العادة ان يفتح في أول المعبد باب عظيم محني الجوانب وتقام على طرفيه مسلنان مبنيتان بشعاف الصخر مذهبة الاطراف أو تمثالان من الحجر على مثال جبار جالس . وقد يوصل الى المعبد من طريق طويل نصبت في جوانبه تماثيل ابي الهول مصنوعاً من الحجر على صفيين . هذه الاهرام والمنحنيات والتماثيل وأبو الهول والمسلات نذير بما بلغه المصريون من العناية بعقود الابنية وكلها تحينة قصيرة عميقة بحيث تبدو هذه المعاهد ضخمة لا يلبها الدهر ولا تفنها الغير

صناعة النحت — حاكي النحاتون من المصريين الطبيعة بنقوشهم . وان الناظر ليدعش من أقدم التماثيل لما فيها من الحياة والبساطة ولا شك انها كانت صور الموتى . ومن هذا الجنس صورة ذاك العامل الجاتي المحفوظة في متحف اللوفر بفرنسا . وعلى عهد السلالة الحادية عشرة نقيد النحات بقاعدة مقرررة دينية فلم يعد يمكنه تمثيل الجسم الانساني على حسب ما يظهر

له وأخذت النمايل منذ ذاك العهد تتشا كل وغدت السوق متأزية والارجل ملتفة والاذرع مشتبكة على الصدور والهيئة غير متحركة لكنها مهمة وابدأ ذات جلال ومتحدة في المنوال فانقطعت هذه الصناعة عن محاكاة الطبيعة وغدت رمزاً متفقاً عليه

الرسم - استعمل المصريون اصباغاً لاتنصل بقيت باهية زاهر ذبمد مضي خمسة آلاف سنة عليها . على انهم لم يعرفوا غير تلوين الرسم وظلوا ولا خبرة لهم بتنويع الالوان ولا رسم الظلال والاشباح البعيدة . وكان للرسم كما للنقش قواعد دينية مطردة فاذا عرض على صانع ان يرسم خمسين شخصاً يصورهم على هندام واحد ونظام واحد

الآداب - للمصريين آداب خاصة بهم فقد عثر في النواويس على كتب طب وسحر وزهد كما عثر على قصائد ورسائل ورحلات وروايات مصير التمدن المصري' - احتفظ المصريون بآدابهم ودينهم وصنائعهم الى ما بعد سقوط ممالكهم فخضعوا للفرس ثم لليونان ثم للرومان ولم يطرخوا شيئاً من عاداتهم القديمة ولا نسوا خطهم ومومياءهم وحيواناتهم ثم دثر التمدن المصري ببطء بين القرن الثالث والثاني ب م

الاشوريون والبابليون

بلاد الكلدان

وصفها — ينبجس من قم جبال أرمينية المغطاة بالشلوج نهران سريع جريهما بعيد غورهما وهما الرافدان دجلة والفرات الاول من الشرق والثاني من الغرب . يتقاربان أولاً ثم يتباعدان عند بلوغهما السهل فيستقيم دجلة في جريته وينعطف الفرات في محاري الرمال ثم يجتمع النهران قبل أن يصلا الى البحر . فالبلاد التي يجتازها هذان النهران هي بلاد الكلدان . وهي سبب من صلصال تمطره السماء قليلا وتشتد فيه الحرارة والقيظ بيد أن الانهار تسقي بجداولها هذه الارض الصلصالية فنصيرها من أخصب بقاع الارض وانبث قيعانها . وان حبة القمح والشعير لتأتي مثين وفي أعوام الرخاء ثلثائة والنخيل في تلك البلاد غابات غيباء يستخرج منه الخمر والعسل والطحين

الامة الكلدانية — باكرت الحضارة بلاد الكلدان في العهد الذي باكرت فيه مصر فسكنها شعوب متمدة . وتدهاجر اليها عدد من الاجناس من أصفاع كثيرة فاجتمعوا وامتزجوا في هذه السهول الفسيحة الارعاء . جاءها من الشمال الشرقي ناس من النورانيين أهل اللون الاصفر وهم يشبهون الصينيين وأتاهم من الشرق طائفة من الكوشيين ولونهم أسمر قائم وهم أنساب المصريين ونزل اليها من الشمال فئة من الساميين وألوانهم صافية وهم أقرباء العرب فتألف الشعب الكلداني من هذا المزيج

مدنها — زعم كهنة الكلدان ان ملوكهم تبسطوا في مناحي الساطة منذ مائه وخمسين الف عام وهو زعم خرافي يعمدون عليه لان الحامل لهم عليه توغل مملكة الكلدانيين في القدم . هذه الارض تخلصها هضاب وآكام

كلها كومة أنقاض من بقايا بلد عفته طوارق الدهر. وقد فتح كثير منها واخرجت منه عدة دفائن مثل «أور» و «لارسام» و «بال ايلو» وظفر الباحثون بعدة آثار. وما برح أمر هذه الشعوب مستوراً عن الانظار مجرولة حقيقتهم على أبواب الافكار على انه من المأمول أن يظفروا بكتابات جديدة في الاماكن الكثيرة التي لم تتناولها الايدي بالحفر واستخراج الدفائن. وبعد فقد دعت هذه الامم نفسها بالسوميريين والاكاديين وانقرض ملكهم حوالى سنة ٢٣٠٠ قبل المسيح وربما كانت اذ ذاك في إبان قدمها فيرد عهدا اذا الى ثلاثين قرناً قبل الميلاد على الاقل

الاشوريون

أشور — هذه البلاد واقعة وراء بلاد الكلدان على شاطيء دجلة وهي مخصبة التربة قائمة على تلعات كثيرة فيها واحادير. تحترقها هضاب وتخللها صخور. تثلج فيها السماء في الشتاء لقربها من الجبال وتهب عليها الاعاصير في الصيف

أصولهم — زخر بحر العمران في بلاد الكلدان فكان فيها امصار عاش فيها الاشوريون خاملين في جبالهم وقد أغار ملوكهم بجيوشهم الجرارة في القرن الثالث عشر على السباسب والفدافد فاسسوا مملكة ضخمة عاصمتها نينوى

أساطير قديمة — لم نكد نعرف عن الانسوريين منذ أربعين سنة الا قصة ذكرها ديودورس الرومي من أهل جزيرة صقلية وقيل أن نينوس بنى مدينة نينوى وافتتح آسيا الصغرى جملة واستخضعت امرأته سميراميس بلاد مصر وكانت من الارباب فاستحالت بعد حمامة فخلفها ملوك خاملون

مدة ١٣٠٠ سنة . حوصر آخرهم في عاصمته واسمه ساردانا بال فحرق نفسه ونسأه الى ما شا كل ذلك من الاقاصيص التي قل فيها الصدق واعوزت كلمة الحق

نينوى - هذا ما عرف عن مملكة اشور القديمة الى ان اكتشف المسيو بوثا قنصل فرنسا في الموصل سنة ١٨٤٢ اطلال قصر عظيم بالقرب من قرية خراساباد الحقيرة وقد غشيتها رمال صيرتها رابية . وهذه هي المرة الاولى التي شوهدت فيها الصناعة الاشورية بمظهرها ووجدت الثيران المجنحة بالاحجار سالمة ماثلة على باب القصر . وقد جي بها الى باريز فجعلت في متحف اللوفر . واقد استلفت بوثا بحفرياته أنظار أوربا فانفذت بعثات كثيرة وخصوصاً الانكليز . توفر بالاس وليمارد على الحفر في آكام أخرى فاكتشفت قصور غير هذه . سلت هذه الخرائب لجفاف الهواء في تلك الارعاء وبما غشيتها من طبقات التراب . ثم انه عثر على جدران مغطاة بنقوش بارزة وصور وتماثيل وكتابات كثيرة فتسنى درس حال تلك العمارات في اماكنها وأخذت عنها صور المعاهد والنقوش . وأول ما اكتشف قصر خراساباد وهو الذي بناه الملك سراغون مكان نينوى عاصمة ملوك اشور وهي قائمة على عدة هضاب يحيط بها سور ذو ابراج مربع الاضلاع ذرعه ٢٦٠ غلوة (نحو ٤٣ كيلو متراً) وقد بني خارج الجدران بالقرم ودواخله تراب مهيل . أما دور المدينة فقد دثرت ولم يبق منها أثر ضئيل ولا رسم محيل . بيد انه ظهرت عدة قصور شادها غير واحد من ملوك اشور . وقد ظلت نينوى عاصمة الملوك الى ان اوغل الماديون والسكديونيون في احشاء مملكة اشور ومزقوها شذر مذر .

كتابات القرمذ — يتألف كل حرف في الكتابات الاشورية من مجموع علامات على شكل سهم اوزاوية ولذلك دعي هذا الخط بالخط المسماري وكانوا يستعملونه خنجراً مثلث النصل في آخره حد مثلث الاضلاع لرسم هذه العلامات يبلونه في صحيفة من الخزف الرطب ثم يدخلونه التنور فيصير صلباً لا ينمحي أثره . وقد كشفت في قصر اسوربانيال مكتبة تامة من الصفائح قام فيها القرمذ مقام الورق

الخط المسماري — غالى جملة من رجال العلم في حل هذا الخط أعواماً كثيرة فتمذرت عليهم قراءته اذ كان لاول عهده يستعمل في كتابة خمس لغات متباينة وهي الاشورية والسوسية والمادية والكلدانية والارمنية . دع عنك الفارسية القديمة . وكانت تلك اللغات مجهولة فدامت اللغة التي نتكلم عليها الآن مشوشة كل التشويش لاسباب عديدة أهمها تركبها من خطوط رمزية ينوب كل منها مناب كلمة مثل «شمس» «رب» «سمك» ومن خطوط ذات مقاطع . ولان لهذه اللغة مائتي خط ذي مقاطع يتشاكل بعضها مع بعض ويسهل التباسها وإشكالها ولان الخط الواحد كثيراً ما ينوب عن كلمة وعن مقطع ولان الخط الواحد يقوم مقام مقاطع مختلفة بمعنى أن خطأ واحداً يقرأ «ايلو» تارة «وآن» طوراً وهو أصعب هذه الصور وأشكلها .

كان هذا الخط عسراً حتى على من يكتبونه . ونصف مالدينا من الآثار المسمارية هو كتب إرشادات من نحو ولغة وصور مما ساعد على حل النصف الآخر فتأتى الرجوع اليها في حل المشكلات على ما كان عليه شأن المعلمين في مملكة آشور منذ ٢٥٠٠ سنة وقد أفلح العلماء في حل الكتابات الاشورية

كما أفلحوا في حل الكتابات المصرية . فكانت لهم كتابة مستطيلة في لغات ثلاث آشورية ومادية وفارسية ونفعت الفارسية في حل غيرها

الشعب الاشوري — فطر الاشوريون على حب الصيد والحرب وان نقوشهم لتمثلهم مدججين بالاقواس والرماح راكبين صهوات الخيول بحيث ساغ أن يوصفوا بانهم كحاة مجال وأبطال يحسنون الكر والفر . وان استوى في أعينهم رواحهم الى مناوشة ومغدهم في حرب زبون . ولقد عرفوا بالخيانة وسفك الدماء فوطئوا آسيا ستة قرون وخرجوا من جباههم يغيرون على جيرانهم . ولطالما أبوا من غزواتهم وقد أسروا شعوباً باجمعها والظاهر أنهم ينشبون غيرهم القتال لمحض حب السفك والتدمير والنهب فانهم أشد خلق الله بأساً وأفساهم قلوباً

الملك — رأى الاشوريون لملكهم الخلافة عن الله في الارض جرياً على العادة الآسيوية فاطاعوه طاعة عمياء وبذلوا في حبه مهجهم . فكان الملك عندهم سيداً مطلقاً في حكمه رعاياه مهما اختلفت طبقاتهم يدعوهم الى حمل السلاح تحت لوائه فيقاتل بهم شعوب آسيا حتى اذا قفل منصوراً يصور ما أثره على جدران قصره ذا كراً انتصاراته وما ناله من الغنائم وخرقه من المدن وذبحه من الاسرى وساخه من احيائهم

الحملات — اليك بعض فقرات من نشرات الحروب قال اسورنازيرهابال عام ٨٨٢ : انني عمرت جداراً امام ابواب المدينة العظمى وساخت جلود زعماء الثورة وغطيت هذا الجدار بجلودهم وقد دفن بعضهم احياء في اساس البناء وصاب فريق آخر وجعلوا على أوتاد في الحائط وساخت جلود

كثيرين في حضرتي وكسوت الحائط بها وجمعت رؤوسهم على هيئة التيجان وضممت جنبهم الى أشكال الالكاليل

وكتب توكلا بالازار عام ٧٤٥ ما نصه : حبست الملك في عاصمته ورفعت كروما من الجثث أمام الابواب . هدمت مدنها كلها ودمرتها وأحرقها وأقمرت البلاد وصيرتها آكاماً وقاعاً نصفاً ينق فيها يوم الخراب . وقال سنحاريب في القرن السابع : « انطلقت كالعاصفة المدمرة فسبحت السروج والاساحة في دماء الاعداء كاهها في نهر والتراب مبلل وجمعت جثث جندهم كما تجمع الغنائم وبترت أطرافهم وقضمت عظام من أخذتهم أحياء على نحو ما نقصن التينة وقطعت أيديهم عتقاً لهم بما جنت أيديهم » هذا وقد صورت في إحدى النفوش التي تمثل مدينة سوس وهي ترد الى عهد اسوربانيبال وشوهدت فيها رؤوس المغلوبين يعذبهم الاشوريون وقد صملت آذان بعضهم وسملت أعين آخرين ونفت لحاهم . وهناك رجل يسليخ جالده وهو حي مما دل على ان أولئك الملوك كانوا يرتاحون الي ما يتم على أيديهم من الحرائق والمذابح والعذاب

خراب المملكة الاشورية — بدأت هذه الطريقة في الحكم في القرن الثالث عشر زمن الاستلاء على بابل وذلك نحو عام ١٠٧٠ وظل الاشوريون منذ القرن التاسع يسرحون الحملات ويشنون الغارات حتى أخضعوا وان شئت فقل خربوا بلاد بابل وسورية وفلسطين ومصر وكان المغلوبون يثرون في غضون تلك المدة بلا انقطاع والمذابح قائمة على ساق وقدم . ثم ضعفت قوى الاشوريين واتحد البابليون والماديون فقلبوا عرش مملكتهم نينوى عاصمة بلادهم سنة ٦٢٥ وهي المدينة التي سماها أنبياء بني اسرائيل « عرين

الاسد» ومدبنة الدم والغنيمة فتيسر الاستيلاء عليها وخربت فلم تقم لها قائمة بمد . قال النبي ناحوم (خربت نينوى فمن يشفق عليها ياترى؟)

البابليون

المملكة الكلدانية — قامت مملكة اسوريه جديده مكان بلاد الكلدان القديمة الدائرة دعيت مملكة البابليين او المملكة الكلدانية الثانية . وقد تكلم احد انبياء اسرائيل على لسان الرب فقال : « انا احبي الكلدان تلك الامة الظالمة وسرعان ما تطوف الارض الاستيلاء على مساكن غيرها وان خيولها لا خف سيراً من النمر وفرسانها لينتشرون في الاطراف ويطيرون كأنسر ينقض على قنيصته » وباجملة فقد ألف الكلدانيون الفروسية والحرب والفتح وهم يمانلون الاشوريين كل الممالك فاستولوا على بلاد الفرس والجزيرة وبلاد اليهود وسورية وكانت مدة حكمهم قصيرة فقد أنشئت المملكة البابلية سنة ٦٢٥ وابادها الفرس سنة ٥٣١ ق م .

بابل — كان بختنصر (٦٠٤ - ٥٦١) من اقدر ملوكها وهو الذي خرب بيت المقدس وساق اليهود اسرى واسس في بابل عاصمة بلاده كثيراً من المعابد والتصور . اقبلت هذه المعاهد بالآجر لقله الحجر في سهل الفرات . ولما كتب عليها الدثور والعفاء لم يبق منها الا كوم من التراب والانقاض وقد عثر في المكان الذي كانت فيه بابل على بعض كتابات فعرفت هيئة المدينة . بيد ان هيرودس اليوناني وصف مدينة بابل وصفاً مسهباً وكان زارها في القرن الخامس ق م فاذا هي محاطة بسور مربع يشقه الفرات وكانت المدينة تشغل حيزاً من الارض مساحته ٥١٣ كيلومتراً مربعاً

(أي سبعة اضعاف مدينة باريز) ولم تكن كل هذه البقعة الفسيحة الارحاء عامرة بالدور والمساكن بل كان يتخللها حقول مزروعة تقوم باود السكان آونة الحصار . فكانت بابل من ثم اشبه بمعسكر حصين منها بمدينة . وفي جدرانها ابراج ولهامة باب من النحاس الاصفر وكان سمكها صالحاً لمرور مركبة عليها وفي حيال السور خندق عريض عميق مليء ماء وسترت حافته بالقرمد . وكانت دورها ذات ثلاث طبقات او اربع والشوارع وسطها زوايا قائمة . وما اعجب بناء جسر الفرات وارصفته والقصر الحصين والجنان المعلقة احدى عجائب الدنيا السبع . وهذه الجنان سطوح مغروسة بالاشجار قائمة على عمد وقباب مصفوفة طبقات الاولى بعد الثانية .

برج بابل - بنى بختنصر في طرف المدينة برج بابل وقال في احدى كتاباته «لقد جددت اعجوبة بوريديا (من ضواحي بابل) اعجب الناس منها وهو معبد السيارات السبع في الدينا فاعدت تأسيسه على النحو الذي كان عليه في الازمان السالفة » . وهذا المعبد على شكل مربع مؤلف من سبعة ابراج بعضها على بعض وخص كل برج باحدى السيارات السبع وصور باللون الذي اختاره الدين لتلك السيارة . وهذه الالوان اذا بدى بها من أسفل فهي : زحل (سواد) والزهرة (بياض) والمشتري (ارجوان) وعطارد (ازرق) والمريخ (قرمزي) والقمر (فضي) والشمس (ذهبي) . وكان في أعلى الابراج مصلى ومنضدة من ذهب وفراش وثير تسكن اليه كاهنة .

اخلاقهم وديانتهم

اخلاقهم — لانعرف هذه الشعوب الا بمآهدها ومعاهدها تكاد لاتعدى اعمال ملوكها فلا ترى الاشوريين أبداً الا وهم مصورون في حرب او في صيد او في احتفالات وما صور نساؤهم قط اذ كنّ حلس بيوتهن لا يخرجن للناس . وعلى العكس في الكلدان فانهم كانوا اهل حراثة وتجارة واكننا لانعرف شيئاً عن حياتهم . يقول هيرودتس ان هذه الامة كانت تجمع البنات في مدنها مرة واحدة في العام لتزويجهن فيبيعون الجميلات منهن ويؤخذ ثمنهن ليعطى جهازاً الى مشوهات الخلقة . قال وعندي ان هذا القانون من احكم ماوضع من القوانين والشرائع .

ديانتهم — دين هاتين الامتين واحد فالاشوريون تمذهبوا بمذهب الكلدانيين وقد التبس علينا هذا الدين لانه نشأ كدين الشعب الكلداني من مزيج ديانات متباينة مشوشه كلها . فكان التورانيون يعتقدون على نحو ماتوهمه قبائل سبيريا الصفر ان العالم غاص بالشياطين (مثل الطاعون والحمى والاشباح والغفاريات) دأبها تربص البشر بالبشر والاخذ بمخنقهم ولذلك تراهم لا يلجأون الى السحرة ليطردوا عنهم هاته الشياطين برقياتهم . وكان الكوشيون يعبدون رين ذي اذنوين الذكر وكان القوة بزعمهم والانشى وهي المادة وكان الكهنة الكلدان وهم مجموع طوائف قوية من المنعة بحيث ساغ لهم ان يعموا بتوحيد الدينين .

الارباب الرب المنعال هو ايلو في بابل واسور في اشور وقلم يقيمون له . مبدأً ومنه يشتق ثلاثة ارباب وهم آنو رب الظلمة وصورته صورة رجل وذنب نسر معصب رأسه برأس سمكة . وبل ملك الارواح مصور

كالمالك على عرشه . ونواح وهو العالم المنظور هيئته هيئة جبار ذي اربعة اجنحة
منتشرة . ولكل من هذه الارباب ربة انثى اشارة الى كثرة الاولاد
والذري . ثم ترد من اسفل صور القمر والشمس والسيارات الخمس
والكواكب وفي هواء بلاد الكلدان الشفاف يضيئ سناها اضواء لم نعهدها
فتتلاً كالأرباب . وقد اقام الكلدانيون معابدهم باسم هذه الارباب وما
هي في الحقيقة الامراض يتمكن منها المتعبد من مراقبة سير الافلاك .
علم التنجيم — ذهب الكهنة الى ان هذه الكواكب ارباب عظيمة
تعمل عملها في حياة الانسان . فكل امرئ يولد في الدنيا في طالع كوكب
من الكواكب فينأى النبوء بسعده اذا علم الكوكب الذي ولد في
طالعه . ومن هنا نشأ علم التنجيم والفأل فما يحدث في السماء علامة على
ما سيحدث على الارض . فالنجمة المذنبه مثلاً تنبئ بحدوث ثورة .
ويعتقد كهنة الكلدانيين انهم اذا رصدوا القبة الزرقاء وسبارها يتنبأون
بالحوادث وهذا أصل التنجيم .

علم السحر — للكلدان ضروب من الرقى والطلسمات يدممون بها
لطراد الارواح أو استحضارها . وهذه العادة من بقايا ديانة التورانيين وهي
أصل السحر . نشأ علم السحر والتنجيم في بلاد الكلدانيين وانشر في أفق
المملكة الرومانية ثم تعداها الى بلاد أوربا . عرف ذلك من تتبع القوانين
السحرية في القرن السادس عشر وكان فيها اذ ذاك كلمات آشورية محرفة .
العلوم — نشأت علوم النجوم في بلاد الكلدان فمنها عرفنا منطقة
البروج وتألف الاسبوع من سبعة أيام اكراماً للسيارات السبع وتقسيم السنة
الى اثني عشر شهراً واليوم الى أربعة وعشرين ساعة والساعة الى ستين

دقيقة والدقيقة الى ستين ثانية . و عنهم أخذنا طريقة الاوزان والمكاييل محسوبة على مقياس الطول مما ألف بالاستعمال عند الشعوب القديمة كافة

الصنائع

علم عقود الابنية — لا نعرف صنائع الكلدانيين حق معرفتها اذ قد سجل العفاء على معاهدهم . وقد حذا أهل الصنائع من الاشوريين ممن رأينا صنائعهم حذو الكلدانيين فصيح الحكم على المملكتين جملة واحدة . كان الاشوريون يبنون كالكلدانيين بأجر مجنف بالشمس ويغشون ظواهر الابنية بالاحجار .

القصور — اقام الكلدانيون قصورهم على آكام صناعية جعلوها واطئة مسطحة تشبه سطوحاً كبيرة واقتضى جعل العاللي والغرف ضيقة واطئة واكتفي بتطويلها كثيراً لأن الآجر لم يكن لينفع في بناء القباب المنبسطة العالية . فالقصر الاشوري يشبه سلسلة أروقة ودهاليز . والسقوف سطوح ممتدة ذات شرفات وفي الباب ثيران ضخمة مجنحة على هيئة الانسان . والجدران مغطاة من الداخل تارة بروافد من الخشب النفيس وطوراً من الآجر المزين بالمينا وأخرى بصفايح من الرخام الابيض المنقوش وآتات تزدان الغرف بالصور ويحلى الاثاث بالترصيع البديع

النقش — يعجب المرء من نقوش الصور الاشورية خاصة ومن المحقق ان التماثيل نادرة ولا اتقان فيها لان النحاتين يؤثرون نحت صفائح كبيرة من الرخام ونقوش نائفة تشبه الصور ويرسمون مشاهد لان نظامها احياناً وحروباً وصيوداً وحصارات مدن واحتفالات يخرج الملك بها في موكب حفل وهناك تتجلى التفاصيل الدقيقة . فترى بنات الخدام الموكلين بطعام

الملك وزمر العملة يبنون له بلاطه والحدائق والحقول والغدران والاسماك في الماء والطيور ترفرف على وكناتها أو تتطاير من شجرة الى أخرى . وترى صور الكبراء من جوانب وجوههم لان أهل الصناعة ما عرفوا تصويرها من الامام . ولكنك تقرأ في سحناتهم الحياة والشرف . وتظهر الحيوانات في الاحابين وخصوصاً في الرسوم البارزة في الصيد وفي العادة أن تنقل نقلاً حقيقياً مدهشاً . وكان الاشوريون يتأملون الطبيعة ويرسمونها أصح رسم وبهذا تعرف قيمة صنائعهم حتى ان اليونان اقتدوا بمذهبهم في الصنائع بان قلدوا النقوش الاشورية ففاقوا مقلديهم وليس في الامم حتى ولا اليونان أنفسهم من أحسنوا تصوير الحيوانات كالاشوريين

الفينيقيون

صور وقرطاجنة

وصفها — فنيقية من بقاع الارض الضيقة طولها خمسون فرسخاً وعرضها من ثمانية فراسخ الى عشرة وهي بين بحر سورية واعلى سلسلة في جبل لبنان . بل هي على التحقيق عبارة عن سلاسل أودية ضيقة ومجار حرجية متخللة بين هضاب وعرة ممتدة الى البحر ومسائل من الثلوج . تعبت بها العواصف الى آخر الربع اما في الصيف فينضب ماؤها الاما خزن منه في الآبار والصحاريح . ولقد كسيت جبال هذه الناحية بالاشجار فكان في القمم ارز لبنان المشهور وفي المنحدرات الصنوبر والسرو وفي السفوح اشجار النخيل بالغة شاطئ البحر وفي الاودية ينمو الزيتون والكرم والتين والرمان .

مدنها - تتألف عن بعد على طول الشاطئ، الصخري رؤوس من البحر
أو جزر منه تكون منها مرافئ طبيعية في هذه الموانئ أقام الفينيقيون مدنها.
فقامت صور وارواد في جزيرة يزدحم فيها السكان في المنازل وكانت ذات
طبقات ست وسبع وثمان. ويجلبون الماء لشفاهم في القوارب. أما مدينة
جبيل وبيروت وصيدا فكانت في اليبس. ولم تكن أرض هذه البلاد لتقوم
باود هذا العدد الدثر من الناس ولذلك مال الفينيقيون الى الملاحة والتجارة.

الخرائب الفينيقية - لم يحفظ عن الفينيقين كتاب فقد ضاعت حتى
كتبهم المقدسة. ولقد جرى الحفر في مواضع مدنها ولكن الخرائب على ما
قال العالم المندوب الى ذلك لم تسلم إلا في البلاد المهمة المتروكة. على ان
السوريين عنوا كثيراً بالخرائب فأنهكوا حرمة القبور واخذوا حلي الموتى
هدموا العمارات ليسنعينوا باحجارها على البناء وحطموا النقوش وذلك لكره
المسلم الصور المنحوتة بحيث لم يبق اليوم سوى شقيف من الرخام المحطم
واحواض ومعاصر نحتت في الصخر وبضعة نواويس من الحجر. اطلال قلما
تجدي نقماً وتأتي العلم بفوائد. وليس ما عرف عن الفينيقين إلا ما علمناه
كتاب اليونان وانبياء اسرائيل

حكومة الفينيقين - لم تكن فينيقية مملكة قائمة برأسها بل كان لكل
مدينة ناحية صغيرة تستقل بها ولها مجالس وملك تحكم نفسها وتبعث
بمندوبها الى أعظم مدينة فينيقية لهض المصالح المشتركة وكانت صور محط
رحال المندوبين منذ القرن الثالث عشر. واذا لم يكن الفينيقيون أمة حربية
خضعوا السطوة جماع الناهجين من مصريين واشوريين وبابليين وفرس وادوا
لهم الجزية عن يد وهم صاغرون.

صور - كانت هذه المدينة منذ القرن الثالث عشر من أهم المدن الفينيقية ضاقت على أهلها فاقيمت اذ ذاك مدينة جديدة قبالتها . ولقد أسس تجار صور مستعمرات في البحر الابيض كله يصيدون الفضة من مناجم اسبانيا و سلع العالم القديم أجمع . دعاهم أشعيا النبي الامراء ووصف حزقيال النبي تلك القوافل التي كانت تأتيهم من كل صوب وأوب وطلب سليمان النبي الى هيرام احد ملوك صور عملة يشغلهم في بناء القصر والمعبد في بيت المقدس .

قرطاجنة - كانت هذه المدينة مستعمرة صور ففاقت هذه بالعظمة وذلك ان الصوريين نبذتهم احدى الثورات فأسسوا مدينة قرطاجنة على شاطئ افريقية بالقرب من تونس بعثهم على ذلك امرأة اسمها ايليسار ونحن ندعوها ديدون (الفارة) ويحكى ان سكان البلاد ابوا ان يبيعوها إلا مسافة تكفي لتغطية جلد ثور ففصلت جلد الثور سيوراً رقيقة بحيث اقتضت مكاناً واسعاً يستوعبها فبنت القلعة اذ ذاك . ولقد اتسعت قرطاجنة لموقعها في منتصف البحر الرومي ولان فيها مرفأين فافامت مي أيضاً مستعمرات وفتحت فتوحاً حتى آل امرها الى ان حكمت شاطئ افريقية باجمعه واسبانيا وسردينيا وكان لها في كل مكان مكاتب لتجاريتها ورعايا يؤدون لها الجزية

الجيش القرطاجني اقتضى لقرطاجنة ان تدرب لها جيشاً لتصون مكاتبها التجارية من حيف الوطنيين وتربأ برعاياها عن الانقراض . ومن ثم كانت حياة القرطاجني ثمينة لا يخاطر بها إلا عند الضرورة . آثرت قرطاجنة اكتراء الجند فجندت لها جنداً من البربر سكان بلادها ومن متشردى كل صقع وناحية فصارت صبغة جيشها مبرقشة ملونة يتكلم اللغات كلها ويدين بالاديان كافة . ولكل جندي بزته واسلحته الخاصة به بخلاف بزة رصيفه

واساحته . فترى فيهم النوميدين يلبسون جلد الاسد يخذونه وطاء كما يتخذونه غطاء يركبون خيلاً سريعة صغيرة بدون نظام ويطلقون القوس وخيولهم تعدو عدواً كما كنت ترى فيهم الليبين وجلودهم سوداء مسلحين بحراب . وطائفة من الايبيريين في اسبانيا لباسهم بياض مزين بحمرة وسلاحهم سيف طويل محدد . وغالبين عراة الى الزنار يحملون تروساً كبيرة وسيفاً محدداً يسكونه بكلتا يديهم . وجماعة من الباليارين مدرين من طفوليتهم على رمي الحجارة او كرات الرصاص بالمقاليع . أما القواد فكانوا قرطاجنيين تخافهم الحكومة فترقبهم عن أمم وربما صلبتهم اذا غلبوا ولم يحرزوا نصراً مؤزراً

القرطاجنيون - كان في قرطاجنة ملكان والامر والنهي لمجلس الشيوخ وهو مؤلف من أغنى تجار المدينة ولذلك كانت كل قضية ينهى بها الى الحكومة مسأله تجارية . كره الناس القرطاجنيين لقسوتهم وطمعهم وغدرهم ولما كان لهم أسطول منظم وعندهم مال يستأجرون به جنداً وحكومة باطشة تهاهم توطيد دعائم ملكهم في غرب البحر المتوسط مدة ثلاثة قرون (من القرن السادس الى الثالث) بين ظهري شعوب بربرية منشقة على نفسها مخلقة كلمتها الديانة الفينيقية - للفينيقيين والقرطاجنيين دين يشبه الديانة الكلدانية فالرب الذكر ويسمى عندهم بل هو الشمس والربة الانثى وتدعى بعلمت هي القمر والشمر والقمر في نظر الفينيقيين قوى هائلة نجي وتميت . ولكل من المدائن الفينيقية ربان . فلصيدا بل صيدون (الشمس) وعشروت (القمر) ولقرطاجنة بل عمون ونانيت ولجبيل بل تور وبليت . ويختلف اسم الارباب في الاعتبارات ايجاداً وعمداً وهكذا يعبد بل مثلاً في قرطاجنة باسم واورش ويعتبر عمداً . وقد تنوب عن هذه الارباب أصنام ولها معابد ومذابح وكهنة

يعظمون من شأنهم وقيمون لهم المآدب والاعیاد الخافلة باعتبار كونهم
 موجدین ويقدمون لهم ضحايا بشرية باعتبار كونهم مخربین وتعبد عشتروت
 ربة الصبد العظيمة في الغابات المقدسة ويصورونها على شكل هلال القمر
 والحمامة ويرسم بعل مولوش في قرطاجنة تمثالاً عظيماً من القنز باسطاً ذراعيه
 ومدليهما واذا ارادوا تسكين غضبه يرفعون على يديه اطفالاً تسقط للحال في
 هاوية من نار. وقد قدم اعبان مدينة قرطاجنة مائتي طفل من اولادهم ضحايا
 للربة مولوش في خلال حصار اغانوكل لقرطاجنة

هذا وان تلك الديانة على ما نشأت عليه من الشهوات وسفك الدماء
 لترهب الشعوب الاخرى ولكنهم يحاكونها ويأتمون بها فكان يذبح اليهود
 لبعل على الجبال ويعبد اليونان استارتيه وصيدون باسم افروديت وبعل لمخارت
 من صور تحت اسم هيراكليس

التجارة الفينيقية

اشتغال الفينيقيين -- عاش الفينيقيون بالتجارة لازدحام أقدامهم في بقعة
 ضيقة من الارض ولم يكن لسائر شعوب الشرق من مصريين وكلدانيين
 واشوريين ولا قبائل الغرب البربرية (الاسبان والغاليين والظليان) عهد
 يركوب البحار وشق العباب والفينيقيون وحدهم جرأوا في تلك الايام على
 تجشم البحر فصيح ان يدعوا من اجل هذا عملاً، تجارة العالم القديم وقاده
 البيع والشراء بناعون من كل شعب سلعه ويتقايضون معه على غلات البلاد
 الاخرى تجارة كانت مستحكمة الصلات مع الشرق براً والغرب بحراً
 القوافل -- اغناد الفينيقيون ان يرسلوا في البر قوافل تتجه وجهات ثلاث
 احداها الى بلاد العرب لنأتي منها بالذهب والعقيق اليمني والبخور والصبر

وعطور بلاد العرب واللؤلؤ والابازير والعاج والابنوس وريش النعام وقرود الهند. والقافلة الثانية ترحل الى بلاد اشور لتعود منها بانسجة القطن والكتان والحرير والاحجار الكريمة والماء المعطر وحرير الصين . وتقصد القافلة الثالثة انحاء البحر الاسود لتستجلب منها الخيل والرقيق والاولاني النحاسية من مصنوعات سكان جبال قافقاسيا « القوقاز »

بحريتهم -- بنى الفينيقيون بخشب ارز لبنان المتين قوارب باشرعة ومجاديف حملوا عليها متاجرهم البحرية وما مست حاجتهم ان يكونوا ابدًا على مقربة من الشواطئ في ركوبهم البحر اذ كانوا يتجهون حيثما ارادوا بجعل نجمة القطب قيد نواظرهم وكانوا يستدلون بها على الشمال . ولقد فطر الفينيقيون على الاستخاف بركوب اليم فالفوا بانفسهم في مراكب صغيرة تغدو بهم وتروح في اطراف البحر الرومي بل جرأوا على اجتياز مضيق جبل طارق او كما دعاه القدماء « اعمدة هيركول » فيجتازون البحر المحيط الى شواطئ انكترا وربما بلغوا بلاد النروج . سافرت عصاة منهم في خدمة احد ملوك مصر في القرن السابع وجازت البحر الرومي لتطوف حوالى افريقية ثم رجعت على ما قيل بعد ثلث سنين من البحر الاحمر وغادرت قرطاجنة حملة ضربت نحو شاطئ افريقية الى خليج غينة . وقد كتب القائد حانون قصة في هذه الرحلة

البضائع -- كان الفينيقيون يبناعون محاصيل صناعات الشعوب المتقدمة ويبحثون في البلاد المتوحشة عما يقل الظفر به في المشرق من المحاميل . يصطادون الصدف من شاطئ بلاد اليونان ومنه يستخرجون صباغًا احمر وهو الارجوان . وكانت الانسجة الارجوانية تستعمل عند الاقدمين كافة

ملابس للملوك والامراء ويجلبون الفضة التي يستخرجها أهل اسبانيا وسردنيا من مناجمهم وكان القصد من ضرورياتهم يستعملونه في صنع النحاس الاصفر وهو مركب من نحاس وقصدير لا أثر له في بلاد الشرق ولذا كان الفينيقيون يرحلون في طلبه وينشدونه حتى في شواطئ انكترا في جزائر القصدير المعروفة بجزائر كاسيتريد . وحيثما حلوا يتخذون الرقيق يبتاعونه نارة كما كان يبتاع النحاس العبيد في ساحل افريقية . اذ الشعوب القديمة كلها كانت تجر بالرقيق . وينزلون طوراً في احدى السواحل فجأة فيختطفون النساء والاطفال وينقلون بهم الى بلادهم او يبيعونهم في القاصية . واذا واتهم الحال يتقبلون قرصاناً ولا يخامون إطالة يد التعدي على الاغيار :

سرّ اختص به الفينيقيون — لم يقلق الفينيقيون إلا من قيام بحارة الامم الاخرى الى منازلهم السلطة على البحار ومجاراتهم في الملاحة والاتجار فن ثم كانوا يكتفون الطريق التي يسلكونها لدن عودتهم من لافطار النائية ولذا لم يعرف احد في القديم جهة جزر الكاسيتريد المشهورة التي جلبوا منها القصدير . وقد رأت احدى المراكب بلاد اسبانيا التي كانت لها صلات تجارية مع فينيقية منذ قرون عرساً بدون تعمل . وكانت قرطاجنة تغزو من تصادفهم من التجار الاجانب في سردنيا او في ناحية جبل طارق . حتى ان ربان احدى المراكب أغرق سفينته ذات يوم عند ما رأى سفينة غريبة تطارده مخافة ان تطلع على خطة سيره

مستعمراتها — انشأ الفينيقيون مكاتب تجارية في البلاد التي اتجروا فيها وهي مراكز للبرد حصينة واقمة على شاطئ بحر على مرفأ طبيعي يخرجون اليها بضائعهم وهي في العادة النسجة ونثار وحلي واصنام فيأتي أهل تلك البلاد

بلغاتهم فيقايضونهم عليها كما يقايض اليوم تجار الاوربيين ذنوج افريقية .
 تقام أمثال هذه الاسواق في قبرص ومصر وجميع بلاد البحر الرومي التي
 كانت على همجيتها مثل اقريطش (كريت) وبلاد اليونان وصقلية وافريقية
 ومالطة وسردنيا وشواطئ اسبانيا (مالقة وقادس) وربما أقاموها في بلاد
 الغول (موناكو) وكان اهل البلاد يبنون اكواخهم حول بنايات الفينيقيين
 فيصبح السوق مدينة ويقتبس السكان ارباب الفينيقيين وقد دامت عبادة ربة
 على صورة الحمامة حتى بعد ان صارت المدينة يونانية كما في سيتير والرب
 ملخارت كما في كورنت ورب ذو جهة ثور يفترس الضحايا البشرية كما في
 اقريطش

تفوذ الفينيقيين - لم تكن يخطر للفينيقيين شيء على بال لما أسسوا
 مكاتبهم التجارية إلا الاحتفاظ بمصلحتهم الخاصة ولكن حدث ان نفعت
 مسعمراتهم التمدن فان برابرة الغرب اخذوا عن أمم الشرق وكانت أكثر
 منها تمدناً كيفية صنع الانسجة والحلي والماعون وتعلموا محاسنهم مضي حين
 من الدهر واليونان لم يعرفوا غير الاواني والحلي والاصنام التي يأتيهم بها
 الفينيقيون وعلى منوال هذه البضائع نسجوا بعد فان الفينيقيين حملوا من
 مصر واشور الصناعة والبضائع معاً

الابجدية - حمل الفينيقيون ايضاً الى البلاد التي نزلوها ابجديتهم وحروف
 الهجاء ولم يخترعوا الخط اذ كان المصريون يعرفون الكتابة قبلهم بقرون وقد
 استعملوا حروفاً تدل كل منها على صوت كما هو الحال في حروف الافرنج .
 على ان خطهم كان مشوشاً بعلامات قديمة يدل بعضها على مقطع وآخر على
 كلمة برمتها . لا جرم انه اقتضى للفينيقيين اذ ذاك طريقة أبسط لكتابة

رسائلهم التجارية فاطروا العلامات كلها من مقاطع وصور ولم يبقوا سوى
 اثنين وعشرين حرفاً يدل كل منها على صوت او على لفظ باللسان فاقتبست
 الشعوب الاخرى هذه الابجدية المؤلفة من اثنين وعشرين حرفاً. فقد كتب
 اليهود من اليمين الى الشمال كما كتب الفينيقيون وكتب غيرهم كاليونان من
 الشمال الى اليمين وكلهم بدلوا شكل الحروف إلا قليلاً. والخط الفينيقي على
 التحقيق أصل الابجديات كلها من يهودي وليسي ويوناني وايتاليكي
 وابروسكي وايسيرسكي وربما كان الخط النروجي ايضاً فالفينيقيون هم الذين
 علموا العالم الكتابة



الاسرائيليون

العبرانيون

التوراة - جمع اليهود أسفارهم المقدسة بأسرها في سفر واحد دعوه
 التوراة وهو اسم يوناني معناه الكتاب هذا هو سفر اليهود الجليل وقد صار
 لاهل النصرانية ايضاً كتاباً مقدساً. وفي النوراة ايضاً تاريخ الامة اليهودية
 ولقد استفدنا كل ما اتصل بنا عن الشعب المقدس من الكتب المقدسة

العبرانيون - لما نزل الساميون من جبال ارمينية الى سهول الفرات
 أخذت احدى قبائلهم على عهد مملكة الكلدان الاولى تضرب نحو الغرب .
 فجازت الفرات فالفقر فسورية وبلغت بلاد الأردن وراء فينيقية وتعرف هذه
 القبائل بالعبرانيين يعني اهل ما وراء النهر وهم كعظم الساميين شعب من
 الرعاة الرحالة لم يحرثوا الارض ولا سكنوا الدور والمنازل بل كانوا يتنقلون

من مكان الى آخر في قطعان بقرهم وغنمهم وجمالهم متتبعين المراعي آوين الى الخيام على نحو ما يعيش العرب في البادية اليوم . وفي سفر التكوين وصف هذه العيشة البدوية

البطاركة - كان السبط منهم أسرة كبيرة مؤلفة من الرئيس ونسائه واولاده ومواليه وكان للرئيس على الجميع سلطة مطلقة فكان بهذا السبط أباً وكاهناً وقاضياً وملكاً . من اجل هذا دعونا هؤلاء الرؤساء البطاركة واعظمهم ابراهيم ويعقوب فالاول اب العبرانيين والآخروالد الاسرائيليين اظهرتهما التوراة في مظهر رجلين ارسلهما الله ليرأسا شعباً مقدساً وقدا على ابراهيم ربه ميثاقاً ووعده الطاعة هو ومن يأتي بعده من قومه فبشر الله ابراهيم بذرية تفوق نجوم السماء عدداً واطمأنت نفس يعقوب بان تكون منه امة عظيمة وشعب جم

الاسرائيليون - سمي يعقوب باسم اسرائيل اي مدافع عن الله لرؤيا رآها ودعي سبطه بني اسرائيل او الاسرائيليون . وذكرت التوراة ان القحط حدا يعقوب ان يغادر بلاد الاردن ليسكن واهل بيته صغارهم وكبارهم على التخوم الشرقية من مصر وهي البلاد التي دعاه يوسف احد ابناؤه الى هبوطها وقد صار وزيراً لعزیزها احد القراعنة . وظلّ بنو اسرائيل في تلك الارجا قروناً كثيرة فجاءوا وعددهم سبعون نسمة ونموا على قول التوراة حتى صار عددهم ستمائة الف رجل . خل عنك النساء والاولاد

نزول الوحي على موسى - افتتح عزيز مصر يسوم الاسرائيليين ضروب المظالم ويضطرم الى صنع الملاط والقرمد لا ببناء مدن حصينة فقام من بينهم اذ ذاك موسى احد ابناهم وقد اوحى اليه ربه وعهد اليه ان يتقدم من الجور

والعسف وكان يرعى غنمه ذات يوم على الجبل فظهر له ملك وسط عليقة تتلظى ثم سمع هذه الكلمات : « انا رب ابراهيم واسحق ويعقوب رأيت مادهم شعبي في مصر من الحزن وسمعت شكواه ممن يظلمونه وعرفت مايناله من العذاب ولذا نزلت لخلاصه مما ينتابه من المصريين لانزله بلاداً من ارض كنعان تفيض لبناً وعسلاً فتعال اذاً أرسلك الى فرعون تخلص شعبي ابناء اسرائيل ونخرج بهم من مصر » فقاد موسى الاسرائيليين وهاجروا من مصر وهذا مايدعى بالخروج اوسفر الخروج واجتازوا بسفح جبل طور سيناء وهناك تلقوا شريعة الرب وأخذوا يتيهون جيلاً كاملاً في القفار جنوبي سورية اسرائيل في القفر — وكثيراً ما كان الاسرائيليون يودون الرجوع الى البلاد التي تركوها فيقولون : « انا لنذكر ما كُنّا نطعمه في مصر من السمك والقثاء والبطيخ والكراث والبصل خليف بنا أن تؤمر علينا زعيماً يقودنا الى بلادنا وكان موسى يدعوهم الى الطاعة ثم بلغوا الارض التي وعد الله بها ذرايرهم الارض الموعودة — دعيت أرض كنعان أو فلسطين فدعاها اليهود بلاد اسرائيل ثم دعيت بعد بلاد اليهودية ودعاها أهل النصرانية الارض المقدسة وهي بلاد جافة قاحلة في الصيف ولكن فيها جبال وآكام وصفتها التوراة بما يلي : لقد ساقك ربك القيوم الى بلد طيب ذات أنهار وينابيع في الارض تنبجس من الوادي وعلى الجبل بلد البر والشعير والكرم والتين والرمان والزيتون والزيت والعسل بلاد تأكل فيها خبزك آمناً من القحط لا ترزأ في مال ولا ينقصك شيء من رفاهية الحال. وبلغ عدد الاسرائيليين بعد الاحصاء عندئذ ٦٠١٧٠٠ رجل يحمل السلاح منقسمين الى اثني عشر سبطاً عشر منها من نسل يعقوب واثان من نسل يوسف هذا عدا عن اللاويين

أو السكينة وعددهم ٢٣ ألف رجل . وكانت تسكن البلاد التي نزلوها عدة شعوب صغيرة تدعى الكنعانيين فابادهم الاسرائيليون واستولوا على بلادهم

« ديانة الاسرائيليين »

الله الفرد — عبد سائر الشعوب القديمة ارباباً كثيرة أما الاسرائيليون فاعتقدوا بوجود إلهٍ منزه عن الهوى برأ العالم ودبره . ففي سفر التكوين ان الله خلق في البدء السموات والارض وقد خلق النبات والحيوان وخلق الانسان على صورته ومثاله فالبشر كلهم صنعة الله

شعب الله — بيد ان الله اختار من بين الناس جميعاً ابناً بني اسرائيل ليجعلهم شعبه وامته فدعا ابراهيم وقال له سأجعل بيني وبينك ذريتك عهداً لا كون ربك ورب ذريتك من بعدك . وقد تمثل الله ليعقوب قائلاً له : انا الله القادر اله آبائك فلا تخاف نزول مصر فساجعلك فيها امة عظيمة . ولما سأل موسى ربه عن اسمه اجابه : تقول لابناء اسرائيل اني انا الله السرمد اله آبائك ابراهيم واسحق ويعقوب ارسلني ربي اليكم هذا هو اسمي على الدهر

العهد — فبين الاسرائيليين والمولى تعالى اذا اتحاد او عهد فالقيوم جلّ جلاله يحب الاسرائيليين ويدفع عنهم البوائق فهم والحالة هذه امة مقدسة « واعلى الشعوب كافة في نظره » وقد وعد ان يجعلهم سعداء اقوياء وتعهد الاسرائيليون ان يقابلوه على ذلك بان يعبدوه ويخدموه ويطيعوه فيما يريد عليهم كما بطاع المشرع والقاضي والمعلم

الوصايا العشر — أوحى القيوم العبد عزّ شأنه مشرع بني اسرائيل بوصاياه الى موسى على جبل طور سيناء بين البرق والرعد وهي مسطورة في

لوحين وهما اللوحان اللذان كتب الله عليهما وصايا العشر بما نصه : لا يكن لك آلهة أخرى امامي لا تصنع لك تمثالا منحوتاً ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الارض من تحت وما في الماء من تحت الارض لا تسجد لهن ولا تعبدهن لاني انا الرب الهك اله الغيور افتقد ذنوب الآباء في الابداء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي واصنع احساناً الى ألوف من محبي وحافظي وصاياي لا تنطق باسم الرب الهك باطلا لان الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلا اذكر يوم السبت لتقدسه ستة ايام تعمل وتصنع جميع عملك واما اليوم السابع ففيه سبت للرب الهك لا تصنع عملاً ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وامتك وبهيمنتك ونزيتك الذي داخل ابوابك لان في ستة ايام صنع الرب السماء والارض والبحر وكل ما فيها واستراح في اليوم السابع لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه اكرم اباك وامك لكي تطول ايامك على الارض التي يعطيك الرب الهك لا تقتل لا تزن لا تسرق لا تشهد على قريبك شهادة زور لا تشته بيت قريبك لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا امته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك

الشريعة — على الاسرائيليين ما خلا هذه الوصايا العشر ان يعملوا بكثير من الاوامر الالهية مما ذكر في اسفار التوراة الخمسة الاولى وهي التي تتألف منها شريعة اسرائيل . فالشريعة تنظم عندهم احتفالات العبادة وتعين اعياد (السبت كل سبعة ايام والفصح ذكرى خروجهم من مصر وجمعة الحصاد وعيد المظال في موسم قطف العنب) والشريعة هي التي ترتب الزواج والاسرة والتملك والحكومة وتعين العقوبات على الجرائم وتحدد الاطعمة والادوية فالشريعة عندهم والامر على ما ذكر مجلة الاحكام الدينية والسياسية والمدنية

والجزائية ولمولى الاسرائيليين تعالى أن ينظم أعمال حياتهم جميعها

(الديانة الفت الشعب اليهودي) لم يقبل الاسرائيليون بحكم الله قبول

من خضع وخضع فقد قال موسى للاويين وهو على فراش الموت دافعاً اليهم كتاب الشريعة « خذوا هذا الكتاب ليكون شهادة عليكم يا اسرائيل لاني عارف بما أنتم عليه من شكاسة الخلق وقساوة القلب ولم تبرحوا طول حياتي تبدوون نواجذ العصيان على المولى القيوم فليت شعري ماذا يكون من شأنكم بعد مماتي . وقد حدث أن مرت قرون ومن العبرانيين من يعبد الاصنام وربما كانت هذه الفئة هي السواد الاعظم من الامة على انهم أصبحوا أشبه بسائر الساميين في سوربة وظل الاسرائيليون وخدمهم على قدم الاخلاص للمولى جل شأنه فتألف منهم الشعب اليهودي وخرج الشعب المبارك بدين الله المتعال من قبيلة مجهولة على التدرج . نعم انها لامة قليلة الحصى والعدد ولكنها من الامم التي لها الشأن الاعظم في تاريخ العالم

« نملكة القدس »

القضاة -- نزل العبرانيون أرض فلسطين ولكنهم ظلوا منشقين قروناً كثيرة لم يكن لذاك العهد كما تقول التوراة ملك لاسرائيل بته بل كل يعمل على شاكلته ويحكم بما يوحى اليه رايه . وكثيراً ما كان الاسرائيليون ينسون ربهم ويعبدون أرباب القبائل المجاورة فاستشاط ربهم عندئذ غضباً من سيئات أعمالهم وأسلمهم الى أيدي أعدائهم يفعلون بهم الافاعيل حتى اذا ندموا على ما فرطوا في جنب الله وأصبحوا خاضعين خائفين يرسل ربهم اليهم قضاة يسمعون في خلاصهم من أعدائهم المباغتين وربما مات القاضي وعاد ديب الفساد يدب في نفوس الاسرائيليين فيسجدون لمعبودات أخرى . وكان

هؤلاء القضاة مثل جدعون ويفتاح وشمشون من الغزاة يحررون القبائل باسم القيوم الابدي ثم لا يلبث الشعب أن يعود الى عبادة الاوثان والتلطخ بحمأة العبودية

الملوك - سئم الاسرائيليون آخر الامر وطلبوا الى شمويل (سموأل) الكاهن العظيم أن يجعل لهم ملكاً فلما عليهم شاول على رفقهم ارادته وكان على هذا الملك أن يكون منفذاً خاضعاً لارادة الرب لكنه حاول الخروج عن الطاعة وشق عصا الجماعة فراح الكاهن العظيم يقول له : لقد نبذت كلام الله ظهرياً فسيبعدك ربك عن الحكومة وينزع السلطة من يدك . ثم ان داود وكان زعيماً جندياً خلفه وحمل على أعداء اسرائيل كافة واسترجع لهم جبل صهيون ونقل اليه عاصمته وهي القدس .

بيت المقدس - كانت القدس بالنسبة الى بابل وثيبة عاصمة بلاد فقيرة . وما كان العبرانيون يتعاطون البناء ويعيلون الى العمران بل كانت ديانتهم تحظر عليهم اقامة المعابد وكان يقضى على مساكن الخاصة أن تشبه تلك المكعبات من الحجر التي لا تزال تشاهد الى اليوم في شواطئ لبنان وقد غشيتها الكروم والتين ولكن كانت القدس بلد اليهود المقدسة وكان فيها للملك قصر يسكنه ألا وهو قصر سليمان الذي دهش العبرانيون بعمرشه المصنوع من العاج وهناك أقيم بيت الرب وهو أول معبد عبراني

المعبد - كان المعبد الذي أقيم على عهد سليمان كبيت القربان المقدس عند النصاري مقسوماً الى ثلاثة أقسام ففي داخله يقوم قديس القديسين حيث كان تابوت العهد ولم يكن يسمح لغير الكاهن العظيم أن يدخله مرة في السنة وفي وسطه المكان المقدس وكان فيه مذبح البخور ومسرحة ذات أغصان

سبعة ومائة الخبز يدخل اليه الكهنة لحرق الغالية ووضع القرابين وفي المقدمة ساحة البيعة مفتحة أبوابها للناس تنذر فيها الضحايا على المذبح الكبير. وعليه فقد صار معبد القدس بعد واسطة عقد الامة يقصدونه من اقاصي فلسطين لحضور الاحتفالات وكان الكاهن الكبير الذي يرجع اليه أمر العبادة من أعظم الرجال وربما كان في الاحياء اكبر سلطة من الملك

الانبياء

نكبات اسرائيل - ان سليمان آخر ملك عرف بالحول والطول وانفصل بعده عشرة اسباط ألفوا مملكة اسرائيل تلك المملكة التي عبد سكانها عجول الذهب وأرباب الفينيقيين ولم يخلص منها الدين لله وحده أو ملك بيت المقدس سوى سبطين ومنهما قامت مملكة يهوذا (٩٧٧) ولقد انتهكت قوى تينك الملكتين بما اضطررا الى دخوله من المعارك حتى اذا جاءتهما جيوش الفاتحين من الشرق خربت مملكة اسرائيل بايدي مختصر ملك الكلدان (٥٨٦)

احساس الاسرائيليين - رأى المؤمنون من الاسرائيليين هذه المصائب عقوبة لهم وان الله عذب شعبه لخروجه عن طاعته على نحو ما جرى قديماً على عهد القضاة وأسلمه للفاتحين يمزقونه كل ممزق. وركب أبناء اسرائيل هوامم واجتروا الآثام في جانب مولاهم فبنوا علالي وقصوراً في المدن كافة وحذوا حذو الامم المحيطة بهم خالفوا بذلك أمر ربهم وما حرمه عليهم فصنعوا صوراً مسبوكة وسجدوا للكواكب وعبدوا الصنم بعزل ولذا نبذ الله تعالى أصل اسرائيل وعاقبهم فجعلهم طعمة لمن يكتسح بلادهم ويسلب طارفهم وتلادم الانبياء - على ذلك العهد ظهر الانبياء وهم الياس وأرميا وأشعيا وحزقيل وفي العادة أن يخرجوا من القفر بعد أن يقضوا زمناً في الصيام والصلاة

والاعتبار والتدبر يأتون باسم الله لا غزاة مثل القضاة بل منذرين وسبشرين يدعون الاسرائيليين الى الانابة وقلب الاصنام والتوبة الى باري النسم وينذرونهم بالخطوب التي يبعثها الله عليهم بعد اذا لم ينيبوا اليه فكانوا من ثم بدعون ويتنبأون التعليم الجديد - رأى هؤلاء الرجال المستمسكون بالامر الالهي أن العبادة الرسمية في القدس غثة باردة . وليت شعري لم يذبجون البقر ويحرقون البخور اجلالاً لله على نحو ما يفعل الوثنيون . يقول عيسو : « أصيخوا إليَّ باسمكم وعوا ما يقوله تعالى : ما ذا أعمل بجموع قرايئكم فقد شبت من ضحايا الغنم ومن دهن الحيوانات السمينة وما عاد يلذ لي دم الثيران ولا الخرفان ولا التيوس فكفوا إذاً عن أن تقدموا لي ضحايا هي من العبث فان نفسي عزفت عن استنشاق بخوركم ومتى ترفعون أيديكم أحول نظري عنكم لان أيديكم ملأى بالدم المهرق فقوموا وطهروا أنفسكم وارجعوا عن سيئات أعمالكم عودوا أنفسكم عمل الصالحات وخذوها بتوخي طريق الرشاد وحماية المظلومين واقسطوا اليتيم ودافعوا عن الایم وعند ما تصير خطاياكم كالقرمزي حمراء تبيض كالثلج » وبهذا رأيت ان الانبياء أرادوا الاستعاضة عن القيام بالندور والضحايا بالعدل وصالح الاعمال

المسيح - استحق بنو اسرائيل ما دهمهم من المصائب ولكن لكل قصاص حد ينتهي اليه وغاية يقف عندها فقد قال عيسو باسم الحي القيوم أيها الشعب لا تخشى الاشوري أبداً فانه سينالك من عصاه مثل ما كان ينالك من المصري في الزمن الغابر ولكن ستفتنأ سورة غضبي قريباً ويرفع عن كاهلك ذاك العبء الثقيل . وعليه فقد علم الانبياء الشعب اليهودي أن ينتظروا بعثة من يخلصهم وهيأوا السبل للمسيح

الشعب اليهودي

الرجوع الى بيت المقدس - جاء اناء يهوذا من سهل الفرات ولم ينسوا وطنهم ولطالما احتفلوا به وتذكروه في أناشيدهم يقولون جلسنا على شاطئ انهار نابل ونيكينا وقد ذكرنا صهيون . معيدنا كانت معلقة في ابحار الصنفاص على ضفة النهر وكان يقول لنا من أتوا لنا : تعنوا بضع أناشيد من جبل صهيون ولكن أنى لنا ان تنغى بشيد الرب في ارض غريبة . وبعد سبعين سنة في العبودية اذن سروس فاتح بلاد نابل ان يعودوا الى فلسطين مجددا بناء البيت المقدس والمعبد وعادوا الى احياء الاعياد والاحتفالات المكتبة المقدسة وحددوا العيد مع ربهم علامة على املهم عادوا الى طاعته وعدوا من تبعه وهذا العيد عبارة عن ميثاق على الاصول كتبه اعيان الشعب ووقعوا عليه .

اليهود - دامت مملكة القدس الصعري مدة سبعة قرون يحكمها ملك تارة وكاهن كبير أخرى وفي كلتا الحالتين كانت تؤدي الحرية الى رعاء سورية محي حراها الفرس اولا ثم المقدونيون ثم السور يون ثم الرومانيون . ولقد صدق اليهود (دعوا كذلك لدن رجوعهم) مع ربهم ظلوا على عبيدهم الاول من العمل شريعة موسى والاحتفال بالاعياد وتقديم النذور في القدس وكان الكاهن الاكبر يحفظ الشريعة تطاهرة مجمع الاعيان والكهنة يقولونها والعلماء يفسرونها للشعب وجمهور المؤمنين يرون من واجباتهم الحري عليها واهمل بدقيقتها وجليليا واشتهر الفريسيون خاصة بعيرتهم وتغنيهم في القيام صروب الاعمال الصالحة

المدارس (اكنائس) - ومع هذا فقد كان اليهود يرحلون في التجارة وينتسرون خارج بلادهم في مصر وسوريا واسيا الصعري وايطاليا وكانت طائفة من اهل مذهبهم في المدن الكبرى جميعا كالاسكندرية ودمشق وانطاكية وافيس وكورت ورومية وكانوا اذا مجتمعون في صعيد واحد ليحفظوا كيانهم ويجمعوا تملهم المشتتات بين الوتبيين ولم يقيموا المعابد لان الشريعة كانت تحظر عليهم ذلك وليس لهم ان ينشؤوا سوى معبد يهودي واحد الا وهو معبد القدس حيث كان يحتفل بالاعياد وتقام المواسم والشعائر بيد اهلهم كانوا مجتمعون ليشرحوا كلام الله ويتلوه ودعيت هذه الاماكن باسم يوناني (الكنائس) ومعناه المجالس حراب المعبد - ظهر المسيح في حلال تلك المدة فصاحبه اليهود واضطهدوا حواريه سواء كان في بلادهم او في المدن الكرى التي حل فيها اجم الغفير منهم . ولقد شقت القدس عصا الطاعة عام ٧٠ على الرومانيين فاحذت عنوة وذبح سكانها كافة او بيعوا الاماء والعبيد فالتى الرومانيون النار في المعبد وقد حفل وطابهم بالاعلاق المقدسة . ومن يومئذ لم يعبد لليهود مجمع لدينهم

ما كتب على اليهود بعد تفرقهم - عاشت الامة اليهودية بعد خراب عاصمتها ولما انتهت
شبابها تحت كل كوكب في العالم اشأت تستغي عن المعمد وابقت كتبها المقدسة مكتوبة
بالعبرية . والعبرية لغة بني اسرائيل الاصلية لم يتكلم بها اليهود منذ رجوعهم من بابل بل اقتبسوا
لغات الشعوب المحاورة كالسريانية والكلدانية وخصوصا اليونانية . على ان الموزين في الدين
من الربانيين ظلوا يعرفون العبرية وهم يترجون التوراة ويفسرونها وهكذا حفظت الديانة
اليهودية ونفصل اللغة العبرية ايضا بقي الشعب اليهودي وكثر اشباع هذا الدين في الاعمار
فكان في المملكة الرومانية اس كتيرون من يدينون باليهودية وليسوا من العنصر اليهودي
في تبي .

قويت شوكة الكنيسة المسيحية في القرن الرابع مطفقت تصطهد اليهود اصطهادا دام
الى يوم الناس هذا في البلاد المسيحية جميعا . ومن العادة ان يتسامح مع اليهود في احراء مراسيم
ديانتهم لعناهم واسندارهم بفروع الاعمال المالية وكنسهم يحومهم عن ممارسة الوظائف الادارية
ولقد اكرهوا في معظم المدن ان يلبسوا ثيابا خاصة ويلبوا في حي خاص مظلم وحيم وبيل
وان جمعوا احيانا باحد صنف في سدد الفصح والاس يرمونهم اليهم يسمعون اليمابيع ويقتلون
الاطفال ويدسون القربان المقدس ورتما يتورون بهم في الاحاس فيقتلونهم ويعمون ما في
دورهم ويستقيهم فضاة البلاد السم او يعدونهم او يخرجون لافل حجة آبهة ولطائما بهم
الحكومات روافد من الاداء وصادرت امواهم ولقد اجتبت دار اليهود من فرنسا واسبانيا
وانكرا وايطاليا ولم تقم منهم قية الا في الادار العمل والمالية وولوبيا وفي البلاد الاسلامية
ومن هذه الممالك رحعوا الى سائر افراس اوروا منذ انتهت ايام اصطهاداتهم وكف الناس
عن ارهاقهم واعنائتهم



الفرس

دين وردشت

ايران - بين مهري دجلة والسند وبحر الخزر والخليج الفارسي صقع عظيم يعرف ببلاد ايران تبلى مساحته خمسة اضعاف مساحة فرنسا او تريد ولكن معظمه مخدب قاحل وهو يتألف من صحارى رمال محرقة ومن المحاذ باردة فارسة تشقها اودية عميقة شجرا؛ وتحيط بها جبال شاهقة. واد حيل بين الاهوار وحريها وهي لا تسير الا ربما تصيع في الرمال او في بحيرات مالحة. ويستند هوا هذه البلاد ويقلب فيكون حرا في الصيف وقرنا في الشتاء وقد يجتار من يهبط هذه البلاد من منطقة تبلغ درجة حرارتها نحو ٣٢ تحت الصفر الى منطقة حرارتها ٢٥ ستفرادا بمعنى ان تلك البلاد جمعت الى ردسيريا حرارة السبعال. وهناك تعصف الرياح الرارغ فمعل في الاحسام فعل الحسام. بيد ان الاودية وضفاف الاهر محصنة منبهة. وهذه البلاد هي ولا حرم مصدر الدراق وتخر الكرم ومسنت التمار والمراعي الايرانيون - سكنت بلاد ايران قدامى من الآريين (١) القاطنين بلخ اي بكتريا وهي الوطن الاصلي للخمسة الآري (كانوا كسائر ابناء هذه البلاد حنسا من الرعاة المسلمين المخاربين. ولقد كان الايرانيون يقاتلون على ظهور الخيل ويطلقون السهام ويسبون البسة من الخلد يجمعونها وقاية على ادمانهم من هوا الادهم الشديد.

رردشت - عند الايرانيون اولاً ما عبده قبله الآري من قوى الطبيعة وخصوص الشمس "ميتر" وقام بن اظهارهم حكمهم اسمه رردشت (٢) له ادد وله كتب كثيرة منها ما له علاقه بالشريعه ثم ظهر رردشت واصلى هذا الدين (ويبدو ان الفرج زرواستر ما صلح ديانة الايرانيين بين القرن العاشر والسادس قبل الميلاد ولم يبعثوا من احباره غير اسمه. الراندافسنا (الزردو نازدوا فاستن) - لم يبق شيء مكتوب يؤرخ عن رردشت ولكن تعاليمه المؤلفة بعده يرمن طويل قد حفظت في الراندافسنا اي التي يعة والاصلاح وهو كتاب الفرس المقدس. وقد كتب هذا السمر بلغة قديمة لم يفهمها اتباع هذا المذهب انفسهم ودعواها

(١) ما كان في هذا الفصل بين هالين هو في الغالب من املاء العالم الدكتور مرزا مهدي حان زعيم الدولة ورئيس الحكماء صاحب جريدة حكمت الفارسية انجرا - بمصر واليه رجعا في تصحيح بعض الاعلام

اي الافرنج باربد « وكانت تقسم علي ماورد في اساطيرهم الي احدى وعشرين نسخة كتبت علي اثني عشر الف جلد تورصم بعضها الي بعض باسلاك من الذهب وادادها المسلمون لما فتحوا بلاد فارس واحفظت بعض اسرات ايرانية بتعاليم زردست واخلصوا دينهم له فلجأوا الي بلاد الهند فحفظ فيها احلافهم المدعون ناريسس تلك الديانة القديمة . وقد وجد عندهم سفر تام من الرانداوسنا وقطع من الكتابين الآخرين

اورمزد «هرمز وهرمس» واهرمين «رمر الي العقل والفس وعمد العامه اله الخبير والسر» هذه ديانة زردست علي نحو ما ورد في تلك الكتب الا ان هرمر الذي يدعوه الافرنج اورمزد وهو الديان الذي لا يحمي عليه شي : خلق العالم والقوم يصلون له بهذه الالفاظ ادعوا الخالق هرمر واحتمل شعائره فانه الدور والضياء عظيم رحيم كامل تنهم ذكي جميل سام طاهر يعرف العلم الصحيح مصدر اللذة وهو الذي برأنا وصورتنا واضعنا « واذ كان علي جانب من الصلاح لم يخلق الا ما هو كذلك وما يرى في العالم من شر فقد برأه رب الشر انكرام انبو اي روح العذاب ويدعوه اهرمين (وديو اي شيطان)

الملائكة والشياطين - يقف اهرمين الشقي المخرب قبالة هرمر الباريء الحليم ولكل منهما طائفة من الارواح جنود هرمر الملائكة المظهرون « ياراستا » وحمود اهرمين شياطين حبة (ديو) ويسكن الملائكة في المتبرق في سوء المتبرق والشياطين في العرب في ظلمات السفق وكلا الحيتين لا يزالان في حرب دائمة والعالم ساحة قتالهما لان كليهما حاضر في كل مكان ويسعى هرمر ولا نكته الي الاحتفاظ بالخلق واسعادهم وصلاحهم ويطوف اهرمين وشياطينه حولهم لاهلاكهم وسوء طالعهم وظلاحهم

حلائق هرمر واهرمين - كل حسة في الارض هي من صنع هرمر وتستخدم للخير والتمس والضياء اللدان يطردان الليل والنكواك والشراب الخمر الذي يتراءى كأله ضوء سيال والماء المروي للانسان والحقول المروسة التي تغدبها والاشجار التي يستظل بها والحيوانات الالهية والكب والطيور منها خصوصا ما يعيش منها في الضوء ولا سيما الديك لانه يبشر بالنهار هذه كلها برأها هرمر . وعلي العكس يبعث كل ما يدبر من اهرمين فيكون تراء مثل الليل والخفاف والبرد والفقر والذبابات السامة والتسوك والحيوانات الكاسرة والافاعي والحلمات الطفيلية (كالبعوض والبراغيث والبق) والحشرات التي تعيش في الحجور المظلمة كالصبايا والعقارب والصعادخ والحردان واثمل - وهكذا تبعت الحياة والطهارة والحقيقة والعمل وكل ما حسن في عالم الاخلاق من هرمر . والموت والقذارة والكذب والكسل وكل ما حبت وساء يبعث من اهرمين

العبادة - مصدر العبادة والاحلاق من هذا الاعتقاد فعلى المرء ان يعبد رب الخير (١) ويناضل عنه . يقول هيرودتس : ان من عادة الفرس ان لا يقيموا هياكل ومعابد ومذابح للارباب و يعبد من أتى ذلك كافراً بالنعمة لان هذه الامة لاتعتقد اعتقاد اليونان من ان الارباب صورة على نحو صورة البشر . وان هرمليبو هيئة النار او الشمس ولذا يحفل الفرس بعبادتهم في الحلاء على الجبال امام موقد مشتعل ويستدون الاناسيد تحيداً لحرر و يذبحون له الحيوانات (كذا) دليلاً على عبادته

الاخلاق - احصل الاساس عن هرمر محسناً لعمله مفتحاً لعمل اهرتين فيجاهد في الظلمات وهو يد النار بالحطب الخاف والعطور ويجاهد في القفر بحرت الارض وابتداء البيوت ويجاهد حيوانات اهرمين قبل الحيات والصاب والحلمات الطفيلية والحيوانات الكاسرة ويجاهد الدس وذلك انه يتطهر ويدفع عنه كل ما مات وحسوا الاطافر والشعور وحيثما وجدت الشعور والاطافر المتقصصة هناك يجتمع الشياطين والحيوانات القدرة . ويجاهد الكذب حارياً على قدم الصدق . قال هيرودتس ان الفرس يستنحون الكذب وهو عندهم عار وسبة كما انهم يكرهون الاستدانة لان المديون يكذب بالضرورة . ويجاهد الموت وذلك بالرواج والاستكمار من الولد . حاد في الرأبداستما افصح البيوت التي حرمت من الدسل والدراري الحائر - متى مات الاساس تعود جسمه الى رب الترو ولذاك يتبعني انقاد الدار منها لا باحراقها فانها تحبس الدار ولا تدفنها فانها تحبس الارض ولا اغراقها فانها تحبس الماء ومن فعل ذلك فيكون قد تلطخ بحماة القذارة ابد الدهر . وطريقة الفرس في دفن موتاهم تختلف عن غيرهم من الامم فيجعلون الحنة في مكان عال مكشوفة حتمها نحو السماء مثقلة بالحجار ثم يركعون الى الفوار حسية من الشياطين لانها تجتمع روعهم في اماكن الدفن حيث مأوى المرض والحنى والقذارة والرعب والشعور القديمة وعندها تجي الكلاب والطيور وهي من الحيوانات الطاهرة فتظهر احتمة باقتراسها

مصير الارواح - تفصل روح الميت عن جسده وفي اليوم الثالث من موتها يؤتق بالروح على الصراط (شيبواد) المؤدي الى الجنة ماراً فوق هاوية حتم فيسأل هرمر الروح عندئذ عن حياتها السالفة فان كانت محسنة تعصدها الارواح الطاهرة وارواح الكلاب وتأخذ بيدها لاجتياز الصراط ويدخلها الى مقام السعداء (برودس اي فردوس)

(١) ان بعض رادفة الفرس اميندا (هـ في ارض الحريرة) يعبدون رب الترعلى عكس ذلك و يذهبون الى ان امدب الخير لما كان في داته صالحاً ورحيماً لاحتاجة ان يخضع له و يقترب اليه باواع القربان وتدعى هذه الطائفة اليزيدية (عبدة الشيطان) قاله المؤلف

فيهرب الشياطين لانها تنجى عن روح الارواح النقية اما روح الشرير فيضل على العكس من ذلك الى الصراط ضعيفة مرنجة لا يأخذ احد بيدها ويلقي بها الشياطين في الهاوية ويتناولها روح الشر ويقيدها في قعر الظلمات .

طبيعة الديانة الهرمزية او الهرمسية المردية - نشأت هذه الديانة في بلد يستند فيه الاحتلاف والتناقض ففيها الاودية الباسمة زرعتها والاراضي البائرة المحزنة والواحات الرطبة والفقار المحرقة والحقول والسهول الرملية بحيث نراه في قوى الطبيعة فيها كأما في حرب عوان اندأ . وهذا الجهاد الذي يمثل الفارسي فيما يحيط به قد اتخذه تسريعة للعالم . وهكذا تألفت ديانة حالصة من التسائب تدفع بالانسان الى العمل والفضيلة على حين قد انتشر هذا الاعتقاد بالشیطان والخن في الغرب وتعل شعوب اورنا كافة بالاوهام

المملكة الفارسية

الماديون (١) - سكنت بلاد ايران عدة قبائل ولم يستقر من بينها سوى الماديون والفرس حيم الماديون في غرب بلاد فارس وهم اقرب الى الآشوريين ولذلك كان على ايديهم حراة يسوى والادها « ٦٢٥ » ولكن لم يلبسوا ان استعرقوا في الترف وانشأوا يتحدون بياها مسدولة وبألعون البطالة ويعقدون اعتقادات حراية تشاء الآشوريين والاقاطين وما رالوا على ذلك حتى امروحو معهم اي امراج

الفرس - اما الفرس فكأنوا في الاتحاد الشرقية (والجنوبية) واحفظوا اخلاقهم وديانهم وشدتهم . يقول هيردوتس ان الفرس لا يعلمون اولادهم الى سن العشرين عبر ركوب الحبل ورمي النشار وقول الصدق .

قورش اوسيروس او كخسرو - قام رئيسهم قورش حوالي سنة ٥٦٠ وخلق ملك الماديون (الذي هو حده لاهه) وجمع تحت لوائه شعوب ايران كافة ففتح بهم ليديا وابل وجميع بلاد آسيا الصغرى . ويروى لهذا الملك قصة مضاهية هيروودتس في تاريخه سافيا قال انه دعا نفسه في بعض مازره على الاحجار بقوله انا قورش ملك الكيناب والعظمة والافندار انا ملك اابل وسومير واكاد ملك الاقاليم الاربعة وابن كبير (كيكاكوس) وسلطان سوزان رسوم يستون - اهاك كبير نكر اولاد قورش احاه سمرديس وفتح مصر (على قول اليونان) علمنا ذلك مما انفصل بنا من الرسم الذي مثل فيه ذلك ولا تزال ترى الى اليوم في نقوم الفرس

(١) (بلاد مادي اسمها العرب بلاد الجبل والعراق المجعي واررنايجان واسرabad اي ولايات فارس وكرمان ومكران اي بلوچستان وخراسان)

وسط سهل افيج صخرة هائلة تحتت نحتاً عمودياً علوها ٢٥٠ متراً وهي صخرة يستون وهناك حروف ناتئة على الحجر تمثل ملكاً متوجاً ويده اليسرى على قوس وهو يدوس اسيراً وتسعة اسرى آخرون واقفون امامه وقد قيدهم بنفسه . وكتبت ترجمة حياة الملك في رسم بثلاث لغات فقد اعلن الملك دار يوس « دارا » ذلك فقال : هذا ما قت به قبل ان اعدو ملكاً فقد كان كمبيز بن فورس من بني جنسنا يحكم هنا قبلي وكان له اح لايه وامه واسمه سميرديس قتل دات يوم كمبيز احاه سميرديس ولا علم للقوم بما حنته يداه . ثم وجه كمبيز وجهته نحو مصر وبينا هو نازل فيها تار به الشعب وكان قد اصبح الكذب مألوفاً اذ داك في تلك البلاد وفي بلاد مادي وسائر العائلات فقام موبدان « ١ » كان حاضراً اذ داك اسمه عوماتا وحدث الامة بقوله : انا سميرديس بن فورس وعندئذ انقض الشعب اجمع واصرفوا نحوه متغلبين عن كمبيز . تم قصي كمبيز محمد بحراج حرج نفسه به وبعد ان اتى عوماتا ما اتى من هذه الحيلة واستلب من كمبيز بلاد الفرس ومادي وسائر الاقطار حرى في الحطة التي شاءها وصار ملكاً على هذه البلاد وحاكماً متحكماً في اهلها . فخافه الشعب لظلمه وكان لا يستكشف من قتل الامة عن بكره ايها اللئلا تنكشف حيلته ويعرف القوم انه لصيق لسميرديس بن فورس ودعي في اسمه وقد اظهر لملك دار يوس هذه الخديعة ولم يكن احدي في بلاد الفرس ومادي يجرأ على استرجاع تاج الملك من هذا الموبدان عوماتا . قال دارا بعد ان قدم ما سأل وعندئذ تقدمت ودعوت الرب هرمز فاني التوسل به وكان في صحبتي ناس دوو احلاص وسدق واعانوني على قتل عوماتا وخاصة رحاله فاصبحت ممكاً متبينة هرمز واستعدت الملك الذي كان ذو قومنا سلجوه وارجمته الى حورتي واحدت اعيد المدايح التي طوى بساطها الموبدان عوماتا . وذلك لاني كنت نخلصاً للامة واعدت الانبياء والاحتفالات المقدسة الى سابق عيدها . واضطر دارا بعد ان صرب داك الدحيل عوماتا ضربة قاضية ان يقاتل عدة زعماء تاترين فقال لقد قاتلت تسع عشرة مرة وعلبت تسعة ملوك

المملكة الفارسية - علم تمامضى ان دارا احضع المملكة المختلطة واعاد مملكة الفرس وقد وسع نطاقها بفتح تراس « تراتيا وهي اليوم بلاد البلغار والرومي » وولاية من الهند . وكان ينضم تحت لوائه شعوب الشرق اجمع من ماديين وفرس واشوريين وكلدانيين ويهود وفيقيين وسوريين وليديين ومصريين وهنديين فكان سيف سطوته يحجي الاصقاع الواقعة بين نهر الدانوب « الطونة » غرباً وهرالاندوس (السند) شرقاً وبين بحر الحرر شمالاً الى شلالات النيل جنوباً . مملكة لم يعهد لها متيل في الضخامة (١٢٠ مملكة) بيد ان قبيلة جاءت بمد

واستولت على تركة الممالك الآسيوية باجمعها

اقبال الفرس - فلما يعنى ملوك الشرق بامر رعاياهم الا ليستنزفوا اموالهم ويمتهنوا في سبيل سلطانهم ابتناءهم وبنالوا مديحهم وتناءهم وما قط اخذوا انفسهم النظر في شؤون من يحكمونهم. وكان شأن دارا (١) في هذا المعنى شأن سائر ملوك الشرق ترك كل قبيل في بلاده يحكم نفسه على ما يشاء ويشاء هواه مخفطاً بلغته ودينه وشرائعه واحياناً برؤسائه وساداته من قبل . على انه كان يعنى بتنظيم دخل المملكة الذي ينقاضه من رعاياه فقسم بلاده الى عشرين (١) حكومة سماها اماراة . وكان في كل حكومة شعوب مختلفة كل الاختلاف سواء كان بلعتها او بعاداتها ومعتقداتها وكان على كل حكومة ان تؤدى مساهمتها حراجاً معيناً بعضه نقد " ذهب وبصه " وبعضه علات وبوانج " قمح وحبل وعاج " ويتقاضى حاكم كل مقاطعة او قبيلها من وسد اليه امرها الخراج ويبيع به الى مولاه الملك

دخل المملكة بلغ مجموع دخل الملك ثمانين مليوناً سككاً زماناً ما عدا حراج العلات . واذا اعتبرنا قيمة النقود في ذلك العصر فماها تعادل ستانته مايون جنيه (؟) في ايامنا . وكان الملك يتق هذا على حكومته وحيثه وحاضته ودخ قصره ويبي عنده كل سنة سمانت عظيمة من العين يدخرها في صايقه وكان ملك الفرس مثل سائر المشارقة يرى امتلاك الكنوز العظيمة من دواعي الامة والتجدد

السلطان الاعظم - لم يكن في العالم اعلى ولا اقدر من ملك الفرس فقد كان اليونان يدعونه السلطان الاعظم . (ملك الملوك شاهنشاه) وكان له كسائر ملوك الشرق سلطة مطلقة على رعاياه كافة فرسا كانوا ام غيرهم من سائر الشعوب الخاضعة لعرشه . وات ترى فيما ذكره هيرودتس كيف كان كبير يعامل اعظم سادات قصره سأل يوماً بريكستاس (بري كشتاسباي روح العظمة) وكان ابنه يسقيه ماداً تقول الامة في امري ؟ فاحابه . مولاي انهم يثنون على محامدك اطيب التناء ولكنهم يذهبون الى ان لك ميلاً قليلاً للعدو

١ (هو ائندع طريقة الريد وتجنيد العشرة والمئات والالوف الخ وحمل لكل مملكة حاكماً مدنياً وحاكماً عسكرياً وحمل كلا عينا على صاحبه يرسلان اليه بتقاربها كل اسبوع)

٢ قال المؤلف ذكر هيرودتس عشرين حكومة وقد عثر في الرسوم المزبورة على احدى وتلاتين حكومة قال مرزا مهدي حان الظاهر ان هذا الالتباس في تقدير الاعداد جاء من ان ممالك هذا الفاتح العظيم كانت منقسمة لثلاثة اقسام منها مملكتا مادي والفرس الخاصة وما بقى منها قسمان قسم استعماري وقسم استملاكي

قال كمبيز وقد استشاط غضباً من هذا . اعلم اذا كان الفرس يقولون حقاً وصدقاً . فاذا انا رميت
بسهمي قاب انك الذي تراه واقفاً امامك في هذا البهو فذلك ان الفرس لا يعرفون ما يقولون .
وما هو الا ان اعد قوسه وضرب ابن بريكتاس حراً الفتي صريعاً مجاهد الملك بنظر ابن
اصابه سهمه فراه قد اصماه ومزق حشاه . فاسنفر السرور الملك وقال لوالد العلام وهو
ضاحك : لقد رأيت بهذا ان الفرس قد اخضعوا رثدهم فقل لي هل عهدت احداً يطلق
السهم اطلاقاً له فيصيب العاية على ما رأيت من الرثافة . فقال بريكتاس لا اعتقد ايها
المولى انه في وسع الرب نفسه ان يرمي النبال متلك في الدقة والاعتدال

اعمال الفرس — ادى شعوب آسيا في كل دور من ادوارهم جرية للفاتحين وحصعوا للظالمين
والغاشمين فنفعهم الفرس كثيراً بان كفوا بعضهم عن مقاتلة بعض وازالوا من بينهم اسباب
الستناء وذلك لانهم اخضعوا كل الشعوب لرئيس واحد . وكان عهدهم عهد سلام لم تهد
فيه مدن تحرق ولا ديار تحرب ولا سكان تذبح او تؤخذ زرافات وافواجاً لتستعبد

مدينتا سوس ورسوبوليس (١) — عني ملوك الماديين والفرس باقامة القصور على نحو
ما كان يقيم ملوك اشور . واحسن ما اتصل بنا خبره من تلك القصور قصور دارا في سوس
وبرسو بوليس وقد حفر المسيو ديولاموا الافراسي خرابات سوس ففتر فيها على نقوش وقرامد
مرينة بالميناء تبين ارتقاء الصنائع اذ ذاك وبقيت من قصر الرسوبوليس خرائب عظيمة
وقد نحت في صخر الجبل سطح عظيم قام عليه القصر وهو يوصل اليه سلم واسع بالمحدار قليل
يحيط كان يتأني لعشرة فرسان ان يصعدوه معاً

النقش الفارسي — حدا نقاشوا الفرس حذو الاشوريين في اقامة قصورهم فتجدها في
برسوبوليس كما تجدها في بلاد اشور سقفوا متسعة السطوح بحرسها اسود من الحجر والنقوش
النائية تمثل صيوداً واحفالات . وقد احسن الفرس في اتمام نموذجاتهم في ثلاثة اشياء
وذلك بان استعملوا الرحام عوضاً عن القرميد وحملوا في الردهات سقفاً بالخشب المصور واسأوا
اعمدة خفيفة على شكل جدوع الاشجار في اقصى ما يعلم من الخدافة واللفظ وهي اعلى من
محيطها باثنتي عشرة مرة . ولذلك جاءت نقوشهم اجمل اترأ ووقع في النفوس من نقوش
بلاد اشور . ولما نجح الفرس في الصنائع ويظهر اهم كانوا احشم شعوب ذلك العصر
واظهرهم واتجمعهم وكانت وطأة حكمهم في آسيا مدة قريين اقل حوراً مما عرف من ضرب
الحكومات وكانوا اميل الى الرفق بمن يحكمون

(١) (سوس في ولاية شستري التي ظهرت فيها تريعة همورابي ورسوبوليس هي
اصغفر في ولاية فارس بالقرب من مدينة شيراز)

اليونان

العناصر اليونانية

صورة هذه البلاد - ارض يونان من الاقاليم الضيقة المضطرب (هي ٥٧٠٠٠ كيلومتر مربع) لا تكاد ماحتها تزيد عن مساحة سويسرا ولكنها بما فيها من اختلاف الالهوية وما يخللها من الجبال وينقسمها من الخلجان اقليم غريب في شكله خلق ليؤثر تأثيراً كبيراً في احلاق ساكنيه . ونقطع ارض اليونان من وسطها سلسلة من الجبال (البند) فيناوح الجبل فيها جبلاً مثله ويقوم الصخر الى جانب الصخر حتى اذا بلغ ترعة كورت ينخفض وترتفع مقاطعة المورة في الجانب الآخر من التربة فيعلو عن سطح البحر ستمائة متر كأنه حصن احاطت به سلاسل عالية وعرة متلجة تنزل في البحر على خط قائم وتمتد الحزر على طول الشاطئ وما هي الا حبال مغمورة يمراسها فوق الماء . ونقل في هذه الارض ذات الوهاد والتجاد التربة الزراعية وتكاد لا ترى حيثما القيت ناظرك غير صخور جرداء مرداء اما الانهار فتسبه سيولاً ليس فيها غير طريدة ضيقة من التربة المنبثة بين مجراها ونصفه جاف وبين صخور الجبال الخرداء . وكان في هذه البلاد الجميلة بعض عابات واتجار سرو وعار ونخيل وكروم عرس في مواضع من التلال ولكن فلذات اعلاات جيدة او بمراعي حصية . فبلاد هداشاً طبيعتها يشأ انناؤها من قوة اجسادهم قاعة نفوسهم .

البحر - تعد بلاد يونان من البلاد الساحلية وهي اصغر من البرتغال وسواطئها تكاد تقرب من شواطئ اسبانيا تكثرتها بساب فيها البحر من عدة خلجان ووقائع (١) وتجار . ومن العادة ان يحيط بالبحر صخور تتقدم او جرر لتقارب يتألف منها مرماً طبيعي . وهذا البحر اشبه بحيرة لا مد فيهما ولا جزر ولذلك سلت سواطئه من الصرر وليس لونه كالبحر المحيط ابيض كامداً كثيراً وهو في العادة هادي ، صاف ولونه كالبنفسج كما يقول هوميروس ولا اكدر استعداداً من هذا البحر للسفر فيه سفراً قصيراً . ولقد تهب ريج الشمال صمجة كل يوم فتسير بها قوارب مدينة آتينه نحو آسيا وتقدفها ريج الجنوب في المساء الى المرفأ والحزر من بلاد اليونان الى آسيا الصغرى قائمة مثل صخور الكمين واذا صحت السماء تقطع السفينة المسافة وهي بمقربة من اليابسة تراها كل حين . ولذلك كان لسكان هذه البلاد من سكنون مجرم ناعت على ركونه واجتيازه فاصبح اليونان من تم بحارة وتجاراً وسياحاً

(١) في القاموس الواقعة نفرة في جبل اوسهل يستقع فيها الماء جمعه وقائع

والصوص بحر ومتشردين على نحو ما كان الفينيقيون فانتشروا في العالم القديم اجمع وجلبوا الى بلادهم سلع مصر وبلاد الكلدان وآسيا واحتراعاتها .

هواؤها - لطف هواء بلاد اليونان حتى ان الجليد في آنية لا يحدث الا في كل عشرين سنة والحر معتدل في الصيف بما يهب عليها من نسيم البحر والى اليوم لا يزال الشعب فيها ينام في الطرقات مند شهر مايو « ايار » الى اواخر سبتمبر « ايلول » والهواء فاتر جاف وكان يرى على بضعة فواصح في القامة المخللة على آنية ريش تمثال بالاس وليست دوائر الجبال القاصيه مسنورة بالضباب كما هو الحال عدنا معاتير الرئيس بل انها نخل بأسرها في السماء الصافية . هذه البلاد يحالها تدفع المرء ان يتخذ الحياة عيداً فيرى كل شيء باسم حواليه فمن رهة في الحدائق بالليل واستماع اصوات الصراخ ومن الجلوس في ضوء القمر والضرب باستباب وقصد الجبال للشرب من مائها واستنحاج الراح وتربيه على النغات والاعافي وقضاء الايام في الرقص هذه هي ملاد اليونان وما هي الا ملاد جيل من الناس فقير مقنصد في لا يعرف الهرم ابداً .

ساسة العيشة اليونانية -- لا يتعب المرء من حرارة هذه البلاد ولا يتقى بردها بل يعيش في الهواء الطلق مسروراً قليل النفقة ولا تقتضيه البلاد غذاء عزيزاً ولا ثياباً ثقيلة ولا داراً مرفهة . فقد كان اليوناني يتبلغ بحفة من الزيتون وسمك السردين ولبس نعلا وقيصا ورداء كبيراً . وكثيراً ما كان يخرج حافياً مكشوف الرأس وداره بناية منيعة ليست من الماتانة بحيث يدفع اللصوص عن دحولها تنقب حائطها ولا له من الاتات غير فراش وبعض لحف . يضع اوان جميلة ومصباح وكانت الجدران حالية من الرينة مبيضة بالحير « الكس » ولا يأوي الى الدار الا آوبة النوم فقط .

بلاد اليونان الاصلية

اصل اليونان - كان اصل الشعب الساكن في هذه البلاد الجميلة الصيقة النطاق من الجنس الآري انساب الهنود والفرس حاواً متلبهم من جبال آسيا . ولقد نسي اليونان تطواف اجدادهم الطويل فكانوا يقولون انهم ولدوا من التراب كالصراخ . بيد ان لغتهم واسماء اربابهم لم تترك مجالاً للتك في اصلهم . وكان اليونان الاوّل كسائر الآريين يقاتلون باللبن ولحوم القطعان ويسرون مدحجين اسلحتهم وهم ابداً على قدم القتال ينضمون قتال وفصائل تحت إمرة طاركتهم .

اساطيرهم -- جهل اليونان اصولهم كسائر الشعوب القديمة فلم يكن لهم علم منسلي اسلافهم ولا بالزمن الذي توطنوا فيه ارض يونان ولا شيء من اخبارهم واعلمهم فيها . وان حفظ

ذكر الحوادث الطارئة كما وقعت ليتوقف على اعداد الاسباب لها ومن اسبابها الكتابة . غير ان اليونان لم يعرفوها الا حوالى القرن الثامن (ق . م) ولم يكن لهم واسطة لحساب السنين تم اتحدوا بعد طريقة حساب السنين اعتباراً من المهرجان العظيم الذي كانوا يحتفلون به في اوليا كل اربع سنين وتدعى هذه المدة السنة الاولمبية وقد وضعت الاولمبية الاولى عام ٧٧٦ فتسلسل تاريخ اليونان منذ ذاك الحين ولم يتصل بما وراء ذلك . ومع هذا فقد نقلت اساطير كثيرة عن هذه المدة الاولى في البلاد اليونانية وخصوصاً قصص قدماء الملوك والابطال الذين كانوا يعبدونهم كأنهم نصف ارباب وهذه الافايسص متوبة بحكايات يتعذر الامام بما فيها من حق وصدق فقد ذكروا في آتينة ان الملك الاول المدعوسكروبس كان نصفه ملكاً ونصفه حية وذكروا في تيبة ان كادموس مؤسس المدينة جاء من فيثيية للبحث عن اوت اوروبا التي حطمها تور وكان قبل ثينياً وررع اصراسه فنبئت منها مقاتلة ومنهم ثناسلت الاسرات الشريفة في تيبة وزعموا في مدينة ارغوس ان اصل الاسرة المالكة من ييلوبس وكان اعطاها المعبود زيوس كتنفاً من العاج الاستعاضة عن كنفه التي اكلتها احدى الارباب . وهكذا كان لكل بلد اساطير يتلوونها ويتناقولونها وظل ابناء يونان يدكرونها الى ما بعد ويتبنون لابطالهم القدماء نصيباً من روح الرنوية مثل ابطالهم برسي وييليروفون وهيراكليس ونيري ومينوس وكاستورس وبولوكس وميليا كرس واديس ومعظم اليونانيين بل ان الطبقة المنورة منهم اتحدوا هذه التقاليد حقائق لاراع فيها الا قليلا . تلقوها على محموما تؤحد الحوادث التاريخية احبار الحرب بين ابي اديس ملك بيبية وحملة الارغونوت التي سافرت في طلب حزة الكبش التي قام بحراتها نوران لها ارحل من فلز تقذف النار من افواهها .

حرب طروادة — اشهر هذه الافايسص كلها حروب طروادة وهي اوسعها ايانا ونفصيلا فيروى انه كان نحو القرن الثاني عشر مدينة عنية دات سطوة اسمها طروادة وكانت الحاكمة المتحكمة على ساطيء القارة الآسيوية فجاء احد امراء هذه المدينة واسمه باريس الى ارض يونان وسبي هيلانة حليمة ميلاس ملك اسبارطة وافق اعانتهون ملك ارغوس مع سائر ملوك اليونان وانفذوا لحصار طروادة حيثما يونانياً على اسطول مؤلف من الفومائي سفينة فدام الحصار عشر سنين اذ كان الرب زيوس راضياً عن الطرواديين عاقداً النصر بالويتهم . ولقد اشترك مشاهير اليونان كافة في هذا الحصار فقتل هكتور رئيس المدافعين عن حياض طروادة بيد اشيل وكان اجمل اليونانيين خلقه واشجعهم نفساً وجرأ جنته حول المدينة . قتال اشيل بسلاح الهي وهبته اياه امه رنة البحر ثم هلك نسبه اصابه في عقبه . حتى اذا

يُشس اليونان من الاستيلاء على المدينة بالقوة عمدوا الى الحيلة فاولهمو انهم ازمعوا الرحيل وتركوا وراءهم حصاناً صخماً الجثة من حسب احتباء فيه رعما، الجيش فاحد الطرواديين هذا الحصان وادخلوه مدينتهم فلما جن الليل خرج القواد منه وفتحوا ابواب المدينة لليونان فحرق طروادة وذبح الرجال واستعبد النساء .

ولما قفل زعماء اليونان من عزائهم هبت عليهم العاصفة فغرق بعضهم في البحر وقذنت الالباء بفريق منهم الى سواطي، بعيدة وكان من حظ عولس اكثر هؤلاء الرعاء جريزة ودهاء واحطلم يداً في كيد المكاييد ان قضى عشر سنين نتقاذف به البلاد حتى ادت به الحال ان فقد سفنه جمعاء ونجا من الفرق برأسه .

وبعد فقد كان الاعتقاد بحرب طروادة شائعاً في القرون القديمة سيموع الاحبار الثابتة .
فرم القوم ان عاية الحصار كانت سنة ١١٨٢ وحددوا مركز تلك المدينة . وقد خطر لالمسيو شيلمان من علماء الآثار سنة ١٨٧٤ ان يحفر محل هذه المدينة فاقضى له ان يزيل انقاض عدة مدائن منضدة بعضها فوق بعض فتر على عمق خمسة عشر متراً في اعظم طبقة من تلك الانقاض على آثار مدينة حصينة استتالت رماداً وظفر في خرائب اهم تلك الانية بصندوق مليء بالخلي من ذهب سماه كبريريام . وكان تمت نقش وكانت تلك المدينة التي ظهر سورها كله صغيرة حقيرة وعثروا فيها على عدد كثير من الاصنام الصغيرة الرديئة الصنع والوضع وهي تمثل رنة لها رأس بومة (وعلى هذه الصورة كان اليونان يمثلون الربة بالاس) ومع كل هذا فليس تمت دليل يقوم على ان هذه المدينة الصغيرة دعيت باسم طروادة قديماً .

ميسينيا -- ورد في الاساطير اليونانية ان الملك اعامنون الذي كان قائد الحملة اليونانية على مدينة طروادة كانت عاصمته مدينة طروادة وان زوجته قتلته عند عودته من هذه الغزاة ودون بالقرب من قصره . ولقد عرف اليونان مكان مدينة ميسينيا لانها كانت مأهولة الى القرن الخامس قبل المسيح ولا يزال الى اليوم حول الجبل سور من الصخور الضخمة مصفوفة بعضها فوق بعض بدون ملاط يلحم بين اجزائها وتجنه خمسة امتار وكان اليونان يدعون هذا السور الحيطان السيكلونية اعتقاداً منهم بان الجبابرة سيكلون قد اقاموا بنيانها ورفعوا قواعدها . ويدخل الى هذا السور من باب علوه زهاء ثلاثة امتار مؤلف من ثلاثة صخور هائلة وفوقها عمود بين اسدين منقوشين وهذا هو باب الاسود

ولما اكتشف شيلمان سنة ١٨٧٦ مدينة طروادة سزم ان يح عن قبر اعامون في ميسينيا وكان الحفر قد حرى فيها عبر بعيد عن سطح الارض فحفر شيلمان في التراب

حتى وصل الى الصحر فلما كان على عشرة امتار من العمق عثر على ستة قبور فيها سبع عشرة جثة مع كمية كبيرة من الخلي الذهبية واساور وعقود ودبابيس وتيجان وسبعائة سفيقة» ورقة ذهب» وزهاء مائتي سيف وحجر مع نصال موهة بالذهب والفضة . وكان على وجوه بعض الجثث برقع من السفيقة وكانت هذه القبور على ما ظهر مدافن امراء ميسينا .

ومنذ ذاك العهد اكتشف الباحثون في كثير من انحاء اليونان اشياء كثيرة ومنها اواني خزفية وحلي تشبه خزف ميسينا وحليها وقد عثر في بعض الاحيان بين هذه الدفائن على حلي مصرية من عياد الدولة التاسعة عشرة فاستنتجوا من ذلك انه كان في يونان منذالزمن العريق في القدم (بين القرن الثامن عشر والحامس عشر ق . م) ملوك اصحاب شوكة يستطيعون معها انشاء مدن حصينة ذات عني متوسط وتيسر لهم به ان يكتزوا الكنوز ويستصنعوا الآثار النفيسة وهذا ما دعي بالتمدن الميسيني .

اشعار هوميروس — ان القصيدتين المنسوبتين للشاعر هوميروس وهما الايلياذة التي ذكرت فيها حروب اليونان ورجولية اشيل امام طروادة والاوديسية التي جاءت فيها حوادث عولس بعد سقوط طروادة . هاتان القصيدتان هما اللتان ادعتا في اطراف العالم اجمع سقوط مدينة طروادة . وقد حفظتا قرونًا دون ان يكتبيا فكل المعنوس الذين ألفوا الترحل يستظهرون اياتا طويلة منها ويستدونها في الاعياد . وفي القرن السادس امر احد امراء اثينة واسمه نريسترات ان يجمع القصيدتان وتكتبيا فاصحمتا بعد وما زالتا ابداً احمل الاداب اليونانية الممخمة المطربة . يقول اليونان ان مؤلفهما هوميروس كان احد ابناء يونان من مدينة ابونية وعاش نحو القرن التاسع او العاشر ويمتلونه على صفة شيخ صرير فقير يهبط ارضاً ويصعد ارضاً وتنازعت سبع مدن شرف سبته اليها تدني كل منها اليها مسقط رأسه وقد وقع التسليم بذلك تقليداً بدون مناقشة فيه . وفي اواخر القرن الثامن عشر قام احد علماء الالمان واسمه فولف والى بعض مناقض في هاتين القصيدتين اداه . يحرم باهما اليستا من نظم شاعر واحد ولكلتهما كتاب مؤلف من مقاطيع لشعراء مختلفين وقد حمل اهل العلم على هذه القضية حملات منكرة وهم يبين مثبت لها تماماً ومنكر لها تماماً وظلوا مدة نصف قرن يتنازعون في وجود هوميروس او عدمه وما زال فريق اهل العلم الى اليوم على ان هذه المسألة متعذر حلها . ومن المؤكد ان هاته القصائد قديمة العهد جداً وربما كانت من القرن التاسع . الف الالياذة في آسياد الصغرى وربما تألفت من مجموع قصيدتين خصت احدهما بحروب طروادة وثانيتهما بالحوادث اشيل اما الاوديسية فانها على ما يظهر من نظم شاعر واحد . ولكن ليس ثمة من دليل يقوم على انها من نظم مؤلف الالياذة بعينه .

اليونان على عهد هوميروس — يتعذر علينا ان نعمل في تاريخ اليونان الى قرون بعيدة .
 واشعار هوميروس اقدم مستند نشأ عنهم . ولما نظم هذا الشاعر منظومته نحو القرن التاسع
 قبل المسيح لم يكن لبلاد اليونان اذ ذاك اسم يطلق على سكان اليونانية قاطبة فسماهم هوميروس
 باسم قبائلهم الاصلية ويطهر اسمهم كما وصفهم قد يحجوا منذ عادروا آسيا يعرفوا حرت
 الارض وبناء المدن الحصينة وتألفوا شعوبا صغيرة . واطاعوا ملوكاً لهم وكان لهم مجلس
 شيوخ ودار ندوة وقد فاحر اليونان بحكومتهم واحتقروا الشعوب النازلة بقرهم لانهم
 كانوا دونهم فدعاهم البرابرة . ولقد صرح عولس بختونة السيكلوس بقوله . (ليس لهم
 قواعد في العدل ولا اندية يتشاورون فيها وافرادهم يحكون اسامهم واولادهم بالذات ولا
 يعنى بعضهم ببعض) ومع هذا فقد كان اليونان الى ذاك العهد نصف برابرة فلم يعرفوا
 الكتابة ولا النقود ولا تطريق الحديد وقلما كانوا يجرأون على ركوب البحر وتحتمل خطاره
 ويزعمون ان العول سكن جزيرة صقلية .

غارات على ارضهم ورحلات اليها

تاريخ اليونانية — لم يسكن جميع شعوب يونان منذ الزمن الاطول البلاد التي كانوا
 فيها في القرن السابع اي في العصر الذي احده اهل العلم يعرفون عنهم شيئاً يوثق به . وقد حفظ
 كثير من هذه الشعوب كرى رولهم في تلك البلاد وامتازوا عن الشعوب العربية في القدم النازلة
 في تلك البلاد . جاءت امم كثيرة فاحتلت ارض يونان بقوائم سيوفها وتشتت شمل عيرهم امام
 المعبرين عليهم . ويقول اليونان ان بدء هذه الغارات الشعواء والرحلات كانت من القدم
 بحيث لم تصلنا اخبارها هاسطورة ونقلت وتساعد كرها بقليداً او يقولون انها كانت في القرن الثاني
 عشر (اي بعد احدطروادة بتاتين سنة) ولا عبرة بهذا التاريخ اذ لم يكن لليونان وسائل بحسبون
 بها في ذاك العهد المتطاوول على ان هذا التاريخ احد قصية مسلمة بدون جدال ولا نزاع فيه .
 دعي اقدم سكان يونان بالبلاسح (ولعل معناه القدماء) ولم يعرف عنهم شيء ولا
 فيما اذا كانوا من جنس يوناني او من جنس آخر . ومن هؤلاء السكان لا يعرف غير اليونان
 ولا يعلم ايضاً كيف ابدل اسم بيلاسح بالهيلانيين اذ لم يرد في اشعار هوميروس ايضاً
 ذكر لهذا الاسم . ومن المقرر ان بضعة بلاد حفظت آثاراً فاحتجها وعزاتها . فقد
 جاء قوم برابرة من البلاد المشهورة ببلاد الالبانيين « الارناؤط اليوم » وهاجموا سهل بينيه
 التفسيح فدعي بعد باسم تساليا وتألفت من هؤلاء المهاجرين عصاية من الفرسان الاشرف
 وامسى سكان البلاد الاصليون عملة يررعون ويحرون ليس الا . وقد رحل الى وادي
 سيفيز الذي سمي باسم (بوسيا) كل من لم تخضع نفسه لهذا الحكم

وبعد ربح من الدهر خرج الدور يون من جبال البند واجتازوا رزخ كورت واغاروا على بلاد المورة واستوطنوا من اقاليمها ما امرعت تربته وعنت رباعه ونقاعه مل لاكونيا ومسينيا وارغولديا وسيكيونيا وكورت وميكار . ويروى ان قدماء ملوكهم دعوم الهيرا كليديين (اي نسل المعبود هيراكليس) ليغلبوا رعاياهم التائرين ويعيدوهم الى عروشهم وكان ملوك اسبارطة يرون انهم من نسل قدماء السكان لا من الدور بين وقد استحال الشعب الذي احتل البلاد التي اغار عليها الدور يون الى زراع واهل فلاحة واستولت عصابة من الايتوليين الذي صعبوا الدور بين في تلك الحملة على مقاطعة ايلديا في الغرب . وانهال الايتانيون من است نفوسهم الخضوع على شاطئ سبه جزيرة المورة الشمالي وطردها منها الايونيين واسسوا الاتني عشرة مدينة الاشيائية فلجأ الايونيون المطرودون الى مقاطعة اتيكيا وامتزجوا بسكانها الاقدمين ومن ذاك العهد عرف الايتانيون اي سكان اتيكيا شعباً ايونياً . ثم انفصلت عصابات من عدة شعوب وراحوا يؤسسون مستعمرات في السيف الآخر من البحر . والايوليون اقدم هذه العصابات النازلة في آسيا ثم سكنوا بعد ذلك الشاطئ بعينه . واحتل الدور يون جزيرة افریطس (كريت) وبعد زمن استعمر اليونان صقلية وايطاليا الخنوية .

الدور يون — يراد بالدور بين نسل سكان الجبال النازلين من الشمال ممن طردوا او اخضعوا سكان السهول وشاطئ بلاد اليونان الجنوبية المعروف بلاد المورة ويذكر هؤلاء المغربون ان ملوكا من اسبارطة من نسل البطل هيراكليس قد طردهم رعاياهم فجاءوا يمشون عنهم في جبالهم فتبع الدور يون اخلاف هذا البطل حباً به ونصبوهم على عروشهم ثم اغاروا على السكان واستصفوا ارضهم وديارهم . وكان هذا العنصر جيلاً من الناس اشتهر بحاله وقوته وصحة اجسامه وتعود البرد وتظف العيش وحياة الفقر والفاقة فتري رحالم وساءهم يلبسون ثياباً قصيرة لا تصل الى ركبهم . والدور يون امة حربية دعاها الاضطراب الى ان تكون ابدأ على قدم الدفاع تحمل عدتها وعتادها وهم اقصى اهل يونان لبعد اقليمهم عن البحر ولذلك احتفظوا باخلاق الاجيال المتوحشة وهم اعرق في اليونانية من غيرهم من سكان تلك الامصار لانهم كانوا على وحدتهم لا يستطيعون الامتزاج بالعراك ولا تقليدكم في منازع اخلاقهم .

الايونيون — يدعى شعوب اتيكيا والجزائر وشاطئ آسيا بالامة الايونية . ولا يعلم من اين جاءتهم هذه التسمية وهم على عكس الدور بين جنس من البحارة او التجار . ومن اكثر شعوب اليونانية تهذيباً لانهم استفادوا من الاحتكاك بامم مشاركة اعرق منهم في الحضارة

واقنّبسوا من النظر اليهم وهم ضعاف في صفتهم اليونانية لامتراجهم بالآسيويين ولانهم نَحوا نحو هؤلاء في عاداتهم الا قليلاً يميلون الى السلم ويولعون بالصناعات ويعيشون عيش الترف يمتنعون الكلام ويرفقونه ويلبسون بيّناً ضافية الاذيال على مثال المشاركة

الهيلانيون — هذان العنصران او الجنسَان المتباينان المعروفان بالدورين والايونيين هما اشهر عناصر اليونان واقدرها . فاقليم اسبارطه للدورين واقليم اتيبة للايونيين وليس السواد الاعظم من اليونان دوريين ولا ايونيين ويعرفون بالايوليون وهو اسم مجهول يطلق على شعوب مختلفة في تلك الاصقاع من ايولين واكرانيين وفوسيديين ويوسيين من اهل البلاد اليونانية الوسطى والاشابيين من اهل المورة . وكل من تقدم ذكرهم يسمون باسم الهيلانيين الذين عرفوا به منذ ذاك العهد وهم لا يعرفون حقه تسميتهم هذه كما يحل نحن ذلك على انهم يقولون ان دوروس وعولس كانا اولاد هيلانة وايون حفيدها

مستعمرات اليونان (١)

الاستعمار اليوناني — لم يقتصر الهيلانيون على سكنى بلاد اليونان فقط بل قام منهم طواري، من اهل المدن استولوا لداً في جميع الانحاء المجاورة وكانت عدة من هذه الممالك الصغيرة اليونانية في جميع حرائر الارحبييل وعلى جميع شاطيء آسيا الصغرى واقريطش وقبرص وفي كل ما احاط بالبحر الاسود الى بلاد القافقاس والقرية على طول البلاد العثمانية في اوربا (المعروفة اذ ذاك بتراسيا) وعلى شاطيء افريقية وفي صقلية وايطاليا الجنوبية الى شواطيء فرنسا واسبانيا

احلاق هذه المستعمرات — يبدأ تاريخ المستعمرات اليونانية من قرون كثيرة اي من القرن الثاني عشر الى القرن الخامس وهذه المستعمرات اشنت من كل المدن ونجت عن كل جنس دورياً كان او ايونياً او ابولياً . ولطالما قامت المستعمرات في اماكن قفرة نارية وفي بلاد مأهولة اخرى اُسست حيناً بالفتح وآونة بالاتحاد مع السكان وانتاشها بحارة او تجار او منفزيون او منشردون . وتمتاز هذه المستعمرات على اختلاف زمانها ومكانها وجنسها واصلها بخلق عام وانها نشأت دفعة واحدة بمقتضى قواعد نائمة . وما كان الطواري او المستعمرون من اليونان يحلون في بلد واحداً بعد واحد عصابات صغيرة ولم ينزلوا بقعة عرضاً فيقيمون لهم مساكن تصب بالتدرج مدينة على نحو ما يفعل الطواري من الاوريين في اميركا اليوم بل كان الطواري منهم يسافرون قضم وقضيضهم دفعة واحدة ورئيسهم واحد فنؤسس

(١) جاء هذا الفصل متأخراً عن هذا بضعة فصول في الطبعة الاحيرة

البلدة الجديدة في يوم واحد . وكان تأسيس احدى المدائن يُعدُّ احتفالاً دينياً فيخط المؤسس لها سوراً مقدساً ويجعل بيتاً مباركاً يوقد فيه ناراً مقدسة .

تقاليد المسعمرات -- بنصح مما نقل من القصص القديمة في تأسيس بعض هذه المسعمرات وحده الاختلاف بينها وبين المسعمرات الحديثة . واليك كيفية استعمار مدينة مرسيليا والبدء به فقد جاء الى بلاد العال (فرنسا اليوم) او كسينس احد اهالي مدينة فوسبي في آسيا الصغرى على سفينة تجارية فدعاه احد زعماء العالين الى عرس انثى ومن عادة هذا الشعب ان تدخل العروس بعد الطعام حاملة كأساً تقدمها لرجل تختاره من الجماعة فوقفت امام اليوناني ومدت الكأس نحوه . فظهر للقوم ان هذا العمل كان الهام من السماء اذ لم يكن متوقعاً . فما كان من الرعيم العال الا ان زوج او كسينس من انثى وسمح له بان يؤسس ورفاقه مدينة على خليج مرسيليا ثم لما رأى اهل فوسبي ان الجيش الفارسي يحاصر مدينتهم قاموا يعدون لهم سفناً لنقل عيالهم وانفالهم واصنامهم وحلي معاندهم وعادروا بلدهم ماحرين في سفنهم وافتمموا عند منصرفهم ان لا يعودوا اليها الا اذا عامت على وجه الماء الجديدة الحماة التي القوها في البحر . وقد نكت كثير منهم هذا العهد وعادوا الى مسقط رؤوسهم اما الباقون فظلوا يشقون العذاب بعد العناب حتى وصلوا الى مرسيليا بعد ان تحسّموا اهوالاً كثيرة . واسس الايبويون مدينة ميلت تاركن ساءهم وراءهم واستولوا على بلد يقطنها ناس من آسيا فدبحوا الرجال وتروّخوا بنسائهم ونشأتهم قسراً . ويقال ان هؤلاء النساء اقسمن ان لا يتناولن الطعام مع ازواجهن وان لا يباديهم بيا ازواجهن . عادة بقيت قروبا يعمل بها عند ساء ميلت . اما مسعمرة برقة في افريقية فقد أسست بامر صريح من المعبود ابولون ووحى منه . فلم يكن سكان مدينة تيرا الذين أمروا بذلك يحاذرون من رول بلد مجهول ولم يعملوا بهذا الامر الا بعد سبع سنين وكادت حريتهم عرضة للجفاف فاعتقدوا ان ابولون ساقهم الى تلك الحرية عقاباً منه لهم . وحاول الطواريء الذين اهدوهم ان يرجعوا فداهمهم مواطنوهم واكرهوهم على السفر . وبعد ان قضوا عامين في احدى الحزر وقد حانتهم فيها اسباب النجح انتهى بهم الحال ان يستوطنوا اند الدهر مدينة برقة فكان منها مدينة عامرة راقية .

خطورة المسعمرات -- من شأن هذه الطواريء ان تؤسس حكومة جديدة في كل مكان نزله ولا تحصى لأم القرى التي انفصلت عما تته . وهكذا بلغت الحال بان كان البحر المتوسط محاطاً بمدن يونانية كل منها مستقلة تمام الاستقلال . فاصبح كثير من هذه المدن آية في غناه وقوته لم تضاهه بهما المدن التي خرجت منها وكان لها اصقاع اوسع

رحصب وسكان اوهر واكثر . ويقال انه كان في مدينة سيبارس في ايطاليا ثلثائة الف رجل يحمل السلاح وان كروتون جيتت جيتاً مؤلفاً من مئة وعشرين الف مقاتل وذات سيراكوزة في صقلية وميلت في آسيا بقوتيهما مملكتي اسبارطة وآتينة وكان يدعى جنوب ايطاليا يونان الكبرى . وما كانت المملكة الاصلية عبر بلاد صغرى بالنسبة لتلك المملكة المأهولة كلها بالطواريء من اليونان . وحدث ان كان الهيلانيون اوهر عدداً سيئ البلاد المجاورة منهم في بلاد اليونان نفسها . وترى بين رحال ثلاث المستعمرات طائفة صالحة من المشاهير مثل هوميروس والسيوس وسافوس وظاليس وفيثاغورس وهيراقليطس ودهوقر يطس وانفيدكس وارسطوطاليس وارحميدس وتيوكراتس وغيرهم

المدن - ظل اليونان منقسمين الى طوائف صغيرة في كل البلاد التي رلوها كما كانوا على عهد هوميروس . وغير - ف ان ارض يونان وايطاليا الجنوبية منقطعة بالبحر والجبال ولذلك انقسمت بالطبع الى عدد كبير من المقاطعات الصغيرة كل منها منفردة عن حارتها رأس من البحر او محدار من الصخر بحيث يسهل الدفاع عنها وتضعب المواصلات فكانت تتألف من كل مقاطعة حكومة على حدتها تدعى مدينة وقد بلغت اكثر من مئة مدينة . واداحصيت المستعمرات بلغت زهاء الالف (١) وليست مملكة اليونانية الا صورة مصغرة بالنسبة اليها فان ابتكيا كلها لا تساوي نصف اصغر مقاطعات فرنسا لهذا العهد اما اراضي كورنت او ميكار فقد صارت ريفاً ومرارح ومن العادة ان يكون مايعبرون عنه بمملكة عبارة عن مدينة وساحل ومرافاً او بصع قرى مبعثرة في الغلاة حول قلعه قبرى من المملكة الواحدة قلعة المملكة الثانية وجبالها او مرافاً المملكة المجاورة وكثير من هذه الممالك لا يسكنه اكثر من بضعة ألوف من الناس واعطىها لا يكاد يكون فيه مائتان او ثلثائة الف نسمة . وبعد فلم يؤلف الهيلانيون او اليونانيون امة برأسها ولا انعكوا من النقاتل والنقاطع على انهم تكلموا لغة واحدة على حد سواء وعبدوا آلهة واحدة وعاشوا عيشة واحدة منذ سقوط اسبانيا الى طرف البحر الاسود . فكلموا بهذه العلامات يتعارفون كما يتعارف ابناؤ نبعة واحدة ويتنازون عن سائر الامم التي يدعونها البرارة فينظرون اليها نظر الاستخفاف والامتهان .

الديانة اليونانية

تعدد الارباب اعتقد اليونان اعتقاد سائر قدماء الآريين بارباب كثيرة ولم يكن لهم شعور باللاهية ولا بالالزية ولم يؤمنوا برب واحد تكون السماء سرادق والارض سلمه

(١) في الطبعة الاحيرة حذف المؤلف هذه الفقرة الطويلة كلها الى آخر الفصل

ومرتقاه . واعتقد اليونان ان كل قوّة في الطبيعة من هوائها وتسمها وبحرها هي قوّة الهية ونسبوا كلاً من هذه القوى الى رب حاص اذ لم يدركوا ان علة واحدة تُنتج كل هذه الاكوان ولذا عبدوا عدداً عديداً من هذه الالهة فكابوا وتبين على هذا النحو .

نسبة الشهوات البشّرية ودعوى تجسّد الرب — كل رب هو قوة من الطبيعة وله اسم خاص به ولشدة تصوّر اليونانيين وسعة حياهم متلت لهم اذهانهم تحت هذا الاسم كأننا حياً في ابهى المظاهر من الصور البشريّة وكانوا يتمثلون المعبود او المعبودة على صورة رجل جميل الطلعة وامرأة وسيمة الحيا وعند ما كان عولس او تيلماك يصادفان رجلاً عظيماً وسيماً يبدآن بسؤاله عما اذا كان رباً من الارباب . وقد صوّر على نرس البطل آسيّل صورة جيس . قال هوميروس في وصفه له : ان اريس وايتيه كانا يقودان الحيتن وكلاهما متخيم بالذهب وكانا من الجمال والاعتدال على صورة تليق بالارباب اذ البشر اقزام قصار القامات وكان الارباب اليونانيون بشراً يلبسون بيّاناً ولهم قصور واحساد كاحسادنا وهم ان لم يموتوا يجرحون . وذكر الشاعر هوميروس كيف ان احد المحاربين جرح الرب اريس فراح يصرخ من الألم . وهذا الضرب من اختيار الارباب على مثال البشّر هو ما يدعى « انثروبومورفيسم » اي تجسيد الارباب .

علم الميتولوجيا - للارباب اقرباء واولاد ورهط واسرات لاهم ناس كالأدمايين وامهم ربّة واحوتهم ارباب واولادهم ارباب غيرهم او ناس هم نصف ارباب . وتدعى اسباب هذه الارباب تيوغونيا . وللارباب تاريخ وحوادث ولهم قصص في مواليدهم واحبار شبيبتهم واعمالهم . فالرب انولون مثلاً ولد في جزيرة ديّوس وكانت لحأت اليها امه لاتون وقيل عيلاً كان قد حرب تلك البلاد في سمح جبل الباراس . وهكذا كان لكل مقاطعة يونانية احبار تعرفها لاربابها سموها الخرافات ومن مجموعها تتألف الميتولوجيا اي تاريخ الارباب . الارباب المحليون - بقي الارباب اليونانيون وهم على صفتهم البشريّة على ما كانت عليه اولاً ككائن طبيعيّة فكان القوم يخيلونها كما يخيلون البشّر وقوى الطبيعة فقد كانت الناياد فتاة جميلة ونبعاً منجساً في آن واحد . وتخيل هوميروس الشاعر ان مهر جزيرة الرات هو رب وقال فيه اشدّ تدفق مهر الرات على البطل آسيّل وهو يريد غيطاً ويرعي حنقاً ويحر طائلاً بالربد والجثث) وظلت الامة تقول ان الرب ريوس يرسل المطر ويرسل الرعد . وكان اليوناني يعتقد ان الرب عبارة عن مطر وسيل وسماء او تسمس لالسماء والشمس والارض على الجملة . وكان ربه مسامتاً للسماء التي تطله والارض التي نقله والنهر الذي يعلّه . فمن تم كان لكل مدينة ارباب ومعبودات كثيرة فمن رب الشمس الى ارباب الارض الى رب

الحجر وكانت تلك الارباب منفصلة عن شمس البلد المجاورة وارصها وبحرها بمعنى انه كان لاهل كل مقاطعة ربها ومعبوداتها الخاصة بها . فليس رب اسبارطة ريوس رباً لآتينة زيوس بعينه ور : كان يذكر في قسم واحد ربان تحت اسم آتينيه اوربان تحت اسم ابولون . ذكر احد من طاف بلاد اليونان من السياح انه شاهد الوقا من الارباب كانت تدعى ارباب المدينة ولم يكن هناك سيل ماء ولا عانة عبياء ولا اكمة شماء الا وهي مؤلهة (١) ولها صفة لا يشاركها فيها غيرها وربما كان هذا المعبود صغيراً لا يعبد الا ناس من اهل الحوار وما مراره عبر معارة في الصحر .

الارباب الكبيرة -- وهم اليونان ان فوق طوائف الارباب الكثيرة الصغيرة المنبئة في كل مقاطعة بضعة ارباب كبيرة كالسماء والشمس والارض والمحر المدعوة بهذا الاسم ولها في كل مكان معبد خاص او مرار يتقرب فيه اليها وكانت تمثل كل من هذه الارباب اهم القوى الطبيعية وما اكثر عدد هذه الارباب التي اشتروا اهل يونان كافة في القرب اليها فانك لو احصيتها لاتكاد تصل في عددها الى العشرين . ومن سوء عادتنا معاشر الافرح ان ندعو هذه الارباب باسماء ارباب لآتينية واليك حقيقة اسمائهم :

زيوس (المستري) -- هيرا (جونون) -- آتينيه (مبرا) -- ابولون -- اريس -- (ديان) هرميس (عطار) -- هيركولوس (فولكين) -- هيسثيا (فيسا) -- اريس (المريح) -- امروديت (الزهرة) -- بوزيدون (ببتون) -- افيثيريت -- روتة -- كرونوس (رحل) -- ريمبا (سيبيل) -- ديميتير (سيريس) -- رسبفونه (روررين) -- هاديس (بلوتون) -- ديوبيروس (باحوس) . وهذه المرة من الارباب هي التي كانت تعبد في كل المعابد على الجملة ويتوسل اليها في الصلوات

خصائص الارباب -- لكل من هذه الارباب هيئته وهندامه وادواته المدعوة خصائص هكذا تصور المؤمنون من انشاء يونان وهكذا مثلها القاشون منهم . ولكل حلقة المعروف به بين عانديه ولكل منها عمله الخاص به في العالم ويقوم بوظائف معينة وذلك بمعونة ارباب ثانوية تطيعه في العادة ويتصرف فيها بامر . والرب آتينيه مثلاً هو على صورة غدراء ذات عيين سراقطين مثلت قائمة وهي تحمل رمحاً وعلى رأسها حودة وعلى صدرها سلاح لامع وهي عندهم ربة الهواء النقي والحكمة والاحترار وعلى جانب من الهيبة والشراسة .

ومثل هيفيرتوس رب النار حاملاً بيده مطرقة على صورة حداد اعرج فيبيع الهيئة وزعموا انه يبرل الصاعقة . وان الزهرة اريس كانت غدراء متوحشة تحمل قوساً وكنانة

(١) يقول الشاعر از يودس اليوناني انه كان في بلاده ثلاثون الف رب

وهي تطوف الغابات لتصيد مع رمرة من الجنيات وهي ربة الغابات والصيد والموت . اما هرميس الذى قبلوه لابساً نعالاً مجنحة فهو رب المطر الخصب وله اعمال اخرى وهو رب الاسواق والاماكن ورب التجارة ورب السرقة ورب الفصاحة يسري بارواح الموت ويمشي في السفارات بين الارباب ويقوم على تربية الحيوانات . ولارب اليوناني ابداً عدة وظائف في الغالب هي في نظرها متخلفة غير ان اليونان تخيلوا ان بينها تشابهاً ويرتأون لها صلة وعائداً الاولمب وزئوس - كل من هذه الارباب اشبه بملك في مقره ومع هذا فقد لاحظ اليونان ان جميع قوى الطبيعة لا تسير بالتصادف وانها تعمل بداراً واحدة فكانوا يطلقون اللفظ الواحد للتعبير عن النظام والعالم ففرضوا ان الارباب اتحدت على تفسير نظام العالم وانه كان لهم شرائع وحكومة كما للبشر . وكنت ترى في شمالي اليونان جبلاً ذا قمم مكسوة بالتلح لم يصعد اليه بشر واسمه الاولمب وعلى هذه القمة المستورة عن اعين الناس بنا يتراكم عليهما من الصباب توهم اليوار ، ان الارباب يعقدون جلساتهم فيجمعون مستديرين ننور سماوي يفاوضون في شؤون العالم وعظيهم زئوس (المتتري) يرأس تلك الجلسات لانه رب السماء والنور والرب الذي يواف السحاب ويرسل الصواعق وصوره على مثال شيخ مهاب ذي لحية بيضاء جالس على عرش من ذهب وهو الذى 'حصى الزعامة دون سائر الارباب ولذلك تراها مجتمع له فاذا ندرت من احداها بادرة المقاومة في امر يهددها زئوس واليك ما ذكره هوميرو على لسانه « اعقدوا في السماء سلسلة من ذهب وتعلقوا بها انتم معاتير الارباب ذكورا كئتم او اناثا ولو بدلتهم الحديد كلكم لتجوز زئوس الى الارض وهو الملك الآمر وعلى العكس اذ اردت ان احبب السلسلة التي فانا جادب الي الارض والمحرم اعلقه بقمة الاولمب ويبقى العالم كله معلقاً مصلوباً ما دمت اعلى منزلة من الارباب والبشر »

آداب المينولوجيا اليونانية -- وهم اليونان ان معظم اربابهم من القسوة والسفك والخداع والسفاهة على جانب فاحترعوا لهم احباراً سقيمة واعمالاً ذميمة عن طور اللياقة . فكان هرميس ربهم لصاً واشتهرت افروديت بعجبها وحفرها واربس مسوته وكانوا كلهم من العجب بحيث لا يفكرون عن اخطائهم من تساهل في تقديم العذبات لهم . ولما اُنجبت نيوبتي ملكة تيبة بكثرة اسرتها لم يصعب عليها ان رأت الرب ابولون يصفي اولادها بالسهم ويمزقهم كل ممزق . وكان من حال تلك الارباب في الحسد بحيث لا تملك من رؤية انسان بلغ غايات السعادة . فاليونان رأوا السعادة من اعظم الاحطار لانها تجلب عصب الارباب حتماً ولذلك ابتدعوا ربه للعصب والانتقام سموه تيتريس ويدكرون ها قصصاً كالاتية مثلاً : ذلك ان بوليكراتس الظالم من اهل جزيرة سيسام خاف يوماً حسد

الارباب اذ غدا ذا طول وحول وكان يملك خاتم ذهب له موقع كبير من نفسه فالتقاء في اليم لثلاث تكون سعادته مشوبة بالشقاء ثم ان صياداً احضر لبوليكراتس دات يوم سمكة عظيمة وجد خاتمه في جوفها مكان ذلك نظره شوْماً دالاً على وقوع المصيبة الاكيدة . فحوصر بعد في مدينته واحذ وصلب وعاقبه ارباب يونان على سعادة لما وحط من النعم اصابه .

عرف بهذا ان الميتولوجيا اليونانية كانت عارية عن الاخلاق اذ كان الارباب قدوة سيئة للناس قال ذلك فلاسفة اليونان وضيعوا على الشعراء الذين ستروا هذه الحكايات وذكر احد تلاميذ فيثاغورس ان معلمه اطلع على الجحيم فرأى فيه روح هوميروس الشاعر مصلوبة في شجرة وروح از بودس الشاعر مدلاة في دعامة عقوبة لها على اهابتها الارباب وقال كسينوفان ان هوميروس واز بودس قد اسبا للارباب اعمالاً من شأنها ان تكون عاراً بين البشر وشاراً عليهم وهناك إله واحد لا يشبه البشر باجسادها ولا يعقلها وكان يريد على ذلك قوله لو كان للبشر والاسود ايدى واستطاعت ان تصور كالناس لطنعوا للارباب اجساداً تشبه اجسادهم ولحلت الخيل للارباب احسادا كالخيل والبقر . والناس يدهمون الى ان الارباب احساساً وصوتاً وجسداً . هذا قول كسينوفان وهو من الحق والعدل فكان اد قد جعل اليونان الاول اربابهم على صورهم مثل ما كانوا عليه في داك العهد ففاكبن عذارى بن حسودين معجبين وكذلك كان اربابهم . ثم صاروا على نسبة التحسين في اخلاقهم بشتاً اخلاقهم متبرمين من هذه المادي ، كلها عازمين عنها ولكن تاريخ الارباب و اخلاقهم كانت مقررة بحكايات قديمة احدها اهل الاجيال الحديثة ولم يجرأوا على تغيير ارباب احداهم الفظة السفينة يعبرها

ابطالهم

البطل -- البطل في بلاد اليونان رجل معروف يعدو بعد موته روحاً ذات سلطان ولا نتم له الرئوية بل ينال منها نصفها من ، تم لا يسكن الاطال في الاولمب في سماء الارباب ولا يدبرون شوْون العالم اجمع ولم مع هذا ايضاً سلطة فوق كل سلطة بشرية يغيتون بها احبابهم ويهلكون اعداءهم . ولدا عبدتهم اليونان عبادتهم الارباب واستعاتوا بهم وتضرعوا اليهم . وما من مدينة او قبيلة او أسرة الا ولها بطل حاص بها وهو عبارة عن اشباح متخيلة تحميها فتعبد لها ونتقدم اليها بانواع القرابات .

ضروب الاطال -- ومن هؤلاء الابطال فئة اشتهرت في الاساطير وعدت من الاعيان مثل اشيل واوديس واعلمون ولا شك في ان بعضهم لا حقيقة لهم قط مثل هيراكليس واديب . وليس بعضهم الا اسماء لا مسميات لها مثل هيلين ودوروس وعولس

غير ان عمدتهم ينظرون اليهم نظراً الى استحقاق قدماء وقد عاش معظم هذه الارباب وبعضهم من الاثينان قد ذكرهم التاريخ وكانت لهم اعمالهم مثل لبونيداس وليزاندر وكانا من القواد وديمقراط وارسطو وكانا فيلسوفين وليكورك وصولون وكانا مشرعين . وعبد اهل مدينة كروتون احد مواطنيهم فيلبس لانه كان اجمل اهل زمانه في الادلاليونان . وكان الرعيم الذي يقود الطواريء وبؤسس مدينة يعد بين السكان البطل المؤسس فيقيمون له معبداً وينقرون اليه كل عام بانواع النذور والقربات . وهكذا كان ملتياويس الايني يعبد في مدينة من اعمال تراسيا وبرازيداس الاسبارطي الذي قتل في دفاعه عن امفيبوليس كما يعبد في هذه المدينة اذ اعتبره السكان مؤسساً لبلدهم .

حضور الابطال — يظل البطل ساكناً في البلد التي دُفن فيها جسده سواء كان في قبره او في الحوار . وقد وصف هيرودتس هذا المعقد فكانت مدينة سيسيون تعد البطل ادرايس فقامت في الساحة العامة مصلى اكراماً له . ولقد ارتأى كليستين جبار سيسيون ان يتخلص من هذا البطل فراح يسأل هاتف دلفيس عما اذا كان يطلع في طرد ادرايس . فاجابه الهاتف بقوله : ان ادرايس كان ملك اليسيويين وانه لص وقاطع طريق فلما لم يستطع كليستين ان يطرد ذلك البطل عمد الى الحيلة فبعث الى تيبة يحث عن عظام بطل آخر اسمه ميلانييس وجعلها في مقبرة المدينة باحتفال حافل . قال هيرودتس انه عمل كذلك لان ميلانييس كان من الاعداء ادرايس قتل له صهره واحاه . ثم حمل تلك الاعياد والنذور تقدم الى ميلانييس بعد ان كانت تقدم الى ادرايس زماناً وراح يقنع وسائر اليونانيين ان البطل المعتاطيركن الى الفرار .

مداحة الابطال — للابطال قوة الالهية في وسعهم كما في وسع الارباب ان يفعلوا الخير والشر كما يشاءون . ولقد اخطأ الشاعر ستيريستور في كلامه على هيلانة المشهورة (تلك التي جيء بها الى طروادة على نحو ما ورد في الاساطير) فكف بسرّه للحال حتى اذا رجع عن كلامه عاد بصيراً . ويرغمون ان هيلانة صارت نصف ربة بعد موتها فارسلت للشاعر بالداء باديء بدء ثم اتبعته بالدواء . ويدعون ان الابطال الحامية لبلد تدفع عنها الادواء والمجاعة وتذب عن حياضها من عارة الاعداء . وقد زعم الحند الايني انهم رأوا بين صفوفهم في حرب مارانون تيزيه بطل آتينة ومؤسسها وقد تدحج بسلاح لامع في حرب سلامينة وظهر البطلان احاكس وتيلامون اللذان كانا فيامصى ملكي جزيرة سلامينة في اعلى ذروة منها باسطين ذراعيهما نحو الاسطول اليوناني . قال نيموكلس (وما قهرنا الفرس اذ قهرناهم ولكن الارباب والابطال قهرهم) وفي احدى روايات سوفقلس

(اديب الى تولون) ينأى كان اديب مسترفا على الموت راره ملك آينة وملك تيبة واراده .
كلالها على الرضا يترك جثته تدفن في ارضها ليكون بطلاً حامياً لها فاحاب طلبها في ان
يدفن في بلاد الآتييين وقال للموكلهم . اني لا اكون بعد موتى حالياً من النفع في هذا
القطر بل اكون ركناً ركيناً لا نقاويه الوف الالوف من المحاربين . وكان يرى ان بطلاً
واحداً يساوي جيشاً برمته ويرهب ناس هذا السيج ولا رهبة الاحياء اجمعين .

العبادة

بدء عبادة الارباب -- كان الارباب والابطال على مالها من الجول والطول
يشرون في الناس جماع الخيرات والسيئات كما يتشاءون فكان من الخطر ان يكونوا على المرء
إلباً ومن العقل ان يكونوا وياه يداً واحدة . ولقد ذهب القوم الى اهمهم كانوا اتبه بالبشر
يسخطون اذا تركوا وشأنهم ويرضون اذا اعني بهم . وعلى هذا الفكر تسأت العبادة
فكانت عبارة عن اتيان صالح الاعمال مع الارباب لنيل رضاهم . وقد صرح افلاطون
بالرأي العام كما يلي قال : (ان الاضطلاع بالقول والقيام بصالح الاعمال مع الارباب
سواء كان في الصلوات او في التدورهم من القوى التي بها يحاج الخاصة والبلاد وعكسها
هو التسقاء الذي به تل عروس الممالك وندك معالم العمران) يقول كسينوفان في آخر
كتابه الدروسية ان الارباب لا يرضون عمن يعرفون اليهم في حاجاتهم فقط بل يرضون
عمن يكرمهم في محوكة الخجاج . والديانة كانت نادية بدء عبيداً وميتافاً فكان اليوناني يسعى
في استرضاء الارباب وينال من لديهم مقابلة ذلك منافع ومعام قال احد كهنة اولون
لمعبوده « اني قد احرق من اجلك تيراناً سمينة منذ زم طويل فاقبل الان تضرعاتي وارم
بسهم عضك اعداي »

الاعياد العظيمة -- رعم اليونان ان لاربابهم احساساً وعواطف كعواطف البشر
ولذلك عنوا بالقيام بكل ما يسترضى به الانسان فكانوا يقدمون لهم لبناً وخمراً وحلواء
وفاكة ولحماً ويتسئون لهم قصورا ويخفون اكراماً لهم باعياد اد كانت تلك المعبودات
ارباباً سعيدة تح الفرحة والمناظر الجميلة . وما كان العيد كما هو الحال عندنا اليوم عبارة
عن افراح بل كان احفالا دينياً يصرب في خلاله عن الاعمال وتأحد الامة في ابداء
مظاهر المسرة على رؤوس الاشهاد امام المعبود . فمن تم كان اليوناني يسر مهده الاعياد
ويخفل بها احلالاً لاربابه ومعبوداته لا قداماً باهوائه الخاصة وشهواته . جاء في نسيدي
قديم اكراماً للمعبود ابولون ان الايونيين يدخلون السرور عليك بما يقومون به من مطاعفهم
المعبودة وعناهم ورقصهم .

الالعب الاحتفالية -- تنأت الالعب الاحتفالية من هذه المسليات التي كانت تقام اعظاماً للارباب فكان لكل مدينة ضرب من صروبها تكرم بهامبوداتها وما كانت في العادة يقبل لمشاركتهما بها غير اناء وطنها ومع هذا فند كانوا يقومون بالعب يشترك بها جماع اسماء يونان ويحصرونها وذلك في اربعة اماكن من الملاد اليونانية . وتدعى الالعب الاربعة العظيمة واحص تلك الالعب العاب اولمبيا . يحمل بها كل اربع سنين اكراما للمعبود زيوس وتدوم خمسة ايام او ستة فيأ في دهن اليونان من اطراف البلاد تعص بهم الملاعب والمشهد وبأحدوس في بقاء استجاء والتقرب بالصلوات الى المعبود زيوس (الشمس ؟) وسائر الارباب ثم يتبارى القوم في الاعمال الآتية عدو على الاقدام حول الملعب . فبال يعرف عندهم بالماتال لانه كان عبارة عن خمسة العاب فيقف الممارون ويركضون من طرف الملعب الى طرفه الآخر ويندفعون الى بعدي نظارة من معدن ويرمون الحراب ويقاتلون بالايدي والاندان ثم ملاكمة بمجمع الاكف يقاتلون فيها وادرعهم مستورة لسيور من حديد . ومسابقه عجالات كانت تجري في المندان والعجلات حفيضة يجرها اربعة جيايدو يتصدر القصة في الالعب بالسهم القرمزية وقد نوحوا بالليل العارفيادي المناادي بعد القتال باسم الطائر واسم لده على رؤوس الاسناد ويكافئ ناس من الارباب حراء ما وفق له ويستقبله مواظوه اسمقال الدمار الفاض وربنا سرقوا حرقا في حائط ايمروا به منه فيقبل بقله مركبة نحرها اربعة من الخياد لاسا القرمري والتعب كله يحفره . كان يعد هذا المص الذي بعده اليوم من اعمال المضارعين في الحال العامة من احسن الاعمال واولاها على ذلك العهد يحملها اعظم الشعراء ولم يكن ثم ينندار شهر شعراء الاعالي القدماء غير انهم المقاطيع في سباق المركبات . ويروى ان احدهم واسمه دياكوراس رأى في يوم واحد ولدين له وقد توحا حملاه على اعين القوم حمل الطافرين فلما شاهد الشعب ان امتال تلك السعادة عظيمة جدا الاضافه الى الميت ناداه . مت يا دياكوراس اد ليس في وسعك ان تكون بعد معبوداً . فصاق درع دياكوراس من الاضطراب ومات بين ايدي ولديه وفي نظره ونظر اسماء يونان ان رؤيه ولديه واكفهما قوية شتنة وسوقهما سريعة كان ذلك ممتعي السعادة الارضية . وعلى هذا يحق لليونان ان يعجبوا بالقوة الطبيعية فقد كان اقوى المسارعين من احسن الحمد في الحروب التي يقاتلون فيها حسداً لحسد .

القال -- كان اليونان يرجون من آلههم اعمالا كبيرة لقاء تلك الواحات والاعباد والاحتمالات فكانت المعبودات تحمي عبديتها وتوسع عليهم رود العافية والعلى والمصر وقيهم المصائب والنوائب التي يتوقعون بروها ترسل علامة من لدنها يفسرها الناس . وهذا ما كان

يدعى بالآل . قال هيرودس كان اذا اقتضى لاحدى المدن ان تتجن بعض الخطوب
 ينقدم لها على ذلك علامة في العادة . ولقد فعّال اهل تيبو (صاقر ؟) نفاؤلاً دلم على ما
 يناهم من الهزيمة فلم يرجع من مئة فتي نعتوا منهم الى دلفيس يترمعون ويبتدون سوى فتيين
 وهلك سائرهم بالوباء . وعلى ذلك العهد انقص سقف مدرسة المدينة على اطفال كانوا
 يتعلمون القراءة فلم ينج منهم سوى طفل واحد وكان عددهم مئة وعشرين . هذه هي الامارات
 التي قدم الارباب ارسالها على ابناء يونان مدرستهم . واتخذ كان اليونانيون يرون
 الاحلام والطيور التي ترفرف في السماء واحشاء الحيوانات التي يقربونها لاربابهم بل
 وكل ما يقع نظرهم عليه من الزلزال والكسوف الى عطسه يعطسها المرأة - يرون كل هذه
 الامور الطبيعية امارات الحية فيها سعادتهم وشدة أؤفهم في حملة حقلية فيما كان نيسياس
 القائد الآتيي يركب حيتسه المهرم في السفن اوقفه حسوف القمر فطن ان الارباب بعثت
 بهذه العجيبة تنذر الآتييين ان لا يتقوا ما بداوا به من الاعمال الخرية فاضطرّ نيسياس
 الى الانظار سبعة وعشرين يوماً وهو يقدم القرائن تسكماً لعص الارباب . فسدّ
 الاعداء في هذه الفترة مسا المدينة وحطموا اسطولها واندوا شمل حيتسها . ولم ير الآتييون
 لما نلغهم هذا النبأ سوى امر واحد نحو من احلده نيسياس وذلك انه كان عليه ان يعرف
 ان احتفاء القمر بالنظر الى حيتس منهم علامة حسنة . وفي غضون العودة المعروفة بعودة
 العشرة آلاف حط القائد كسينومون في حسده فلما انتهى الى هذه العبارة « لنا الامل
 الوطيد ان يرجع واتخذ اليها معونة الارباب » عطس احد الاحماد على الاترافخذ الحيتس
 يصلي ويصرخ الى الرب على ان يعتفم هذا الفأل . وفي كسينومون الا فسد نقديمه
 صحابا لريوس ادعت اليها ما تنفال به فيما بحر . فموص في سلامتها .

هانف العيب كان الرب في الاحابن يحيب سؤل من يدعوه ويستشير . من
 المؤمنين لا اشارة صماء بل على لسان احد المعلمين من عليّة الناس فيأتي القوم مرار ر
 يشتدون احوة يتلقونها واصانح يستصحبون . وهذا هو معنى الهاتف بالعيب . ولك اترى
 في اما كن كثيرة من بلاد اليونان وآسيا حمل صالحة من الهاتفين بالعيب واشهرهم في
 دودون من بلاد ابيروس . ودلفيس في سنج حمل البار ابن مكال الرب ريوس في دودون
 يحيب دعوة المصطربين بدوي اتجار البلوط المقدسة والرب ابولون كان المسمصح في دلفيس
 وكان يسري في معارة من معبده من سق البراب مجري سيم خذ اليونان ان الرب يعت به
 لانه ما استنشق اسان الا وحرف وجن ولدا وضعوا اتقية على سق الارس وهي عبارة
 عن امرأة (بيسيا) فجلس على تلك الاتقية بعد ان تستقم في حمام مقدس وقبل الالهام

فما هو إلا أن يأخذها شيء من الجحش العصبي حتى تبدأ تصرخ اصوات وثغفؤه بكلمات مقطعة فيتلقاها منها كهنة يجلسون حولها فينظّمونها شعراً ويقصونها على من جاء يستقيم فكان هتاف الغيب من يديها هذه مشوّساً ملتبساً . ولما سألتها كزيروس عما اذا كان يجب عليه ان يشهر على الفرس حرباً اجابته بقولها (ان كزيروس يدمر مملكة عظيمة) ثم ان مملكة عظيمة تقوّضت اركانها ولكنها كانت مملكة كزيروس . وكان للاسبارطيين ثقة عظيمة بالبيديا ولم يكونوا يسيرون حملة لهم دون استشارتها وقد اقتدى بهم سائر اليونانيين وهكذا أصبحت دلفيس مبعث الهاتف الوطني .

الامفكتيونيا — ألف اتنا عشر رجلاً من اعيان الشعوب اليونانية جمعية سموها الامفكتيونيا حباً بحماية قبر دلفيس فكان يجتمع بواب هذه الشعوب كل سنة في دلفيس للاحتفال بعيد اولون والنظر فيما اذا كان المعبد يحتمى عليه من مديد الاذى لانه كان فيه تروة عظيمة ربما تدعو للصوص ان يهبوه . وقد صادر اهل سيرا وهي المدينة القريبة من دلفيس هذه الكنوز الثمينة في القرن السادس فاعل عليهم اولئك الاعيان المشار اليهم حرب من استباح الامور المحظورة وحرق سياج المقدسات فاحدت سيرا وهدمت من اساسها وبيع سكانها بيع الرقيق واصححت ارضها كما لم تكن باللاس .

ومع هذا فلا ينبغي ان يذهب داهب الى ان مجمع الامفكتيون اتته في وقت من الاوقات مجلساً يونانياً . بل انه لم يعن الا تعبد اولون لا بالتشؤون السياسييه وما فطضرب على ابدي شعوب الامفكتيون حتى لا يبروا بينهم دواعي الشقاق فالهاتف العمي والامفكتيونيا في دلفيس كان لها من السطوة حظ اوفر من سطوة الهانين والامفكتيونيين ولكنه ما صم قط انذات اليونانيين وجعلهم امة قائمة براسها

اسبارطة

شعبها

لاكونيا — لما هاجم اهل الجبال من الدورين شبه جزيرة المورة رلت اعظم عصاة منهم في مقاطعتي اسبارطة ولاكونيا ومقاطعة لاكونيا واد صيق يتقه مهر عظيم يعرف بالاوروتاس يحيط بهما جبلان عظيمات قممها بالثلوج وقد وصفهما احد الشعراء بقوله : « ابنتها الارض الغنية التربة المحضة الرباع المتعذر استبانتها واستقامها ايها البلدة الجوفاء المحصورة بين جبال قائمة الكثيبة في منظرها المنبعة على هجمات المهاجمين » وقد عاش الدورين من الاسبارطيين في هذه البلاد الحصينة بين ظهري سكانها القدماء فاصبح بعضهم

رعايا لهم وفريق منهم عبيدهم ومواليهم وبهذا انقسم سكان لاكوتيا الى ثلاث طبقات وهم الهيلوتيون والبيريكيون والاسبارطيون .

الهيلوتيون - سكنت هذه الطبقة من السكان اكواحا منتشرة في الفلاة واقاموا على حرت الارض ورراها وما ملكوا الاراضي التي كانوا يعملون فيها ولم يكونوا مطلقين في مغادرتها وما كان حالهم في ذلك الاحال عبيد القرون الوسطى مستأجرين تابعين للارض حلقاً عن سلف عاملين لما لكها الاسبارطي وكان يتناول منهم افضل قسم من علاتهم . ولطالما احقرهم الاسبارطيون وحادروا ناسهم واساءوا معاملتهم واضطروهم الى لبس ثياب عليطة وضربهم بلا داع ليدكروهم انهم عبيد وارقاء . وربما اسكروهم في الاحايين لينفروا اناءهم من السكر . وقد شبه احد شعراء اسبارطة الهيلوتيين « بمجموع موقورة تكبو ونوء تحت اعباء الاحمال واعياء الضرب »

البيريكيون - سكنت هذه الفئة مئات من القرى في الجبال او على الساحل والافوا الاسفار الحجرية والتجروا وصنعوا المواد الضرورية للحياة فكابوا احراراً يدبرون شؤون مزارعهم بيد اهلهم كانوا يؤدسون حزمة لحكام اسبارطة ويخضعون لهم .

حالة الاسبارطيين - - - - - بعض الهيلوتيون والبيريكيون ساداتهم الاسبارطيين . يقول كسينوفون لم يكن لاحدهم عدما تكلم في شأن الاسبارطيين ان يكتم مبلغ سروره لو اتسى له ان يأكل الاسبارطيين احياء . رللت اسبارطة ذات يوم وكادت تدعى اركانها فما كان باسرع من البرق حتى اهيل الهيلوتيون من اطراف الفلاة ليقتلوا الاسبارطيين الناحين من الهلاك . تم انقراض البيريكيون وابوا الخضوع . على ان الاسبارطيين كانوا من سوء السلوك بحيث يستحقون سخطهم . ولقد امر الاسبارطيون عقيب حرب اشترك فيها كثير من الهيلوتيين في معسكراتهم ان ينشقوا من اشتهر منهم بالشجاعة ووعدهم ان يعقوبهم وكان هذا الوعد مهم حيلة ليعرفوا بها اتبعهم نفوساً واحراًهم على ابداء واحذ التورية فانخب ألفان منهم طافوا بهم ارجاء المعبد منوجة رؤوسهم اشارة الى الحرية تم ادخلهم الاسبارطيون في حركان ولم يعرف احد كيف هلكوا على حين كان المضطهدون عشرة اضعاف مواليهم وما قظ ربا الاسبارطيون على تسعة آلاف رب أسرة يقابلهم مائتا الف من الهيلوتيين ومئة وعشرون الفا من البيريكيين . اقضى ان يعادل واحد من الاسبارطيين عشرة من مواليهم في مسائل القتل واذا اعتادوا المصارعة قضت الحال بان يكون افرادهم اقوياء اثناء فكانت اسبارطة معسكراً لا جدار له وكان شعبها جيشاً على قدم الدفاع ابداً

التربية

الاولاد — يؤخذ اطفال هذه الامة منذ ولادتهم ليكون منهم اجناد فكل مولود يؤتى به امام المجلس فاذا وجد انه ضعيف اشوه يعرضوه على مجلس لان احوالهم اوجبت ان لا يكون جيشهم مؤلفاً الا من ارباب القوة والجلادة فمن يستحيونهم يؤخذون من اهلهم في السابعة من عمرهم ويربون مع اقربائهم كأولاد حماة فيروحن عارية اقدامهم وليس على ابدانهم غير رداء واحد هو وقايتهم صيفاً وشتاءً وينامون على كدس من القصب ويغتسلون في المياه الداردة من نهر الاوروتاس ويقفلون من الطعام ويردردون كثيراً واطعمتهم غليظة ليعادوا ان لا يملاً واعمدهم . ويقسمون الى سرايا كل سرية مئة رجل ولكل منها زعيم . وكثيراً ما يريدونهم على التطاعن بالارجل والاكف . ويساطون في عيد ارنيمس حتى تسيل دماؤهم امام هيكله وربما مات بعضهم متأثراً من الصرب على اهد قلم يستعيتون فيرون الترف ان لا يرفعوا اصواتهم يريدون بذلك تدريهم على ان يقتتلوا ويحتملوا العذاب والالم . وكثيراً ما يمعون عنهم الطعام ثباتاً فيسرقون ما يقتاتون به فاذا خدعوا يضررون بالسياط ضرباً مبرحاً . وكان من احد اولاد الاسبارطيين كما قيل وقد سرق ثعلباً صغيراً وحباًه تحت توبه ان اتر جعل بطنه وريسة للثعلب يهتسه على افصاح امره واظهار فعلته . وكان يراد تدريب هؤلاء الاطفال على حسن التحصن في الحروب فيسيرون غاضين انهم ساكتين وايديهم تحت ثيابهم لا ياتفتون يمنة ولا يسرة كما تما على رؤوسهم الطير امام اذياكل وكان عليهم ان لا يتكلموا على الطعام ويطيعوا كل من يلقيهم وذلك لكي يحتملهم للنظام .

البنات — اما سائر اليونانيين فيحبس بناتهم في البيوت ويشعلنهم في كفة الصوف . اراد الاسبارطيون ان يقووا احسام نسايتهم ويجعلنهم من المقدرة بحيث يلدن الاقوياء . من الاولاد من تم كانوا يربون البنين على غرار البنات الا قليلاً . ولقد كانوا يمترون في رياضاتهم على الركض والقفر ورمي الأظرو والطعن بالحراب . وقد وصف شاعر اليونان كانت فيها البنات كالمهاري مسرسة شعورهن والغبار آثار وراءهن وقد استهزى من امرهن انهن كن اصبح ساء يونان واتجهجن .

التهذيب — حياة الرجال منظمة ايضاً حياة الحند اذ قضت الحال ان لا تنتهي غنائمهم امام جمهور الاعداء فيكون الاسبارطي في السابعة عشرة من سنه جدياً ويظل كذلك الى الستين . فكانت الارباء وساعه القيام وانام والطعم ورياضات محددة معروفة بنظمات كما هو الحال في تكتة الحند اليوم . فاذا لم يحارب الاسبارطي يستعد للحرب فيمن نفسه

على العدو والقفز وحمل السلاح ويروض كل حين عامة اطراف جسمه من عنقه ودراعيه وكفيه وساقيه . ولا يحق له ان يتجر ولا ان يحترف ولا ان يبحر ارضاً فهو حندي وليس عليه ان يحيد عن معتمته بمعاطاة اي عمل كان . وليس له ان يعيس في أسرته على هواه فان الاسبارطيين يتناولون الطعام رمزاً رمزاً ولا يبحرون من بلادهم الا بادر وهذا يعد من باب تنظيم جيش في ديار العدو

الايجاز في الكلام — قاسى هؤلاء المحاربون شطف العيش فكانت سخنتهم صفيقة تقرأ فيها الحب والحياة ، وكانوا يحتلون الكلام احتراً لا . وهذا ما يسمى بالكلام الموجر وبالأفريقية (لا كويك نسبة لمقاطعة لا كويا وقد بقي مبهماً التعبير) . فكانت الحكومة تبعث الى حامية على خطر من مباعته العدو لها رسالة لا تكتب فيها سوى كلمة (الحذر) ولقد احظر ملك الفرس حشداً اسبارطياً ان يطرح سلاحه واجابه القائد « تعال خذه » ولما استولى لراندر على آثمة لم يكتب سوى هذه الجملة « سقطت آثمة » .

الموسيقى والرقص — كانت الاشتغال الاسبارطية صنائع حربية بحيث . حمل الاسبارطيون معهم صرباً من الموسيقى خاصه هم كانت على حاد عظيم من الوفاق والحاسة والكرهه في الاسماع وهي من صروب الموسيقى العسكرية . ويروح الاسبارطيون الى ساحة الوعي على نعات الممار ويسيروا على الايقاع . ورقصهم عبارة عن استعراض قائد لحندي ويرقص الرافضون الرقص العسكري المألوف ببلاد يونان المدعو بالبيريك مسلحين ويتابعون عامة حركات القتال ويشيرون بالضرب والكر والفر والطعن بالحرا .

نأس النساء — عرف النساء تهميس الرجال على القتال واشتهرت آنا رتجاعتهم في يونان فكتبت فيها المصنفات . وقد قلت امرأة اسبارطية ولدها فراره من الرحف قائلة « ان مهر الاوروتاس لا يجري لي سرب منه الوعول » ولما علمت احدى نساء تلك البلاد ان خمسة اولاد لها هلكوا قالت ليس هذا ما اسألكم عنه فبالا كتب المصرا لاسبارطية فلما احييت بالايجاب قالت اذا فلنحمد الآله ولنشكرهم .

الترتيبات

الملوك والمجلس — للاسبارطيين اولاً كما لسائر اناء يونان ملوك ومجلس شيوخ ودار بدوة وقد حفظت كل هذه الترتيبات ولكن من حيث الصورة فقط . فالملوك وهم من سل المعبود هيراكليس يشرفون ويكرمون ولم حق التصدر في المواضع الاولى في الماد ويقدم لهم من الطعام ما يبغي اثنين وادامات احدثهم بلبس جميع الرعايا عليه الحداد . بيد انهم لم يتركوا لهم ادني حكم بل يراقبونهم كل المراقبة . وكان مجلس النواب مؤلفاً من

ثمانية وعشرين شيخاً منتخبين من العيال العبية القديمة يقومون بما ندبوا اليه مدى الحياة ولكنهم لا يحكمون .

المفتشون — ان المفتشين (ايفور) هم السادة الحقيقيون في اسبارطة وهم خمسة حكام يتجدد انتابهم كل عام ويناط بهم تقرير السلم والحرب وفصل القضايا . وهم يرافقون الملك في قيادة الجيش فيديرون حركة الاعمال الحربية وكثيراً ما يريدونه على الرجعة من الحرب وهم في العادة يستشيرون اعضاء مجلس الشيوخ ويقررون ما ينبغي باتفاق آرائهم ثم يجمعون الاسبارطيين في احدى الساحات ويطلعونهم على ما تم من القرار ويطلبون اليهم ان يصدقوا عليه اما الامة فإياها تستحسن ما تم بالافتاف دون ان تناقش في اقل مسألة . ولا يعلم فيما اذا كان للامة الحق ان ترفض ما قرر وهي التي علمت الخضوع وان لا تعاد اصلاً . وكانت هذه الحكومة حكومة اشراف مؤلفة من عدة اسرات حاكمة . فمن ثم لم تكن اسبارطة الاد مساواة وكان فيها اناس يدعون اهل المساواة وذلك لانهم كانوا سواء فيما بينهم اما غيرهم فيدعون المروؤسين ولم يكن لهم شيء من الحكم التامة .

الجيش — بفضل هذه الطريقة في الحكم احفظ الاسبارطيون باحلافهم الحبلية القاسية فلم يكن عندهم نقاشون ولا مهندسون ولا خطباء ولا فلاسفة بل اهتموا بالصرفوا كلهم الى الحروب وحدثوا علم الكر والفر ايماناً حذق وعدوا من المتقنين لغيرهم من اليونانيين واتوا العالم بعلمين عظيمين احسن طريقة في القتال واحسن طريقة في التدريب .

المسلحون — كان اليونان قبلهم يسيرون الى القتال بغير انتظام فيتمطي الرماة صهوات الحيلول او عمالات خفيفة وينقدمون صفوف الحملات والناس يتبعهم بهم مشاة وقد تسلح كل منهم كما اراد وقد تفرقوا طرائق قديماً وليس في وسعهم ان يكونوا بدياً واحدة في العمل او المقاومة . وما هو الا ان يستحيل القتال الى مبارزات تم الى مذايح . اما في اسبارطة فللمقاتلة باجمعهم سلاح واحد وكانت وسائل دفاعهم درعا يغطي النصف الاعلى والخذة نقي الرأس والمسامي (الطافات) بقي الساق والتروس تجعل في مقدمة الحسد . اما وسائل هجومهم فسيوف قصيرة ومخ طويل . ويسمى المسلح على هذه الصورة نامم ابوليت . والمسلحون من الاسبارطيين مقسومون الى كتائب وسرايا وفرق وتترادف على مثال ترتيب حيوتنا لهذا العهد الا قليلاً . فكان الضابط يقود احدى هذه العصابات وبلغ رحاله اوامر الرئيس بحيث انه يتأق للقاء العام ان يوحد حركة الجيش كله . وهذه الطريقة التي رآها سهلة هي بالنسبة لليونان ابداع عجيب .

مصاصات الجيش — متى بلغ الجند مقدمة الاعداء يأخذون مصافهم ويكون في العادة

على ثمانية صفوف متقاربين بعضهم من بعض مؤلفين من جموع متكاثفة تدعى حوامل ومصاصاً ويقدم الملك وهو قائد الجيش عزة على سبيل النذر للارباب واذا نفاءلوا باحشاء الديجة نفاؤلاً حسناً بدا جماعة من الجند يرددون لحناً وعندئذ تتهر صفوفهم فيباعثون اعداءهم مسرعين على الايقاع ونعمات المرمار والرمح يعلو والترس على الجسد فيحملون عليهم و صفوفهم متراصة فينكسون اعلامهم بجموعهم ووبوهم ويهرموه ويقفون حالاً لثلاث قطع مصافهم وانه ليتسى لكل جندي ان يحيي احاء مادام سير الجيش كسماً الى كتف فيكون بذلك كالبنيان المرصوص بتعذر على العدو ان يجد الى حرقه سبيلاً . نعم ان هذه التعبئة كثيفة في ذاتها ولكنها تكفي لغلبة جيش متسوس وقلاً يقاوم ناس منفردون مثل تلك الجموع ولقد فهم سائر اليونان هذا الامر فاندوا جميعهم بالاسباطيين ما ساعدتهم المكنة فكان جندهم حيناً حلوا مدحجين بالسلاح وقاتلوا حوامل وكسائب متراصة .

الرياضة الحسمية - اقتضى تدريب رجال حفاف اقوياء لتسى مهاجمة العدو في مثل تلك الصفوف ونكيس اعلامه لاوّل وقمة فكان على كل جندي ان يحسن البراز والصراع فمن سم رتب الاسبارطيون الرياضات البدنية واقدى منهم سائر اليونانيين فاصبحت الرياضة عملاً من اعمال الامة كافة . واكبر اعمالها اعتباراً ما يكلل صاحبه في الاعياد العظيمة . عرفت احدى المدن في البلاد النائية بين برارة العول او البحر الاسود وتبت امها يونانية اذ كان لها ملعب للاعمال الرياضية . وكان هذا الملعب قطعة مرعة عظيمة تحيط بها اربعة اودالير وهي في الاغلب على مقربة من بيع وله حمامات وقاعات للترين . فيحضر السكان الى ذلك المكان للذهاب والحادة وهو اسبه ساد وكان الفتيان يقضون في هذا الملعب عامين على الاقل يختلفون اليه كل يوم يتعلمون القفز والركض ورمي الإطار وضرب الحراب وبتصارعون بوسط الحسد لتقوية العضلات والجلد وينعمسون في الماء البارد ويطولون ابدانهم بالرب وبتحمسون بمسحة .

المصارعون - معظم الاسبارطيين يقضون عامة حياتهم في ممارسة هذه التمرينات لبقاء ومروءة فلا يعتمدون ان يصحوا مصارعين وقد وفق بعضهم الى ان تمت على ايديهم حوارق ويقال ان مليون من مدينة كروتون في ايطاليا كان يحمل بورا على كتفيه ويوقف عجلة وهي راکضة بان يسكبها من خلفها . ولقد كان هؤلاء المصارعون يخدمون في الحروب خدمة الاجناد وكثيراً ما يقومون بقيادة الرحوف وهذا صبح قولنا ان الرياضات البدنية بمثابة تدريب على الحرب .

اعمال الاسبارطيين - تعلم الاسبارطيون من اليونانيين الترويض والقتال وجاء منهم

مصارعون اقوياء اسداه وجند منظم وعرفوا هذه المزية في بلاد اليونان وكانوا من اجل ذلك يجترمون في كل مكان . ولما قضى على سائر الشعوب اليونانية ان تقاتل الفرس مجتمعة تحت راية واحدة لم يستنكفوا من اتحاد الاسبارطين زعماءهم . قال خطيب آتيني وكان هذا الامر لمحجة صحيحة واستحقاق تام .

آتينه

الشعب الآتيني

اتيكياء -- فاخر الآتينيون لسكناهم ابداً بلاداً واحدة وادعى اجدادهم انهم ولدوا من الرمل كالريزان . وقد احتاز الفاتحون من سكان الجبال بالقرب من بلادهم ولم يهاجموها وقلم دعيتهم اتيكياء الى قبالها . هذه المقاطعة مؤلفة من جبال شاهقة صخرية نائمة في البحر على شكل مثلث الاضلاع . وهذه الصخور المشهورة تقطع رحابها وبمسل نخلها حرادة مرداء بينها وبين البحر ثلاثة سهول صغيرة فاحد لا تروى (لحفاف سواقيها في الصيف) ولا تقوم بتعذية امة كبيرة .

آتينه -- على فوسخ من البحر اعظم تلك السهول قامت صخرة عظيمة وحيدة منصبة وقد استئت آتينه في سفحها . اما المدينة القديمة التي كانت تدعى الاكروبول (المدينة العالية) فاما كانت في قمة الجبل . وقد احذ سكان اتيكياء ينفرون الى ممالك عديدة فكانت كل قرية تحكم نفسها بنفسها ولها ملك يجمع جميعها تحت زعامته وهو ملك آتينه فيثا لفون بذلك مدينة واحدة وليس معنى ذلك انهم كلهم يحيطون رحلم في المدينة . بل يظل كل منهم يسكن قريته ويررع ارضه . بيد انهم كلهم عبدوا ارباناً واحدة وهي آتينه . معبودة آتينه وحضعوا باجمعهم للملك واحد .

تورات آتينه -- قد رجعت آتينه ومرت السلطة الملكية واستعاضت عنها بتسعة زعماء (اركون) يتبدلون كل عام . وانا لنجمل هذا التاريخ كل الجهل اد لم يبلعنا عن داك الوقت اقل كتابة ستند اليها . ويروى ان الآتييين عاشوا قرونًا في شقاق يصطهد اشراف اصحاب الاملاك (اوباتريد) العملة من اصحاب المياومات في اراضيهم وبيع الدائنون مدينيتهم بيع الارقاء . ولقد عهد الآتييون حباً بتوطيد الراحة الى صولون احد حكامهم ان يسن لهم قوانين يسيرون عليها فقام بثلاث اصلاحات : اولاً تقليل قيمة السكة وهو مما سهل على المدينين ان يوفوا ما عليهم من اهون سبب . ثانياً جعل الفلاحين ملاكاً للاراضي التي يزرعونها ومن ذاك الحين صار في اتيكياء كثير من صغار اصحاب الاملاك مما لم يعهد مثله في بلاد يونانية . ثالثاً قسم السكان عامة الى اربع طبقات بحسب مداخيلهم وقضى

على كل منهم ان يؤدى الضرائب ويقوم بالخدمة العسكرية على نسبة ثروته . اما الفقراء فاعفاهم من الضرائب والخدمة . ولقد خضع الآينيون بعد وصولون الى بيزيستر اس احد انانهم العالمين العارفين تم بدأ الاضطراب سنة ٥١٠

اصلاح كليستين — اسنفاد كليستين احد زعماء الاحزاب من هذه الاضطرابات فقام بشورة عظيمة . ولقد سكن كثير من العرباء في اتيكيا وكان معظمهم ملاحين وتجاراً يقطنون مدينة بيرا بالقرب من المرفأ . فاعطاهم كليستين حقوق الوطنيين وساواهم بالسكان الاقدمين فصار من تم في تلك المقاطعة سبعان مغلطان سكان اتيكيا وسكان بيرا وكاذا يتميزان احدهما عن الآخر بعد ثلاثة قرون من هذا الاحتلاط باختلاف شخصاتهم فيسببه اهل اتيكيا سائر اليونانيين ويسببه اهل بيرا الآسيويين . وهكذا زاد الشعب الآتيني فاصبح امة جديدة ومن اكثر سكان بلاد اليونان حركة وساطاً حتى اذا كان القرن الخامس تألفت الهيئة الاجتماعية في آتينة تأليفها الاخير فكان ثلاث طبقات من السكان يقطنون اتيكيا الا وهم الموالي والاجانب والوطنيون .

الموالي — الموالي هم السواد الاعظم من اهل البلاد فلم يكن تمت رجل مها بلع من الفقر المدقع الا ويملك مولى اما الاغنياء فيملكون منهم كتيبة وملك بعضهم نحو خمسمائة مولى وكان من شأن هؤلاء الموالي ان يبقوا في الدور وشغلهم الطحن والحجن وحياكة الثياب ونسجها وطبخ الطعام وخدمة ساداتهم . ويعمل بعضهم في المعامل حدادين وصباغين او يستغلون في المقالع والمناجم الفضية . ويقوم سيدهم باودهم ولكنه يبيع لنفسه كل ما ينتجه ايديهم ويأتي ثمره اعمالهم ولا يعطيهم من جميع ذلك الا الطعام . فكان عامة الخدمة والعاملين في المناجم ومعظم الصنائع عبيداً وارقاء . يعيشون في المجتمع دون ان يعدوا منه بل لا يتصرفون بانفسهم وهم ملك مواليتهم حسداً ومادة . ولم يعتبروا الا اعتبار عروض تملك وربما دعواهم «اجساداً» وليس لهم من شريعة غير ارادة سيدهم . ولسيدهم عليهم كل حق وسيطرة فان شاء شغلهم وان شاء حبسهم وان شاء حرهم من طعامهم وان شاء ضربهم واذا شئت لاحد الوطنيين قضية يتأتى لخصمه ان يطلب تعذيب مواليه ليقروا بما يعملون . وقد امتدح عدة خطباء آتيين هذه العادة وعدوها ضرباً من صروب الحذق لاحد شهادة صحيحة . قال الخطيب ايريه ان التعذيب احسن واسطة ليل البراهين ولذلك متى كان عليك ان توضح مسألة منازعة فيها فاياك ان تعتمد الى الاصرار بل انك تصل الى كشف القناع عن محيا الحقيقة بجعل العمدان في العذاب الشديد .

الاجانب — هم ناس من اصول مختلفة يقيمون في اتيكيا وهم الذين يدعون الميتيكيين

(اي المتساكنين) . ولم يكف الرجل كما هو الحال عندنا ان يولد في ارض آتينية ليعد وطنياً بل يجب ان يكون ابن وطني . وعبثاً استوطن الطراء في اتيكيا اجيالاً كثيرة وماعدت قط اسراهم آتينية . والميتيكيون والحالة هذه لم يكن لهم ان يشتركوا في الحكومة ولا ان يترؤجوا وطنية ولا ان يقننوا ملكاً على حين كانوا احراراً في اتبخاصهم ولم حق السفر في البحر وان يكونوا صيارف وتجاراً على شرط ان يتخذوا لهم زعيماً ومولى يمتلهم امام القضاء . وكان في آتينة زهاء عشرة آلاف أسرة من الميتيكيين ومعظمهم صيارف وتجار الوطنيين — اقنضت الحال ان يكون الانسان ابن وطني او وطنية ليكون وطنياً آتينياً ومتى بلغ الفتى الثامنة عشرة من عمره يعد عندهم راشداً فيقف امام جموع الشعب ويدفع اليه السلاح الذي يقضى عليه حملاً ويقسم يمينا فيقول . اقسم ناني لا اهاين هذا السلاح المقدس ولا اأعادر موقفي في صفوف الاعداء وان احصع للحكام والقوانين وأشرف على ~~ال~~ وطني . ويكون بهذا الحلف وطنياً وجندياً معاً ويقضى عليه بعد ان يخدم في الجندية الى من الستين وله لقاء ذلك حق الجلوس في مجلس الامة والقيام بوظائف الحكومة ورنبارخي الشعب الآتيني يجعل رجل وطنياً على حين ليس هو ابن وطني ولكنه يرضى بذلك على صفة استثنائية وتوسعاً في المكرمة العظيمة . وموافق المجلس على قبول العربي وينبغي ان ينتخبه على الاقل ستة آلاف وطني بعد تسعة ايام من هذا الاقتراع وفي جلسة نائية وذلك في انتخاب سري . والشعب الآتيني هو كدائرة مطبقة لا يدخل فيه اعضاء جدد الا اذا رضى الاعضاء القدامى بقوله على اهمهم لا يقبلون غير انانهم .

المجلس ---- يلقب الآتينيون حكومتهم بالحكومة الديمقراطية (اي حكومه الشعب) وليس هذا الشعب ما نعي به عندنا من جمهور السكان بل هو جماعة الوطنيين وحلصاء الاشراف وعددهم بين خمسة عشر الفا الى عشرين الف رجل وهم زعماء الامة بأسرها . وهوؤلاء الجماعة سلطه مطلقة وكلمة عليا وهم على التحقيق ملوك آتينة فان مجلسهم بلنهم ثلاث مرات في الشهر للمفاوضه والاقتراع . يجتمعون في الهواء الطلق في ساحة البيكس فيجلس الوطنيون على مقاعد من حجرات درجات ويقعد الحكام نازائهم على منطبة ويفتحون الجلسة باحتفال ديني وصلاة يصلوها ثم يعلن المناادي بصوت جهوري بالمسألة التي يناقش فيها المجلس قانلاً من منكم يشرع في الكلام أولاً . ولكل وطني الحق ان يطلب ذلك . وعندها يصعد الخطباء المنبر بحسب تفاوت اعمارهم ومتى تكلموا كافة يضع الرئيس المسألة المطروحة على بساط البحث فيقترع المجلس بان يرفع اعضاؤه ايديهم . ثم ينصرفون .

الحاكم — لما كان الشعب حاكماً فهو يقضي في القضايا لذاته بذاته ولكل وطني بلغ

التلابين من عمره ان يكون من اعضاء مجلس الحكم فيجتمع الحكام في القاعات الكبرى فرقا كل فرقة مؤلفة من خمسمائة سمة . وفي كثير من القضايا ياتم فرقا او ثلاث فرق من الحكام فتتألف المحكمة من جمهور يبلغون ألفاً وألفاً وخمسمائة قاضٍ ولم يكن للتبيين حكام كما هو الحال عندنا لرفع القضايا بل كانت هذه المهمة من وظيفة الوطني الذي يعهد اليه تجريم المجرمين . فتمتثل المدعي والمدعى عليه امام المحكمة ويخطب كل منهما حطبة لا تزيد على وقت أحد ساعة دقافة مائية . ثم يبدأ القضاة بالموافقة على وضع حصة بيضاء او سوداء فادا توفر للمدعي بضعة آراء (اصوات) زيادة على حصمه يحكم عليه ويحرم .

الحكام - كان الشعب الحاكم في حاجة الى مجلس لوضع المسائل موضعها من تحت والى حكام ينفذون ما يقرره ويألف المجلس من خمسمائة وطني تصيهم القرعة حولاً كاملاً . واذ كثر عدد الحكام حص عشرة منهم لتعبئة الجيش وقيادته وللاون لادارة الشؤون المالية وستون مهم يعهد اليهم حطة الحسبة من النظر في الشوارع ونظافتها والاسواق وبياعاتها والاوزان والقياسات وما يتبعها .

معة هذه الحكومة - لم تكن السلطة في آية في ايدي الاعنياء والشرفاء كما كانت في اسبارطة بل كانت تقرر كل مسألة باكثرية الآراء وتعدل الآراء فيجري انتخاب الحكام واعضاء المجلس والعمال بالقرعة . الا القواد فهم لا ينتخبون كذلك . والوطنيون يتساوون لا من حيث الامور النظرية بل من حيث الامور العملية . ولقد قال الحكمي سقراط لاحد اهالي آتينة المورين وكان لا يجرأ على الكلام امام الشعب « يا هذا من تخاف ؟ ام القصارين ام من السكاكين او الممارين او الخرايين ام من السوق والمرتقين من هاته الطبقات يتألف المجلس » وكثيرون من هؤلاء الحكام مضطرون الى الاحتراف ليعيشوا ولم يكن في وسعهم ان يخدموا الحكومة بالجان ولذلك عينت لهم مشاهرات واحوراً فيتناول كل وطني اجرة جلسة واحدة في المجلس او المحكمة ثلاثة فلوس او خمسة واربعين ساتيماً من سكنا وهو القدر الذي يتأتى لرجل ان يعيش به في ذاك العصر . من احل هذا كثر الاعضاء الفقراء في هذه المجالس وحلوا على دكات المحاكم مع الاعنياء كنفاً الى كنف ووجهاً لوجه .

الفوضيون من الشعب - لما كانت تفصل المسائل برمها في المجلس او المحاكم بالناقشة فيها والقاء الخطب في مضامينها كان فصحاء القوم هم ارباب المكانة المكيئة في الامة . فاعتادت هذه ان تسمع لاصوات الخطباء وان تعمل محائيلهم وتعهد اليهم في السفارات وان تعينهم قواد اوزعاء . ويدعى هؤلاء الرجال الفوضيين « اوزعاء العصاة » . اما

حرب الاغنياء فيضحك منهم . وقد مثل اريستوفان الشعب في احدى الروايات الهللية في صورة شيخ سخي ف قال : انت عبي تصدق كل ما تسمع تستسلم لاهل النفاق والدسائس يتلاعبون بك على هوام وتغيبط بالسعادة متى حطبوا فيك . وقال احدهم خطاباً للاحد نزاع الآفاق انت يا هذا سبي فظ عليظ وصوتك شديد وفي بلاغتك من القمح وفي حركاتك من السرعة ما يؤهلك على ما اري الى كل ما يلزمك لحكم آتينة .

الحياة المنزلية

احترع الآتييون وظائف كثيرة عهد القيام بها الى فئة من الوطنيين . فكان الوطني الاتيني كالموظف والخندي في ابامنا مهتماً بالانصراف الى الاعمال العامة بصرف ايام حياته في اشتهار الحرب والحكم على الشعب وبقضي ساعاته في المجلس او في المحكمة او في الجيش وفي محال الرياضة او في الدوق وكان له انداً امرأة واولاد لان الدين يأمره بذلك ولكنه ما كان يعيش عيش البيوت .

لاولاد — يحق للوالد عدد ما يولد له مولود ان يطرحه ويطرده خارج بيته فيموت طريقاً اذا لم يلتقطه احد اثناء السبيل ويربيه ليحمله مولى له . وانت ترى ان آتينة اتبعت في هذا خطة جماع الشعوب اليونانية . والبنات كن 'ببندز في العراء ويطرحن خارج المنازل اكثر من البنين قال احد الخطباء الهزليين ان الابن 'يربى في الغالب ولو كان ذوهه في اقصى دركات الفاقة اما الابنة فتهمل ولو كان اهلها من الغنى على حارب . فان قبل الولد الولد يعد من الأمرة ويترك اولاً في مساكن النساء بالقرب من الام حيث يظل البنات الى ان يتزوجن اما البنون فينفصلون عن تلك البيوت في السابعة من عمرهم فيسلم الطفل الاتيني الى المربي الذي يعهد اليه تعليمه وتحسين هيئته والخضوع والطاعة وكثيراً ما يكون المعلم من طبقة الموالي الان والوالد الطفل جعله في حل من ضرب ابنه . وهذه كانت عادة عامة في القديم . ثم يذهب الولد الى الكتاب يتعلم القراءة والكتابة والحساب واشتاد الاسعار والغنى مع جماعة الموسيقيين على نحات المرمار ثم يأخذ في تعلم الالعب الرياضية وهذه غاية ما يتعلمه الولد فيجيء من هذا التعليم من اماء الآتييين رجال صحيحة اجسامهم هادئة افكارهم يدعوم اليونانيون اهل الصلاح والجمال . اما الفناء فنظل بالقرب من امها لانتعلم شيئاً . ويذهبون الى انه يكفي الابنة الآتينية ان تحسن الخضوع وتلتبث باهداب الطاعة . وقد مثل كسينوفان احد اغنياء الآتييين المهذبين وهو يخاطب الحكيم سقراطاً في شأن زوجه قال : لم تكذب تلغ الحامة عشرة حتى تزوجهها وقد كان ذوها جعلوها الى ذاك العهد تحت المراقبة الشديدة وارادوا ان لا تبقى وتعيش ولا تسمع

شيئاً على التقريب مما اهلها لان تكون امرأة تحسن نسج الصوف وتصنع منها ثياباً ورأت باي الطرق يستخدم الاماء والحاديات . ولما اقترح عليها زوجها ان تكون شريكة في حياته احابته مدهوشة : على اي امر أعينك وهل انا قادرة على شي ؟ فلطالما قالت لي أمي ان سأفي الخاص بي ان اكون عاقلة . فعنى كون المرأة عاقلة ان تحضع وهذه هي الفضيلة التي تطلب الى المرأة اليونانية .

الزواج — نترؤج الفناة في الخامسة عشرة من سنها واهلها يختارون لها زوجها فيكون تارة شاباً من أسرة قريبة او رجلاً طاعناً في السن من اصدقاء والدها ولا يعدو انداً ان يكون وطنياً آتينياً وقد تعرفه الفتاة من قبل في بعض الاحوال وما قط أخذ رأيها في معنى زواجها . ولما تكلم المؤرخ هيرودتس عن احد ابناء يونان قال : ان كاليبس هذا حدير بان يتكلم المتكلمون في امره للخطة التي يسلكها مع ساته فاهن متى صلحن للارواج فيخلهن من المال شيئاً كثيراً ويسمح لهن باختيار ازواج لهن من ابناء الامة ويروجهن ممن يتجنبنهن النساء — كان في داخل كل بيت آتيني مسكن منمرل حاص بالنساء يدعى الحرم ولا يختلف الى هذا المسكن غير الزوج والاسباء وتبقى فيه ربة البيت دائماً مع صويجاتها وامانها ترأقب اعمالهن وتلقنهن اصول تدبير المنازل وتوزع بيمن الصوف ليحكنه وهي تسغل نفسها بجماكة الثياب ايضاً . وقلما كانت تخرج من دارها الا في الاعياد الدينية ولا تظهر في مجتمعات الرجال قط . قال الخطيب اريس : حقاً انه لم يكن لاحد ان يجراً على العداء عند امرأة مزوجة فان النساء المروحات لا يحرجن للناول الطعام مع الرجال ولا يسمحن لانفسهن ان يأكلن مع الغرباء وغير المحارم . وما كانت المرأة التي تحالط الرجال معدودة في جملة النساء المحتشمت المهنات . وهكذا لم تكن المرأة وهي على حالها من الاعتزال والجهل ذات عشرة مقبولة فيترؤج بها الرجل لا لتكون شريكة حياته بل للقيام بأمر بيته وتلد له اولاداً ولان العادة والدين عند اليونانيين يقضيان بان يكون للمرأة حليلة . وقال افلاطون اذا تزوج المتزوج فليس يرضاه وذوقه السليم بل لان الشريعة تقضي عليه بذلك . وقال مياندر الشاعر الهزلي هذه العبارة : اذا شئت التحقيق فقل ان الرواج شر ولكنه شر لا مناص منه . ولذا كان انداً للنساء في آتينة كما في معظم المدن اليونانية مقام وضع في المجتمع .

الحروب المادية

سببها — بينا كان اليونان آحذين في تنظيم مدنهم كان ملك الفرس يجمع شتات بلاد الشرق كافة تحت لواء واحد . ولقد تقابل اليونان والمشاركة وكان المصاف بينهم لاول

الامر في آسيا الصغرى . وكان على شاطئ آسيا مستعمرات يونانية غنية ماهولة فطمع قورس ملك فارس في ضمها الى بلاده فبعثت تلك المستعمرات تستجد بالاسباطيين وقد استهزوا بانهم احرا ابناء اليونان وانذروا بذلك قورس فاجابهم بقوله : اني ما حشيت قط هذا الضرب من الناس الذين يجتمعون في ساحة وسط مدتهم ليخدع بعضهم بعضاً بالايان والعهود (كلامه على ساحة السوق) فغلب ابناء اليونان في آسيا واصبحوا رعايا داريك الخاقان الاعظم . وبعد ثلاثين سنة تقابل الملك دارا مع يونان اوربا ولكنهم طهروا عليه هذه المرة فارسل الاربعمائة سفينة على الايويين العصاة فدخل خندهم سيفاً ليديا واستولوا عنوة على مدينة ساردس عاصمة ليديا واحرقوها . فانتقم دارا عن ذلك وان حرب المدن اليونانية في آسيا ولم يبق على يونان اوربا . وقيل انه امر ان يقتل لديه ضابط في كل مأذبة يكرر على مسامعه قوله : مولاي تذكر الاربعمائة . وقدعت الى المدن اليونانية يطلب تراناً وماء . وهذه الاشارة الشائعة عند الفرس كانت دلالة على ان شعباً يخضع لادله اسلطة الخاقان الاعظم فاجس معظم اليونانيين حيفة واستسلموا حاصعين باحسين وطرح الاسباطيون المندوبين من الفرس في شرفائين لهم ان ياحدوا منها ماء وتراباً يحملوها الى ملكهم . وهذه كانت فاتحة الحروب المادية .

مبادلة الحصين - ان التباين بين هذين العالمين المتحاربين قد اشار اليه هيرودس احسن اشارة في صورة محاورة بين كسيركيس ملك الملوك وديماترات احد المنفيين من الاسباطيين فقال هذا : اتجاسر ان اؤكد لك ان الاسباطيين يعلمون عليك حرباً حتى ولو انجاز سائر ابناء يونان كافة الى حزنك ولولم يبلغ جيشهم الف رجل . فاحاب كسيركيس صاحكاً وليت شعري هل في وسع الف رجل ان يشهروا حرباً على هذا الجيش الكثير العدد والعدد واني لاحسب ان يكون في كلامك تحذلق كثير . وهب ان عددهم خمسة آلاف ففحق زهاء الف لقاء واحد . فلو كان لهم زعيم مثلنا فانت الحوف بمحسهم ويزيد نفوسهم مصاباً ويرحفون بصرب السياط على جيوش اكثر منهم حصاً وعدداً . واذ اهمر احرار لا علاقة لهم باحد فليس لهم من الشجاعة اكثر مما خصتهم به الفطرة . يقول ديماترات ان ليس الاسباطيون دون غيرهم في حرب يتلاقى فيه المتحاربون جسداً لحسد حتى اذا انضموا بعضهم الى بعض صاروا جيشاً برأسه ومن اتسع الناس وامضاهم . وقصارى القول فانهم وان كانوا احراراً في الظاهر ليسوا كذلك في سائر شؤونهم فلمهم حاكم مطلق ألا وهو « القانون » فهم يخافونه كثيراً ويهربون نأسه اكثر من رهبة رعايانا لك . يطيعونه والقانون يا مرهم ان تبتوا في مصافهم ابداً الى ان يغلبوا او يموتوا - اليك حال هذين

يرحفون الى العدو الا اذا امهلت السياط عليهم وقد جاؤا بسيف القوة والقهر الى حرب لا يهجم امرها ولا سلاح لديهم . لا نظام في مصافهم وهم لا يلبثون ان يركنوا الى الفرار بمجرد ان تعيب عين الحراس عنهم . ونقاتل الماديون والفرس وحدهم في ثلاثيه وميكال ونجا الرعايا . وكان الجند الفارسي سيئ النظام والعدة يلبس نيا باطويلة وقد وقيت رؤوسهم بقلسوة من لباد وحفظت اجسامهم اتراس من سجر الصفصاف والخلاف وسلاحهم قوس ومديّة وحربة قصيرة جداً ولم يكونوا يستطيعون القتال الا بميدن ويقاثل الرجل رجلاً مثله . اما الاسبارطيون والتحدون معهم بعقد الخالفة فكانوا على عكس ذلك نقيضهم التروس العظيمة والحدود وقيامات السوق ويسيرون جموعاً مستبكة لا تقاوم يحرقون صفوف العدو محاربهم الطويلة وما هو بأسرع من رد الطرف حتى تصير الحرب ملحمة كبرى ومذهبة تباع فيها الارواح بسع السلاح .

نتائج الحروب المادية - فادت اسبارطة الحيوس ولكن كما قال هيرودتس كانت آتينة هي التي انقذت اليونانية بان كانت لها مالا في المقاومة . والفت اسطول سلامينة وقد استعادت آتينة من هذه المصرة اما المدن الايوبية من الحرر وشاطيء آسيا حملة واحدة فقد تارت ومردت والفت عصانة تبايعت فيها على الموت في سبيل الدود عن اوطانها من مهاجمة الفرس . واما الاسبارطيون وهم شعوب حلبية فلما لم يستطيعوا ان يدروا حراً انصرفوا راجعين ادراجهم فاتجج الاثينيون اد داله زعماء العصابة . وفي عام ٤٧٦ جمع اريستدس قائد اسطولهم نواب المدن المتحالفة فقر رأيسهم على ماعة حرب الخافان الاعظم وتأمروا بهم على تقديم سفن ومحاربين وان يؤدوا كل سنة قطعة من المال قدرها ٤٦٠ تالاناً (اسيه مليوناً وسبعائة الف ورنك) وجمعت الحراة بدينه دياوس في معبد ابولون معبود الايوبيين وكان عهد الى آتينة ان تقود الجيوس وتجي القطائع . وقد الى اريستدس في البحر قطعة من الحديد المحمي واقسموا كلهم ان يحتفظوا جميعاً بالعهد الى يوم تطفو هذه الحديدية على سطح الماء وذلك حباً بتأكيد العهد ونفاذاً من نقض يمين الاحلاص .

وقد حدث مع هذا ان الحرب وقعت وعقد اليونان — وكان النصر اليه الوينهم ابداً — معاهدة سلمية او هدنة مع الخافان الاعظم فإلى الملك ان يعد يونان آسيامن رعاياه (نحو سنة ٤٤٩) . وهنا سؤال يورد في هذا الباب وهو كيف انتهت معاهدة اريستدس وهل كان على المدن المتحدة ان تؤذي القطائع على حين ليس عليها ان تقاتل بعد فإلى بعضها ذلك حتى قبل ان اُظفئت نار الحرب . وزعمت آتينة ان المدن كانت أخذت على انفسها العهد على الدهر فاضطرتها الى ان تؤذي ما يطلب اليها . حتى اذا وصعت الحرب

أوزارها لم تجد حراسة ديولس فتيلاً ولذلك نقلها الآتييون الى مدينهم واستخدموها في
ابناء المصانع والمعاهد . ولطالما كانوا يقولون ان المتحدين يؤدرون ما يتقاضونه من الضرائب
للخلاص من ايدي الفرس فمن تم لم يكن لهم ما يطالبون به بثة ما دامت آتينة تدفع عنهم
عادية الحاقان الاعظم . وهذا مما غير حالة المتحدين فصاروا ملزمين بدفع الضرائب لا آتينة
وما عثموا ان امسوا رعاياها فوادت آتينة في قلوبهم واكرهت مواظبتهم على المتول امام المحاكم
الآتينية بل قد ابعدت بطواريء من قبلها ليسمعروا جانباً من ارضهم وبهذا النظر اصبحت
آتينة ام القرى تحكم زهاء ثلثائة مدينة متفرقة في الحزر وسواطيء الارخبيل وتجي قطيعة
قدرها ستائة تالان في كل سنة .

الصنائع في بلاد اليونان

آتينة على عهد الامراطور بركليس

بركليس --- كانت آتينة في منتصف القرن الخامس من اقدر المدن اليونانية يدير
امرها بركليس احد ابناء الاسرات العظيمة وكان مقلاً من الكلام غير منبذل في تخصصه ولم
يكن يتوقع في اعماله رضى الامة بل كان الآتييون يحرمونه ولا يجرون الا على اصابحه
وهو معروف بانه متمكن من شؤون الادارة ومعرفة البلاد ولذلك دحلوا تحت سيطرته وحكمه
وادار سياسة آتينة كلها اربعين سنة كما قال معاصره توسيديس المؤرخ : ان الحكومة
الديمقراطية كانت موجودة بالاسم بل كانت تلك الحكومة حكومة الوطي الاولى على التحقيق
آتينة ومصالحها -- كانت منازل القوم الخاصة في آتينة كما في معظم المدن اليونانية
ضيقة واطئة متراكمة بعضها على بعض يكون منها ارقعة ضيقة منعطفة سيئة التسلط . وقد
جعل الآتييون عظمتهم في معالمهم العامة . فمنذ احدثوا يحجون من محالفهم قطائع لتصرف في
سبيل الحروب كانوا ينفقون النفقات الطائلة في اقامة انية جميلة فعمروا بي ساحة احد
السوارع رواقا مرينا بالصور (الفسيلي) والستوا في المدينة دارتمتيل ومعبد اكراما لتيريس
احد الطاليم واوديون معبد الشعر والموسيقى وذلك للمسابقة في هذا العلم . ولكن قامت احمل
المباني على صخرة الاكروبول كأنها على قاعدة هائلة وهما معبدان (احدهما هو البارتيونون
جعل قربى للمعبودة آتينة حامية مدينة آتينة) والاخر هيكل ضخم من القلزمثل آتينة وسلم من
الانار الجلييلة يصل الى البروييلي ورواق الرحام في آتينة . ومن دلك العهد كانت آتينة
اجمل بلاد اليونانية وانضرها .

عظمة آتينة --- ومع ما حصت به آتينة من الصفات المشار اليها كانت ايضا مدينة اهل
الصنائع فقد حشر اليها الشعراء والخطباء والمهندسون والمصورون والنقاشون وكان بعضهم

من اهل آتينة وجهائها وجاءها البعض الآخر من اطراف ارض يونان يحملون الى تلك المدينة العظيمة نتائج صناعاتهم وطرف طرائفهم . لا جرم انه نبغ كثير من ارباب الصنائع اليونان لم يكونوا من اهل مدينة آتينة وذلك قبل القرن الخامس وبعده بكثير من الزمن ولكن قل ان اجتمع هذا القدر العظيم من ارباب الصنائع في مدينة واحدة ولقد كان معظم اليونانيين من اكيس ارباب اعارف في الصناعات وموادها بيد ان الاتيينين فاقوا غيرهم بحس دوقهم وصنع ايديهم واماروا بعقول متقفة ورعبة في الطرف وآثار الظرف واللفظ . ولئن جاء من ابناء يونان امة رقيقة القدر عالية المكانة في تاريخ الحضارة فذلك لاهلها امة تحسن ملكة الصناعات فلا جيوشهم القليلة ولا بلادهم الصغيرة الرقعة حدمت العالم والعمران خدمة اعظم من خدمه صناعاتهم لها . فاليك السبب الذي من احله كان القرن الخامس اجمل عهد في تاريخ يونان والداعي الى ان جعل آتينة تستأثر بفضل الشهرة اكثر من غيرها من المدن اليونانية .

الآداب

الخطباء --- امتازت آتينة اولاً ببلاغة خطباتها فكانت حقاً للآداب وحسن الالتقاء وبالخطب في مجلس الامة يقرر اشهار الحروب وعقد السلم ووضع القطائع والضرائب وكل الشؤون العظيمة وبالخطب التي تلقى في المحاكم يحكم على الوطنيين والرايا او يروئون للخطباء الساطة وعلى الامة ان تعمل نصائحهم ومواعظهم وربما عهدت اليهم بادارة شؤون المملكة فقد عين كليون قائداً ورأس ديموستين الخطيب حرب فيليب وللخطباء نفوذٌ وكثيراً ما يلجؤون الى بلاغة القول للنيل من عدائهم في سياستهم ورمما غتنوا لانهم ينالون من ارباب الغايات ما يرضيهم من المال ليعضدوا احد الاحزاب . فقد اخذ اسيل مالاً من كدونيا وقبض ديموستين دراهم من ملك الفرس .

ثم ان بعض الخطباء يستؤمن خطباً ليقمها غيرهم . ولا يسوع لم كانت له قضية ان يرفعها بواسطة محام كما هو الحال عندنا بل نقضي شريعة البلاد ان يتكلم صاحب القضية في قضيته بالذات . فمن تم كان عليه ان يروح الى احد الخطباء ليلتمس منه تأليف خطاب له يستظهره ليلتوه امام المحكمة . ولطالما جاب بعض الخطباء بلاد يونان وتكلموا في موضوعات توحيا اليهم الخيلة فاقاموا لهم كما نقول مقامات وعقدوا اندية ومؤتمرات (١) وكان قدماء الخطباء يتكلمون بدون تصنع مقنصرين على ان يقصوا على المناير الكوائن بدون ان يعتمدوا الى اساليب خطايه فيقفون في المنبر لا حراك لهم دون ان يصحوا او يتحركوا وكان الملك

(١) اشتهر عشرة من هؤلاء الخطباء حاسة فدعوا خطباء اتيكيا العشرة

بيركليس يحطّب حطبه على طريقة هادئة دون ان يحرك اهداب رداؤه وعند ما كان يقف في منبر الخطابة وقد تكال رأسه حسب العادة بأوراق التنجيزم الشعب انه يتخذ رناً من ارباب الاولمبيا ولكن الخطباء الذين جاؤا بعد ذلك طمعوا في اتارة الامة وتحريك احساسها والنفوذ الى شعورها واصطلحوا على الاشياء المتين يروحون في المنبر و يعدون منتسدين متحريكين . وما عمت الامة ان اعتادت هذا الاسلوب في الفصاحة . ولما احذ ديموستين يتكلم في منبر الخطابة للمرة الاولى طفق الحضور يقهقهون ويضحكون من اسلوبه اذ لم يكن يحسن التلفظ ولا الوقوف ثم ما لبث ان مرّ على الالتقاء واحسان الحركات المطلوبة حتى صار نديم الشعب وعريه . دنت الايام ودرجت الليالي وديموستين حطيب في امته . وقد سُئل بعد عن اول صفة في الحطيب فاجاب بانها العمل ثم سُئل نايه فقال العمل ثم سُئل بالله فقال العمل . ومعنى العمل طريقة الالتقاء فانها كانت تهم اليونان اكثر من الخطبة .

الحكمة: -- كان مند قرون عند يونان آسيا حاسة اساس يراقبون المادة ويفكرون في امرها لقبوا بالحكماء والعلماء في آن واحد وقد عُنوا بالطبيعيات والفلك والدارنج الطبيعي اذ لم يكن العلم قد انفصل بعد عن الفلسفة وهكذا كان حال مشاهير الحكماء السبعة ببلاد يونان في القرن السابع .

السفسطائيون — جاء ناس على قرب عصر بيركليس الى آتينة فاتخذوا تعليم الحكمة صناعة واجتمع لهم كثير من الدلاميذ استوا بقاصومهم احور الدروس التي يلقونها . وجعلوا ديدهم الانكار على الدين والعادات واصول ادارة المدن اليونانية يوهمون انها غير مبنية على العقل . وبأحدون من ذلك ان المرء لا يعرف شيئاً صحيحاً (مما كان قريباً من الصواب في عهدهم) وليس في طاقه ان يعرف امراً صدقاً كان او زوراً قال احدهم لا وجود لامر ومتى وجد صعبت معرفته . ويدعى هؤلاء المعلمون للتشكيك بالسفسطائيين . وقد حص بعضهم بملكة الخطابة .

سقراط والفلاسفة — حاول سقراط احد شيوخ آتينة ان يكر على السفسطائيين ويوقفهم عند حدهم على فقر حاله وساعة منظره ولكنة لسانه ولم تكن له دروس يلقها كاولئك السفسطائيين بل يكتفي بالرواح الى المدينه يحاطب من يصادفهم من جماعتهم بكثرة ويحملهم بكثرة الاسئلة على ان يفكروا فيما ينكر فيه نفسه . وكان محته مع الفتيان خاصة يعلمهم وينصح لهم . ولم يكن يظهر سقراط انه شدا تيناً من العلم بل كان يقول ان غاية علي اني ادري لا ادري . وود لو دعي فيلسوفا اي مجاً للحكمة لا حكماً كسائر تلك

المر . ولم يتدبر شيئاً من طبيعة الكون او مسألة من مسائل العالم بل كانت همه دراسة احوال الانسان . وكانت حكمته في قوله . اعرف نفسك . فكان من ثم مبشراً بالفصيلة . واذ انه كثيراً ما كان يحوض في الموضوعات الاخلاقية والدينية عدة الاينيون فسفطانياً . وفي سنة ٣٩٩ مَثل امام المحكمة متهماً بانه يتخاف عن عبادة ارباب المدينة وانه يحاول ادخال ارباب جديدة اليها ويفسد على الشبان عقائدهم فلم يحاول ان يدافع عن نفسه بل حكم عليه بالموت وكانت سنة اذ داك سبعين سنة فابصر له كسينوفون احد تلاميذه . والف افلاطون من الفلاسفة محاورات اقام فيها سفراط رعيم المتحاورين فاعتبر من داك العهدان للفلسفة اما افلاطون فقد كان صاحب مذهب معروف (٤٢٩ - ٣٤٨) ولخص ارسطو تليذ افلاطون (٣٨٤ - ٣٢٢) علوم عصره كافة في كتبه وقد انقسم الفلاسفة الذين اتوا بعد المعلمين ارسطو وافلاطون قسمين دعيت شيعة افلاطون بالروافيين وشيعة ارسطو بالمثابئين (لان ارسطو كان يعلم وهو يروح ويعدو)

الموسيقيون - كان من العادات القديمة ان يرقص القوم في الحفلات الدينية فيمر جمهور من الغتيار حول مذبح المعبود ثم يرجعون واقفين كالاتراف وقمة ذات معان واتشارات . اذ كان القدماء يرقصون باحسادهم كلها ويحلف رقصهم كثيراً عن رقصا وهو ضرب من التطواف الحماسي واسمه رواية ذات ايماء وكان هذا الرقص الديني انداً متفوعا باغان تعطيها للارباب ويسمى جمهور الراقصين والمغنيين جماعة الموسيقيين . وللمدن كلها جماعة من الموسيقيين ومنهم ابناء اشرف العيال يعدون كذلك بعد ان يستعدوا زمناً . ومن فرط العناية ان يكون خدمة الرب حديرين مخدمته .

الروايات الفاحعات والهرايات كان يحتفل الفتيان في الارياف المجاورة لآبينة كل عام باقامة المراقص الدينية اكراماً للرب ديونيزوس اله الكرمة وكان بعض هذا الرقص متشاقلاً يمثل اعمال المعبود فيصرب رئيس جماعة الموسيقيين علي وتر أغنية ديونيزوس ويصور حوقه رواقه وهم اناس لهم ارجل تيوس يسكنون العابات ثم ياحدون في تمثيل عيش ارباب أحر وابطال قدماء . ثم حطرو لاحدهم ان ينصب مضطبة يجيء مثل يلعب عليها عند ما ينقطع جوق الموسيقى عن الضرب بانعامه . وهكذا تم المشهد ونقل الى المدينة بالقرب من سجر الحور الفارسي او مجتمع السوق فتأت من ذلك الروايات الفاجعات .

اما الرقص الآخر فكان مصحكاً فينكر الراقصون وجوههم وبتغنون بمدائح الرب يونيزوس وقد سابوها باضاحيك يسلون بها الحضور او بتصورات هرية في حوادث حدثت ذاك اليوم . وقد صنع في الحق الهري ما صنع في الحق المفعج من ادخال ممثلين

ومحاورات ونقل المشهد الى آتينة وهكذا نشأت الروايات الهزلية (الكوميديا) من اجل هذا كانت الروايات الفاجعة تمثل الى يوم الناس هذا البطالاً اما الروايات الهزلية فتمثل حياة كل يوم واحتفظت الفاجعات (المأساة) والهزليات بعض اصلها وظلت تمثل امام هيكل الرب وان تكن فاجعة ولئن غدا الممثلون وهم جلوس على المصطبة اصحاب موقع في المشهد فقد ظل جوق التمثيل يرقص ويتغنى وهو يطوف حول المذبح وكان جماعة الموسيقيين في الروايات الهزلية كما كان يجيئ المتنكرون يبدون ملاحظاتهم على السياسة بقلطة .

الملاهي — جعل في مخدر قلعة الاكروبول ملعب للرب ديونيزوس اله الكرمة يسع ثلاثين الف منفرج وذلك ليحضر الآتيون كافة هذه المآهات . وكان هذا الملعب كسائر الملاعب اليونانية مكشوقاً تحت السماء ومؤلفاً من درجيات من الحجر مصفوفة على شكل نصف دائرة بازاء جماعة الموسيقى حيث كان يطوف المنشدون وامام المشهد الذي تمثل فيه الرواية . ولا نقام المشاهد فيه الا في اوقات اعياد الارباب بيد ان المشاهد كانت تدوم اذ دلك عدة ايام متوالية يبدأون في الصباح عند بزوع الغزالة ويتمثلون للحال ثلاث فاجعات وقصة هجومية تنتهي على ضوء المسائل من الليل والفاجعات الثلاث يؤلفها واحد وتمثل فاجعات اخرى في الايام التالية وهكذا كان المشهد ميدان مسابقة بين الشعراء والامة تعطيهم جوائز الاستحسان واشهر هؤلاء المتبارين اشيل وسوفلس واربدس . وقد عهدت المسابقة ايضاً بين مؤلفي الروايات الهزلية ولم يؤثر من كل ما الفوه من الروايات غير قطعة واحدة الفها ار يستوفان الشاعر الهزلي .

الصنائع اليونانية

المعابد اليونانية — قامت احمل المباني في اليونان تعظيماً للارباب ففى دكرت هندسة اليونان فلا يذهب الفكر الا الى معابدهم . وليس المعبد اليوناني كالببيعة النصرانية حاصاً بقبول المؤمنين الذين يهرعون اليه الصلاة فيها بل هو قصر يرله الرب ويماله يمثله قصر تحفه الالهة والجلالة ولا يلجحه جمهور المؤمنين بل يطلون خارجة حوالى مذبح تحت السماء وقد قامت مقصورة الرب في وسط المعبد وهو مرار سري لا نافذة له ولا ضوء ينفذ اليه الا ما كان من كوى في الاعالي . وقام الصنم في داخله معمولاً من خشب اورخام او عاج لابساً ذهباً محلى بالتياب والحلي وكثيراً ما يكون هيكلأ عظيماً . وقد مثل زيوس في معبد الاولبيا قاعداً ويكاد يصل رأسه الى القمة ولذا قيل ان الرب لو تمثل قائماً لحرق السقف وقد حجب هذا المزار عن الانظار من كل ناحية وهو عبارة عن مستودع ذخائر الصنم ويحتاز من يروم دخوله ضرباً من الرواق مؤلفاً من صفوف من السواري . ووراء الغرفة غرفة

ناية معلقة فيها الاعلاق الثمينة الخاصة الرب وجميع فنياته (١) وربما جعل فيها ذهب المدينة وفضتها . وهكذا كانت المعبد صواناً وكنزاً ومتحفاً وتحيط بالمعبد صفوف من السواري من اطرافه الاربعة مؤلفة حوالى جدار المزارع عداً ثانياً للرب وكنوزه والسواري على ثلاثة انواع تختلف باختلاف اساسها ورأسها او تاجها وعلى كل منها اسم الامة التي اخترعتها او اكرتت من استعمالها وهي بحسب اختلافها في القدم السواري الدورية والسواري الايونية والسواري الكورنية . ويدعى المعبد باسم السواري التي بُني عليها . وفوق الاعمدة حوالى البناء صفائح من رحام منقوشة على شكل اللوحة لتتناوب على قطع من رخام منضمة ومنها بألف الافير . ويعلم المعبد راية مثلية في اعلى مقدم البناء مردانة بتاتيل وقد صوّرت المعابد اليونانية بالوان عديدة من اصفر وازرق واحمر وبقي اهل التمدن الحديث زماً وهم يابون تصديق ذلك . وكان من الوهم العام ان لاء اليونان دوقاً معتدلاً جداً في نقش البناء . بيد انه اكتشفت في كثير من المعابد آثار نقوش لا تبقي مجالاً للشك حتى ادت الحال بالباحثين ان علموا بالتأمل فيها ان تلك الالوان الالامعة لم تحسن اخراج الخطوط وكان عليها ان تحسنه اكثر من ذلك .

صناعة النقش اليوناني -- يترأى المعبد اليوناني باديء بدء انه ساذج لا رينة فيه وما هو الا علة مستطيلة من حجر موضوع على صخر اما الواحية فتحتوي على شكل مربع تعالوه راويه . فلا ترى لاوّل بطرة غير خطوط مسقيمة وأسطوانات حتى اذا انظرت فيها عن أم نكتشف لك انه ليس من هذه الخطوط المسقيمة العديدة الا خط واحد مستقيم في الحقيقة . والسواري مسطحة نحو اوسط والخطوط القائمه مخفيه قليلاً نحو المركز والخطوط الأفقية محدبة في الوسط . وكان هذا من الدقة بحيث اقتضى قياسه بالدقيق لا كمنساف الصنعة فيه . وقد لحظ النقاشون اليونان ان اخراج مل هذا المجموع استطابق من البناء يقضي تحب الخطوط الهندسية التي تظهر محدبة وتومير العاية بظواهر المناظر البعيدة . قال كاتب يوناني ان عاية النقاش ان يحترع طرقاً يسحر بها اعين الناس . ولقد كان اهل الصنائع في يونان يعملون باحلاص لانهم يعتقدون عملهم قريب من احد الارباب لذلك كانت صنائعهم معتنى بها في كل اطرافها حتى فيما لا يرى منها وهي من المثانة بحيث يطول امد بقائها بعد لوم يعاجلها التخریب بسدة . ودام البارثينون الى القرن السابع عشر (١) كان في البارثينون احد معابد آثينة على قول خزنة كنوز الارباب اوان ذهبية وفضية وتاج من ذهب واتراس وحوادث وسيوف وحيات من ذهب ومضدة من عاج وثمانية عشر فراشاً وجعاب من عاج ايضاً

(للمؤلف)

سليماً واشتق سطرين بالفخار مخزن من البارود كان قربه وقد جمع النقش اليوناني الى المتانة حسن ذوق والى السداجة علماً ومهارة . زالت معابد اليونان كلها تقريباً ويكاد يبق بعضها مبعثراً مخدوشاً مهدماً متداعي الاركان وربما كانت طبقات من سوار على انها تكفي على علامتها ان تلفت نظر من يراها .

النقش -- لم يكن النقش عند المصريين والاشوريين الازينة من توابع الابنية اما اليونان فقد اخلوه محل صناعة رئيسة . واشهر ارباب الصنائع عندهم النقاشون وفيدياس وبراكسيتيل وليريب . فينقشون البارز دون النصف من البناء ليزينوا جدران معبد وواحيته والبنية المثلثة في اعلى البناء . ومن هذا النوع الامريز الشهير في الباناتيه المحيط بالبارثينون وهو يمثل تطواف شابات آتية يوم الاحتفال بعيد الربة الكبرى . وكان هؤلاء النقاشون ينقشون هياكل وتماتيل خاصة بعضها يمثل رباً ويستخدم صماً وبعضها يمثل مصارعاً ظافراً في الالعب الاحتفالية اُقيمت له هذه التماثيل جراء نصرتة .

واقدم التماثيل اليونانية محذرة عوجاء تشبه النقوش الاشورية ثم عدت لدنة ظريفة وكانت اعظم الاعمال من صنع فيدياس في القرن الخامس وبراكسيتيل في القرن الرابع اما تماثيل القرون التالية فانها على التائق فيها اقل ترفاً وعظمة . وكان في يونان ألوف من التماثيل اد ان لكل مدينة تماثيلها وقد تاع النقاشون عمل التماثيل بلا انقطاع مدة خمسة قرون ولم يبق منها على كثرتها غير خمسة عشر تماثلاً لم تعبت به الايدي . ولم تنقل البناء حرفة من الطرف السهيرة بين اليونان واشهر تماثيلنا اليونانية اما ان تكون نسخة عن الاصل مثل تمثال الزهرة في ميلوا او اعمالاً أثرت عن عصر الاحتياط مثل تمثال ابولون في البليدير . ومع هذا فقد بقي منها ما يكفي اذا أُضيفت اليها قطع التماثيل والصور البارزة التي ما زالت تستخرج بالخفر لان بصور المرء حالة النقش اليوناني ويكون له فكر احمالي عنها فالمهندسون اليونان فكروا اولاً في تمثيل اجمل الاحسام في مظهر وقور سري . وما اضاعوا الفرص كلما سخط ليستمهدوا احمل الرجال في اجمل الهيات من محل الرياضة والجيش والمراقص والاجواق المقدسة فيدرسونها ويحسنون نقلها . وما ضاهاهم احد في محاكاة الجسم البشري ومن العادة ان يكون الرأس صغيراً في تمثال يوناني والوجه ساكناً كامداً ولم يعن اليونان متلنا بمعاني الوجه بل يعتنون بجمال الخطاطيط ولم يراعوا التناسب بين الاعضاء والرأس . والجسم برمته مثال الجمال في التماثيل اليونانية .

صناعة الخزف -- عرف اليونان ان يتخذوا من الفخار صناعة حقيقية دعوها سيراميك بقي منها اسما فقط فالخزف او الفخار لم يعتبر في يونان مساوياً لسائر الصناعات ولكن له منفعة

عظيمة لنا وذلك اننا نعرفه احسن من معرفتنا غيره فقد تداعت المعابد والتماثيل اما اعمال الخزافين اليونان فقد حفظت مجملها في المدافن التي يعثر فيها عليها اليوم . وقد جمع منها الى الآن زهاء عشرين الف حرفة في مناحف اوروبا وهي نوعان : الاول في المنقوشة بنقوش سوداء او حمراء على اختلاف الحجم والتشكل . والتماثيل الصغيرة المعمولة من التراب المطبوخ التي عرفت منذ خمس عشرة سنة . قد اشتهرت الآن او كادت منذ اكتشفت الدثني البديعة في ناناكار من يوسيا ومعظمها انصاب صغيرة وبعضها يمثل اولاداً او نساء

التصوير — اشتهرت في يونان عصابة من اصوريين مثل روكسيس وفارانيوس وايبيل وكل ما اتصل بنا عنهم يرجع الى بضع افاصيص وربما كانت مبهمة في الاحايين او الى بعض اوصاف ذات صور . وانا للوقوف على حالة التصوير اليوناني قد اقتصرنا على ما عثر عليه من تصاوير الحوائط في بيوت بومبي احدى المدن الابطالية وهي من القرن الاول للميلاد وكأنا نقول بلسان الحال اننا لم نعرف عنها شيئاً

التجارة الآتينية — اصبحت آتينة في القرن الخامس مدينة كبرى على حين كانت تيكيا اقليماً مجذباً لا تغل ما يكفي لاعالة سكانها فنضطر الى جلب الخنطة والحمر والسمن والسلك من الخارج . وقد كان عبيد آتينة على العكس يعملون النياب والحرف والسلاح والالات مما يباع خارج بلادهم . فمن ثم كثرت اساليب التجارة . فكانت البضائع ترد الى مرفئ بيرا او تصدر منها وكانت أُنشئت فيها ارضه ومخازن وقد سماها احد الخطباء في القرن السادس بابها سوق بلاد اليونان بأسرها . وكانت تأتيتها حاصلات لبلاد الشمال خاصة ويحمل اليها من الداخلية في موالي البحر الاسود وتراسيا الخنطة والخبث والخلود والعبيد وكانت آتينة تجر مع اليونان النازلين في جنوبي ايطاليا الى نابولي . واذ كان لكل مدينة يونانية نقودها الخاصة فقد كان يأتي آتينة دراهم من صروب مختلفة فاقنص لذلك صيارفة يدلون بها وكانوا يدعونهم "ترايريت" لانهم كانوا يجلسون في الساحة وراء منصة (ترايرة) وكانوا كلهم تقريباً من الغرباء الذين اصبحوا يتيكيين ثم اهتم كلوا اتخذوا مهنة اضافوها الى مهنتهم تلك وهي اقراض النقود فيقرنون الدراهم ويقرضونها بفائدة فاحشة بحد (٢٠ في المئة)

حرب المورة

خصائص عامة — الاستيلاء على آتينة

خصائص عامة — انقسم اليونان الى قسمين بعد تأسيس مملكة آتينة في الجزائر اليونانية فكانت المدن الساحلية خاضعة لآتينة والمدن الداخلية باقية تحت امرة اسبارطة . وبعد خلاف طال امره نشبت الحرب بين اسبارطة وحليفاتها في ذلك الصقع من جهة وآتينة

ورعاياها الساحليين من الجهة الاخرى وكانت هذه الحرب هي المعروفة بحرب المورة . دامت سبعة وعشرين سنة (٤٠٤ — ٤٣١) ولما لقت اوزارها عادت فنسبت باسم آخر الى سنة ٣٦٠

كانت تلك الحروب متوالية يقتتل المتحاربون فيها برًا وبحرًا يقتتلون في ارض اليونان وفي آسيا وتراسيا وصقلية اي في اسقاع مختلفة وكل جيش الاسبارطيين احسن انتظاماً لجعل مقاطعة اتيكيا قاعاصفصاً وكان اسطول الاتيين اكثر استعداداً لحرب الشواطئ ، ولم يؤثر عن تلك الحروب الناشبة بين المدن اليونانية الا الشدة ويكفي في وصفها الاشارة الى بعضها . فقد كان احلاف الاسبارطيين في بدء الحرب يلقون في البحر جميع سلع المدن المعادية لم تقابلهم الاتيون بقتل سفراء اسبارطة بدون ان يستمعوا لاقوالهم .

حصعت مدينة ثلاثيه صلحاً وكان وعد الاسبارطيون جماعة المحاصرين باهم لا يعاقبون احداً بدون محاكمة واليك مع هذا كيف كان قصاة الاسبارطيين يعاملون الاخرى . يسألون كل واحد منهم عما اذا قام في حلال الحرب بخدمة الاسبارطيين فكان الاسير يجيب سلباً فيحكمون عليه بالاعدام . وقد بيع النساء كالاماء . غصب مدينة مدالي على الاتيين وانادوها الى ملاعهم ثم اجتمع الشعب الاتيني وبعد المشورة يمد قسماً باعدام سكان مدالي نعم انه رجع من العد عن رأيه وارسل باخرة تانية تحمل العمور عن اولئك المنتمين . بعد انه كان نفذ حكم الاعداد على رهاء الف من سكان مدالي . وكان من العادة اذا داهم جيش بلاد العدو ان يحرق البيوت ويقطع الاسجار ويحرق العلات ويقتل الخرايين . وبعد انهاء الحرب يُجهز على الجرحى ويعمد الى قتل الاسرى صبراً . واداً جرى الاستيلاء على مدينة يؤول كل ما فيها ملكاً للغالب فيباع رحالها وساؤها واولادها كما يباع العبيد . هكذا كانت اذ دلك حقوق الحرب . وقد اوجرها توسيديد في خطاب له في الجملة الآتية : قال ننفذ المسائل بين الناس بواسطة قوانين العدل متى اضطروا اليها من الطرفين ولكن القوي يأتي ما في طاقته والضعيف يدعون له . فالارباب يتسلطون بضرورة الفطرة لانهم الاقوياء والناس يحجرون على متاهم .

الاستيلاء على آينة — ولما تعب الشعبان من هذه الحرب الباطلة عقدا السلم بينهما ولكن امده لم يطل . وذلك ان آينة بعثت بجيشها الى صقلية لفتح سيرا كوس المحالفة لاسبارطة وهناك أُحيط به وبعد نكبة سيرا كوس أسر الجيش الاتيني برمته وطفق الغالبون يخنقون عامة القواد وجماعة من الجند ومن ابقوا عليه انزلوهم الى لاتومي وهي مقالع قديمة كانت تُنخذ حبوساً القوم فيها سبعين يوماً متزامين متراصين لاقاية نقيهم حرارة الشمس

في الصيف اورطوبة ليالي الخريف . فمات كثير منهم مرضاً وجوعاً وعطشاً لانهم لم يكادوا يطعمونهم الا ما يسد رمقهم بعض الشيء وبقيت اسلاكهم ملقاة على الارض لتفسد الهواء ثم اخرج اهل سيراكوس من بقي حياء من الآتينين وباعوهم كما يباع الرقيق . واقام الاسبارطيون حامية في جبال اتيكيا بحيث تمكنوا من توقيف تجارة آثينة مع بلاد الشمال ومنها كانوا يأتون بالحنطة . وذهب ليراندر القائد الاسبارطي الى آسيا واخذ مالا من الفرس حيز به اسطولا وظاف سواحطي ، آسيا واد كان احلاف آثينة لا يقاقلون الا بالقوة تركوه وشأنه ثم ان ليزاندر حطم الاسطول الآثيني في آسيا (٤٠٥) وحاصرا آثينة واخذها جوعاً واضطرها الى تخريب اسوارها وحرقت سفنها الحربية .

نقدم اسبارطة

الاعضاء الثلاثون — سقراط — اجازيلا

الاعضاء الثلاثون - لما عدا القائد ليزاندر صاحب آثينة اكره اهلها على تنظيم حكومتهم بحيث لا يخرجون عن حكمه ثباتاً . فانشؤا مجلساً مؤلفاً من ثلاثين عضواً انتخبوا من اعداء الحكم الديمقراطي وكانوا قبل حاولوا النزوع الى الثورة ليمضوا عرى الدستور ونهده الى هذا المجلس ان يؤلف دستوراً جديداً ويحكم آثينة بدون ان يرجع الى رأي احد ولا ان يراعي قانوناً . وأقيمت للحماية هذا المجلس من سطوة الآتينين حامية من الحمد تحت امرة قائد اسبارطي في قلعة الاكروبول المستقرة على المدينة . وهذه كانت طريقة الحكم الي وضعها ليراندر في المدن اليونانية في آسيا والجرر عند ما اخرجها من محالفة آثينا حول هؤلاء الاعضاء سلطة لا نهاية لها وشعروا بانهم مؤيدون بالجيش الاسبارطي فانشؤا يحكمون حكم السادة القادة ويقبضون على امتياع الحكم القديم وينفذون عليهم الاحكام وربما كانت سيطرتهم تتناول الاعبياء متخذين ذلك حجة في مصادرة اموالهم فمن ثم لقب اولئك الاعضاء بالثلاثين ظالماً . وانتهت الحال بترامين احد الاعضاء وكان تآمر على الديمقراطية وانفق مع الاسبارطيين ان قال لرصفائه بانه قُتل اناس كثيرون فيجب الكف عن ازهاق الارواح فما كان منهم الا ان اتهموه بالخيانة وطردوه من المجلس وحكموا عليه بالاعدام .

وقد مرَّ كثير من الوطنيين من آثينة ولجؤا الى البلاد المجاورة ولا سيما الى ميکار وتيبة واستولى احد هؤلاء النازحين المدعو ترازبول في ٧٠ من اصحابه على قلعة من اعمال اتيكيا في الجبال على طريق بيوسيا عنوة فجاء الاعضاء الثلاثون في اشياعهم بداممونه الا انهم ردوا على اعقابهم وحاولوا ان يحاصروا القلعة ولكن رجع رجالهم الى آثينة لما هطل

التلخ وبعثوا بالحامية الاسبارطية والفرسان فعمم ترازيبول عليهم وقتل منهم ١٢٠ رجلاً ولحق بترازيبول نازحون حدد فلما اجتمع له منهم الف رجل اجتاز انيكيا فاستولى على مرفأ بيريه ونزل في مونيشي وراء معاقل اتخذها القمصن فقدم الاعضاء الثلاثون في رجالهم الا انهم ردوا على الاعتقاب . وعندئذ رجع اشياعهم السلطة منهم واعطوها الى مجلس مؤلف من عشرة طلب معونة اسبارطة فبعثت هذه اليها بلينازندر حاكماً من قبلها وحاصر بيريه بالسفن . ثم وصل ملك اسبارطة في حيشه ووصل الى آتينة وامر بالكف عن القتال وفصلت حكومة اسبارطة بين الفريقين ورحصت لجميع النازحين ان يعودوا الى آتينة فدخل ترازيبول ورجاله اليها وهم مدحجون بأسلحتهم وصعدوا الى قلعة الاكروبول بقدمون ضحية للعبودية . ثم اعاد الآتينيون الدستور القديم وتراجع الاعضاء الثلاثون في اشياعهم الى الوزيس فقدمهم الآتينيون وهاجموهم وقتلوا الزعاء وارجعوا الباقيين ثم اقسموا كلهم ان لا تنازع الاحقاد من صدورهم لما انتسب من الحرب الاهلية وهو مما دعي بالهدنة « النسيان » ولم تعد تحدث ثورة في آتينة بعد .

ضعف المملكة الفارسية — شغل اليونان قتال بعضهم بعضاً فكفوا عن مهاجمة الحاقان الاعظم بل واخذوا يسعون في مخالفته . وكانت المملكة الفارسية لا ثقل عن ذلك في تيهاء الضعف فاصبح الحكام لا يخضعون للحكومة ثباتاً ولكل منهم بلاطه وحرانته وحيشه يحارب من يشاء وقد امسى قبلاً « ملكاً صغيراً » في ولايته وكان الملك اذا اراد ان يعين والياً مكان آخر لا يجد الى ذلك سبيلاً الا يقتل السالف ففقدت ملكة الحرب من نفوس الفرس بعد ان كانوا امة يرتحجون لدكرها جميع شعوب آسيا . وهاك كيف وصف الفرس كسينوفون احد ضباط اليونان الذي كان موطئاً عندهم : اهتم بنامون على البسط واللبس ونقفاير في ايديهم ويتدثرون بالمرور ويلبس الكبراء حجابهم وحجابيهم وطباحيهم وحماميهم والخدمة الذين يخدمونهم على موائدهم يطيبونهم ويعطرونهم ليعملوا منهم فرساناً وموظفين ويرتخو اجورهم ولئن كانت جيوشهم كثيرة العدد فلم ينتفع بها في شيء وسهل على المرء ان يحكم عند ما يرى اعداءهم يطوفون بلاد فارس احراراً اكثر من اصحابهم ولا يجروئن اسلحاً على قتال بعضهم بعضاً عن أم والفرسان مسلحون كما كانوا سابقاً بالسيف والترس والانس ولكن لم تكن لهم المرأة على استعمالها . وكان سائقو المركبات الحاصدة قبل ان تصل الى العدو تلقى نفسها عمداً او تقفز الى الارض بحيث ان تلك المركبات اذا حلت من سائقيها تحدث لهم ضرراً اكثر مما يشاء منها للاعداء على ان الفرس لا يكتفون انفسهم ضعفيهم العسكري ويعترفون بانخطاطهم في هذا الشأن ولا يجروئن على الدخول في المعارك بدون

ان يكون بعض الروم في جيوشهم . ومن قواعدهم ان لا يقاتلوا اليونانيين بدون ان يكون لهم منهم مساعدون .

حملة العشرة آلاف — شوهد هذا الضعف عند ما سار كيكافوس سنة ٤٠٠ احو الخاقان الاعظم ارناسكر كيس ليخافه وكان في تلك البلاد ادراك ألوف مؤلفة من نزاع الآفاق او المنفيين من اليونانيين يؤجرون انفسهم اجناداً مددا كيكافوس عشرة آلاف رحل منهم حتى ان احدهم كسينوفون كتب يصف حملتهم . فاجتازوا بلاد آسيا الى حدود المرات بدون ان يقف احد في وجوههم ثم اقتتلوا بالقرب من بابل . واحد اليونان جرياً على عادتهم يعدون مسرعين وهم يصرخون صريح الحرب وقبل ان يكون البرابرة على قيد علوة نادروا الى المريمة فلحقهم اليونان وهم يتصارحون ان لا يفارق احدهم صاحبه . ولما انتهت اليوم مركبات الحرب فتحوا صفوفهم لتركوا لهم سبيلاً الى المرور ولم يصب يوناني نادى صرب ما حلاً واحداً جرح بسهم .

جرح كيكافوس وتشتت جيشه بدون ان يقاتل وظل العشرة آلاف يوناني وحدهم في داخلية بلاد محاربة امام جيش عظيم ومع هذا لم يجسر الفرس ايضاً على مهاجمتهم ولكنهم غدروا وقتلوا خمسة قواد لهم وعشرين صابطاً ومائتي جندي حادوا لعقد محالة . ولما اصبح اولئك المستأجرون من الحند بلا قواد وضباط انخبوا زعماء حداثاً وحرقوا حيامهم ومركباتهم وركنوا الى الفرار ودخلوا في جبال ارمينية الوعرة وعلى ما ناله من الجوع وكثرة الثلوج وسهام القبائل الوطنية التي لم ترض ان تفسح لهم مجالا للمرور وصلوا الى البحر الاسود ورجعوا الى ارض يونان بعد ان قطعوا مملكة فارس وبقي منهم لدن عودتهم « سنة ٣٩٩ » ٨٠٠٠ جندي .

احازيلا — واعد ثلاث سنين داهم احازيلا ملك اسبارطة في جيش صغير بلاد آسيا الوسطى وليديا ومريخيا المشهورة بغناها وخصها وقاتل الولاة والعمال وراح يدخل الى آسيا ولكن الاسبارطيين ارجعوه ليقاتل حيوش التيبين والاتيبيين . وكان احازيلا اول يوناني قام في ذهنه ان يفتح بلاد فارس فخرن ان رأى اليونانيين يقتل بعضهم بعضاً ولما احبروه بناتم لغلة كورنت قائلين له انه هلك فيها ثمانية من الاسبارطيين فقط وعشرة آلاف من العدو لم يفرح بهذا النصر بل تنفس الصعداء وقال : « مسكينة انت يا بلاد اليونان التسعة فقد اضعف رجالك وكان لك فيهم غناء في اخضاع عامة البربر » . واني ذات يوم ان يخرب مملكة يونانية قائلاً : « اذا ادنا جميع اليونان الدين لا يقومون بواجبهم فاين نجد رجالاً للتغلب على البرابرة ؟ » وهذا الشعوب كان قليلاً على عهده .

قال مترجمه كسينوفون عند ما اورد هذه الكلمات لاجاز بلا هائفاً « من كان غيرة يرى من
المصيبة ان يفلب عند ما كان يحارب شعباً من جنسه » .

عظمة ثيبة . ايبامينوداس

مقاومة اسبارطة — جاء زمن كانت فيه اسبارطة صاحبة السيادة برأ وبحراً . قال
كسينوفون : وكانت على ذلك العهد جميع المدن تخضع لامر يصدر عن احد الاسبارطيين
ولما ضاقت سدور المتحالفين مع اسبارطة من الخضوع لها القوا عصاة لمقاومتها . فكان من
ذلك ان طرد الاسبارطيون اولاً من آسيا ولم يسلم لهم سبطانهم على بلاد اليونان بضع سنين
الا بمحلفتهم الملك الفرس « ٣٨٧ » يد ان استيلاءهم لم يدم طويلاً فكان في سهل بيوسيا
شعب شديد البأس شجاع النفس وهؤلاء البيوسيون الذين شهرهم جيرانهم الاثينيون
وربما على غير استحقاق قد ظلوا منقسمين بين احدى عشرة مدينة وكانت ثيبة اقواها سقطت
على حين غرة في ايدي الاسبارطيين فادخل زعيم حزب الشراف المحاربين من الاسبارطيين
القلعة ووقف زعيم حزب الديمقراطيين ونفذ عليه القضاء المبرم .

واذ لم يرض اربعمائة رجل من اهالي ثيبة ان يظلوا تحت حكم الاسبارطيين لجؤا الى
آتينه . فعزم احدثهم المدعو يلو ييداس وهو شاب من أسرة شريفة غنية ان ينقذ بلاده كما
فعل ترازبول في تخلص وطنه فراح بقيم في قرية مع جماعة من المنفيين وانفق مع التيبين
الذين بقوا في ثيبة فدخل في احدى ليالي الشتاء الى المدينة في رحاله وداهم الحكماء وهم في
مأدبة فذبحهم ومن الغد دعا مجلس الامة وهتف له هذا نابه محررها من اسر العبودية .
وعندها سلمت الحامية الاسبارطية التي كانت في القلعة . وعادت ثيبة مستقلة وعملت على
ان تجمع تحت ادارتها جميع مدن بيوسيا لتسير جميع البيوسيين تحت لواء واحد
لحرب اسبارطة .

ايبامينوداس — كان ايبامينوداس هو الرجل الذي نظم حالة التيبين تخففت به لهم
اعلام النصر . وكان من اسرة شريفة الا انها غنية فاعناد نوعاً من الحياة القاسية وظل يعيشت
فيها مقلداً من الطعام لا يتناول الخمر وليس له غير رداء واحد ولا مال لديه . فصيح اللسان
الا انه يندر ان تراه يتكلم ولا يقول الا الحق « وهذا ما لم يكن من عادة اليونان » شجاع
جداً في الحروب ولكنه مفروط في الانسانية متضع شديد البأس يحبه ويحترمه كل من
يراه . ولم يكن يعنى بصراع المصارعين الذي كان يشوق سائر ابناء يونان بل انه اعتاد
السباق واللعب بالسلاح واخترع ضرباً جديداً من القتال . وكان التيبيون كسائر اليونانيين
قد اختاروا العادة الاسبارطية فيصطف الجند الرجل منهم كتابت كتابت على ثمانية الى

عشرة صفوف وكانت جيوشهم في كل مكان في تعبيتها نمطاً واحداً تؤلف مثلثاً ذا زاوية قائمة مستطيلة ورقيقة فكانوا اذا حمل جندهم على العدو يشعرون بان تروسمهم المعلقة على اذرعهم الشمال تحميهم من اليسار ومن اليمين صفوف رفاقهم يحمونهم بالمنجنيق بالطلوع بحيث ان الجناح الايمن من الكتيبة يشعربانه اقوى ما يكون في العادة . فتخيّل ايامينوداس ان يعي رجاله على شكل زاوية قائمة مؤلفة على طولها من صفوف متساوية في عددها بل ان يضع في الجناح الايسر صفوفاً اكثر من الايمن فأخذ الكتيبة شكلاً غير متناسب يشبه شكل زاوية قائمة . فيكون الجناح الايسر اخنم من الايمن ومؤلفاً من احسن المحاربين يحمل حملة منكورة على جناح العدو الذي يكون اضعف منه فينكس وسط جيش العدو ويأخذه من جنبه فدافع التيبون عن بلادهم بايديهم بدء من الجيش الاسبارطي الذي بقي يدهم يوسيا في ربيع كل سنة اعواماً كثيرة ويقطع الشجر ويحرق العلات ولم يحسر ان يقاتل قتالاً منطقاً بل كانت عاراته مناوشات فقويت شهيمتهم وقمرسوا في الحرب . رأى ايامينوداس ان جيشه قد اغناد قراع الانطال وقوي ساعده في حومة النزال وكانت الرجالة من جد الاسبارطين اصطفت على عمق ابي عتر مقاتلاً بالقرب من لوكترس وكانت رجالة التيبين اقل وفراهم اكثر . لان يوسيا كانت بلاداً تربي فيها الحيول الحياء فاستطاع ايامينوداس ان يحيي الميسرة وكان من ذلك ان احتصر حط الحرب وحمل الجناح الايسر من حيث كان مؤلفاً من خمسين صفاً فبدد شمل الجناح الايمن من الاسبارطين حيث كان الملك واقفاً فقل « ٣٧١ » وهذه كانت المرة الاولى التي تلعب فيها جيش يوناني على جيش اسبارطي واصحت بيه المدينة المقدسة اكثر من جميع مدن يونان وصارت لما الامرة على يوسيا كلها وكانت الشعوب اليونانية في المرة الى ذلك العهد خاضعة لاسبارطة فالتفت معونة التيبين ليل استقلاها . فاستأنت مدينة ماثية في بلاد اركاديا اسوارها على الرعم من دفاع اسبارطة ودحت نيجة الاغنياء احلاف اسبارطة وكان الاركاديون من سكان الجنوب مستمتين الى ذلك العهد في القرى فانصموا بعضهم الى بعض وانتشروا مدينة حصينة سموها ميكالوبوليس ثم اراد ايامينوداس جمهور التيبين على ان يدهبوا الى عزو الاسبارطين في عقد دارهم فدخل الجيش البيوسي الى بلاد المورة وكتر سواده بالاركاديين واهالي ارعوس وتوغل في اقليم لاكونيا وطلق يعسكر امام اسبارطة « ٣٧٠ » وكانت هذه هي المرة الاولى التي رأى فيها الاسبارطيون العدو في ارضهم . ولم يكن لاسبارطة اسوار فسلح اجازيلا . « وكان قد بلغ اذ ذاك من العمر ٧٦ سنة » جماعة الهولتيين وحصن الاكام المحيطة بالمدينة .

ولم يحسر ايبامينوداس على الهجوم واذ كان عاجزاً عن اطعام جيشه في البلاد التي استباح حماتها وجعل عاليها سافلها رجع ادراجيه وقبل ان يغادر المورة جمع المسينيين وقد اصبحوا منذ ثلاثة قرون رعايا الاسبارطيين واعانهم على انشاء مدينة قوية سميت ميسين وعادوا يلون شعبتهم . وتحالفت اسبارطة مع الآثينيين الذين كانوا يحسدون التيبينين كما حالوا اهل سيراكوزة ومع الجبارديس الذي بعث اليها بالمحاربين الغاليين فغلب الاركاديون احلاف تيبة . وعندها حاولت تيبة ان تنال معونة ملك الفرس وارسل القائد يلويداس الى آسيا وآب يحمل كتاباً من الحاقان الاعظم الذي وعد ان يحارب اليونان الذين لا يقبلون بمخالفة تيبة (٣٦٧) « اما سائر المدن فلم تكن تحشى ملك الفرس وابت ان تضع له . ولم تكن تيبة من القوة لتخضع الى سلطانها جميع بلاد اليونان فظهر ايبامينوداس على احسن حال في بلاد المورة مع الجيش البيوسي وحالف المسينيين ثانية وحاول ان يدام اسبارطة واد بلغ ذلك اجاز يلاكرّ راجعاً وراح ايبامينوداس يهجم على جيش العدو في اركاديا بالقرب من مدينة ماتينه وظفر في هذه المعركة باتحاده الاسباب التي اتخذها في لوكترس ولكن اصابه سهم فمات ليومه . وفقد التيبينون به قائداً يقودهم وانتهت ايام عمر تيبة ولم يبق ثمة قام به القائد ايبامينوداس الا مدينة ميسينا التي اصبحت مملكة مستقلة وسقط سلطان اسبارطة من بلاد المورة كما سقط من بلاد اليونان .

نتائج الحروب — لم تؤد هذه الحروب الى تأليف اليونانيين كافة امة واحدة اذ لم يكن لمدينة من مدنها لا اسبارطة ولا آثينة من القوة ما تكره به سائر المدن على الطاعة لها والخصوع لسلطانها وما كان منهم الا ان ينهك بعضهم قوى بعض ويكأخ بعضهم بعضاً وكان ذلك من حظ ملك الفرس الذي استفاد من هذا الانقسام ولم تبلغ الحال بالمدن اليونانية انها لم تثق عليه بل انها كانت كل واحدة على حدة تحالفه للانتقام من سائر ابناء يونان وقد صرح الحاقان الاعظم (٣٨٧) في معاهدة اثنالسيداس بان جميع المدن اليونانية في آسيا هي ملك له ولم تحالف اسبارطة قوله ذلك ولا نقضت زعمه وكذلك كان شأن آثينة وتيبة بعد بضع سنين فقد قال خطيب آثيني : « ان ملك الفرس هو الذي يحكم بلاد اليونان ولم يبق عليه الا ان يقيم له عمالاً في مدنا . اليس يده الحل والعقد في بلادنا ؟ اما نحن فنندعوه الحاقان الاعظم كما لو كنا عبيده ؟ » وهكذا اضاع اليونان بتفاسلهم وتدابهم ما كانوا غنموه في حرب مادي .

عظمة مكدونية

فيليب — الاسكندر — فتح آسيا

انهكت الحروب المتصلة مدة قرن بين اسبارطة وآثينة قوى تينك المماكتين فتركنا قتال ملك الفرس الا ان شعباً جديداً وهم المكدونيون عاودوا قتاله حتى نالوا منه وكانوا على خسوتهم وقسوتهم اشبه بقدماء الاوروبيين شعباً مؤلفاً من رعاة وجند . ولقد سكنوا شمال بلاد يونان في واديين عظيمين مطلين على البحر . وقلما كان اليونانيون يحلونهم محل الاعتبار بل ينظرون اليهم نظراً ثانوياً كما ينظرون للبرابرة وادكان المكدونيون يدعون انهم من نسل هيراكليس سمح لهم اليونان بان يركضوا خيولهم في سباق الالعب الاولمبية وبذلك اعترف بهم صمناً بانهم من ابناء يونان .

فيليب — قلما كان هؤلاء الملوك النازلون في بلاد الداحلية بعيدين عن البحر ينتركون في حروب اليونان . وفي سنة ٣٦٠ تسنم اريكة العرش المكدوني شاب نشيط شجاع طموح واعني به الملك فيليب فطمحت به نفسه الى القيام بثلاثة امور .

(١) ان يشيء جيشاً قوياً

(٢) ان يشيء جميع المواني على شاطئ مكدونية

(٣) ان يكره سائر اليونان على الانضواء تحت لوائه لقتال الفرس

فصرف في هذا الشأن اربعاً وعشرين سنة ونجح فيما قصد له . واستسلم اليونان اليه بل واعانه كثير منهم واتخذ له انصاراً يبذل المال في جميع المدن يحسنون الظن فيه ويمتدحونه قال : « ما من قلعة يتعذر الاستيلاء عليها اذا استطاع المرء ان يدخل اليها بعلاً مثقلاً بالذهب » وهكذا استولى على جميع مدن شمالي اليونانية واحدة بعد اخرى .

ولقد كان الحصم اللدود لفيليب الخطيب ديموستين وهو ابن صانع اسلحة تيم في الساعمة من عمره واختلس اوصياؤه جزءاً من ماله ولما بلغ اشده اقام عليهم قضية واكرههم على ان يعيدوا اليه ما اختلسوه منه وكان درس خطب ايزيه واستطهر تاريخ توسيديد يد انه عند ما حطب على المنبر العام قوبل كلامه بالقهقهة اد كل صوته ضعيفاً جداً ونفسه قصيراً فنور عدة سنين على ترويض صوته . ويروى انه كان ينقطع شهوراً طويلاً ويغفر رأسه مخلوق لثلاً يحاول الخروج ويلقي خطباً وفي فمه حصا وهو على شاطئ البحر ليرن نفسه على التعلب بصوته على جلبة الناس ولما رجع الى المنبر كان قد اخضع صوته لارادته واذ كان يحافظ كل المحافظة على اعداد جميع خطبه قبل القاها عدا ارق خطيب واعظم مفود في بلاد اليونان . وكان الحزب الذي يرجع اليه امر آثينة على ذاك العهد بزعامة فوسيون بطمح في السلم اذ لم

يكن لا آئنة جند كاف ولا مال وافر لا يقاف ملك مكدونية عند حده فكان فوسيون يقول سأشير عليكم بالحرب متى صرتم بحيث تستطيعون القيام باعبائها . وكان ديموستين على العكس يحقّر فيليب ويراه كأنه من المتوحشين فنطوّع في خدمة الحزب الذي يطلب محاربتّه واستخدم ما فيه من فصاحة لاجراج الآتينيين من سياسة المسألة ولم يدخر وسعاً مدة خمس عشرة سنة في تحريضهم على ذلك .

وانك لتجد موضوع كثير من خطب ديموستين الحملة على الملك فيليب وكان يسميها الفليبية . قال في خطابه الاول سنة ٣٥٢ : متى تقومون ايها الآتييون بواجباتكم ؟ اتريدون ان تسرحوا وتروحوا في الساحات وبعضكم يأل بعضاً بقوله : ما وراءك من الاخبار ؟ اما انا فاقول لكم ليس من حديد الا اننا نشاهد مكدونياً يتغلب على آئنة ويستولي على ارض يونان ؟ اقول لكم انه من الواجب تسليح خمسين سفينة وان تعقدوا العزم ان تركبوها بالدرات عند مسيس الحاحه . جنوباً مسمعي حديث جيش مؤلف من عشرة او عشرين ألفاً من الاجانب ولا حقيقه له الا على الورق فاني لا اريد الاحنوداً من الوطن متطوعين في خدمته .

وقال ديموستين في الفليبقيات الثالثة سنة ٣٤١ بذكر الآتينيين بما حازه فيليب من الظفر عليهم لعفلتهم وقلة حركتهم : « كان اليونان قديماً عند ما يسيئون استعمال سلطنتهم ليعظّموا غيرهم يقوم بالادهم كلها على ساق وقدم لمنع هذا الظلم ونحن اليوم نقاسي ما نقاسي من مكدونيين حقير متوحش من اصل ملعون فيخرب المدن اليونانية ويحتفل بالالاعاب البيتية (١) او يأمر حدمد بالاحتفال بها وهذا ما ينظر اليه اليوناني بدون ان يأني امراً كما ينظر الى الرد يتساقط وهو يضرع بان لا يصيبه . والسلطة تعظم بدون ان يحطوا احد خطوة لا يقافها . وكل ينظر من عهد اليه في تمريق شمل غيره كما لو كان يعد ذلك رجحاً في وقته بدلاً من ان يفكر ويعمل لسلامة اليونان عما يعرف الداس ان المصيبة ستال البعدين » . ولما استولى فيليب على الاتيه في مدخل بيوسبا (٣٣٩) ازمع الآتييون بما نصح لهم به ديموستين ان يشهروا الحرب وبعثوا بوفود الى تيبة وذهب ديموستين زعيماً للوفد ولقي في تيبة وفداً جاءه من قبل فيليب فتردد التيون وارادهم ديموستين على ان يتماسوا جميع احقادهم القديمة وان لا يفكروا في غير سلامة الوطن اليوناني وفي الدفاع عن الشرف والحرية فعزموا بمساعيه ان يعقدوا محالفة مع آئنة وان يظلوا على المقاومة والحرب .

وبعد سنة (٣٣٨) نشبت الحرب في شيرونية من اعمال يوسيا وكان عمر ديموستين اذ ذاك ثمانياً واربعين سنة فقدم في الجيش جندياً بسيطاً واذ كان جيش الآتينيين (١) هذه الالعب كانت تقام كل اربع سنين كالالعب الاولمبية في مدينة دلفيس اكراماً لابلون البتي

والتيبيين قد دعي الى حمل السلاح بسرعة لم يعادل جند فيليب المدرسين ولذلك كانت الهزيمة من حظ الجيش الاول .

الاستيلاء المكدونى — واذا ظفر فيليب اقام حامية في تيبة وصالح آيئة تم دخل الى ارض المورة فاستقبله اهلها كأنه المحسن الى التعوب التي طالما اضطهدتها اسبارطة ومن ذاك العهد لم يصادف اقل مقاومة فجاء الى كورنت (٣٣٧) وجمع فيها مندوبي جميع المدن اليونانية (ما خلا الاسبارطيين فاهم لم يبعثوا مندوبين قط) وعرض عليهم مشروعه وهو ان يتولى زعامة جيش يوناني لعرو فارس فاستحسن المندوبون رأيه وعقدت محالفة عامة بين المدن اليونانية كافة وذلك على ان تحكم كل مدينة نفسها بنفسها وتعيش اسلام مع غيرها وأنتهي مجلس لتلك الوحدة لمنع الحروب والفتن الاهلية والتقتل والمصادرة وهذه الوحدة كان من شأنها الاتحاد مع ملك مكدونيا والاقرار له بالرعامة على جميع الخنود والسفن اليونانية وحظر على كل يوناني ان يحارب فيليب واذا فعل نصرب عقده بدون محاكمة .

الاسكندر - 'حق فيليب ملك مكدونيه سنة ٣٣٤ وكان امه الاسكندر اد داك ابن عشرين سنة وكان مثل جميع اليونان من اماء البيوت الشريفة ماهراً في الالعاب الرياضية شديد القوى في الكفاح يحسن ركوب الصافنات الحيات (وهو الذي استطاع وحده ان يكبح حماح حصاهه بوسيفال في الحرب) وكان زيادة على ذلك عارفا بالسياسة حسن البيان يعلم الماريخ الطبيعى وكان استاده من سن الثالثة عشرة الى الساعة عشرة الفياشوف ارسطو اعظم عالم في اليونان وكان يتلو الالابدة اشوق وبدعوها دليل من الحرب ويريد ان يتسبه بالابطال الدين ورد ذكرهم فيها . فكانه خلق ليكون واتحاً لانه معرم بالقمال مولع بحب الشهرة وكان ابوه يقول له « ان مكدونية صيغته المطاق ولا تسعك »

الجحافل المكدونية — ترك فيليب لانه الاسكندر اداة من ادوات الفتح وبعي بها الجيش المكدونى وهو احسن جيش عهد في بلاد اليونان يؤلف جيش المائة وجيش الفرسان فكان الجحافل المكدونى مؤلفاً من ١٦ الفا من الرجال مصفوفين ألوقاً ألوقاً ستة عشر صفاً ويحمل كل واحد منهم رمحا طوله ستة امتار وكان المكدونيون في ساحه الوعى بدلاً من ان يسيروا الى العدو كهم من جهة واحدة يقفون لا حراك لهم ويصرون برماهم العدو من كل صوب وكان جنود المؤخرة يرفعون رماهم من فوق رؤوس الصفوف الاولى بحيث كان داك الجيش يشبه حيواناً عظيماً وقد انتصب وعليه الحديد والعدو بداهمه فيتحطم . وكنت ترى الاسكندر بينما كان الجيش في ساحه الحرب يوقع بالعدو وهو في مقدمة فرسانه وكانت هذه الكتيبة من الفرسان مؤلفة من خيار الفتيان الاشراف .

فتح آسيا — سافر الاسكندر في ربيع سنة ٣٣٤ في ثلاثين الف رجل (معظمهم من المكدونيين) وفي ٤٥٠٠ فارس لا يحمل معه غير ٧٠ تالوناً من المال (اقل من ابعائة الف فرنك) وذخيرة تكفي هذا الجيش الضخم اربعين يوماً . ولم يكن عليه ان يقاتل ذاك الغوغاء من الشعوب التي لا سلاح لها وقد سخرها كخسرو الفارسي لامره فقط بل كان امامه خمسون ألفاً من اليونان المجندين في خدمة الخاقان الاعظم تحت قيادة قائد حاذق يدعى ممنون الرودي فقد كان في مكينة هؤلاء اليونان ان يصدوا المكدونيين عن العبور ولكن صادف ان مات ممنون وتشتت جيشه سذر مذر فخلص الاسكندر من خصمه الوحيد العنيد وفتح المملكة الفارسية في سنتين . وذلك بعد ان ظفر في ثلاث مواقع فبدد في آسيا الصغرى الجيوش الفارسية الرابطة وراء نهر غرانيك (في مايو ٣٣٣) وهزم الاسكندر داريوس ملك فارس وجيشه الذي يقال انه كان مؤلفاً من ستين ألفاً من مضايق سيليسيا في اسوس (نوفمبر ٣٣٢) وتشتت في اربل بالقرب من دجلة جيشاً أكثر عدداً (٣٣١) .

فكانت هذه الغلبات مثالا من الحروب المادية فالجيش الفارسي لا سلاح له ولا يحسن الرماية وهو متوس بنفسه في اخلاط من الجند والاجراء والاتقال وكانت الجنود المختارة وحدها هي التي تقاتل والباقي يتت ويقتل ولم يكن الفتح في غضون الحرب الا زهرة يكتب فيها النظر وهذا الفاتح لا يجد امامه مقاومة (١) وماذا بهم شعوب المملكة ان يحضوا لداريوس او للاسكندر ؟ وكل غلبة يحرزها الاسكندر كان يفتح بها مملكة برأسها فوقعة الفرانك استولى فيها على آسيا الصغرى ومعركة اسوس افتتح فيها سورية ومصر ومعركة اربل بقية البلاد .

ولما صار الاسكندر الحاكم المتحكم في المملكة الفارسية اعتد نفسه وارثاً لـ فان الاعظم صاحب فارس فلبس اللباس الفارسي واستعمل عادات البلاط الفارسي في الاحتفالات الرسمية واكره قواده ان يركعوا امامه على السنة الفارسية وتزوج بامرأة من بنات الفرس وزوج ثمانين من ضباطه من ثمانين فتاة من بنات اشرافهم واراد ان يوسع مملكته الى اقصى الحدود كما فعل الملوك القدماء وتقدم فاتحاً نحو الهند وهو يقاتل القبائل المحاربة ولما عاد في جيشه الى بابل (٣٢٤) هلك بالحمى في بضعة أيام في الثالثة والثلاثين من عمره (٣٢١) مقصد الاسكندر — من المنعذر جداً ان نعرف ما كان يقصد الاسكندر . هل كان يفتح حباً بالفتح ؟ او انه كان له مقصد آخر ؟ وهل كان يريد ان يجعل جميع تلك الشعوب شعباً واحداً ومملكة واحدة ؟ هل اتخذ المناهي الفارسية ليكون مثلاً لغيره ؟ او انه قد

الخاقان الاعظم صلفاً وعجباً ؟ اننا لم نقف على نيانه الا ان اعماله كانت لها نتائج عظيمة
ولقد أسس سبعين مدينة وعدة مدائن في مصر كالاسكندرية وفي بلاد النهر حتى
بلاد الهند ووزع على رعاياه الكنوز التي وجدها في خزائن الخاقان الاعظم وكانت مطروحة
فيها لا ينتفع بها واخذ معه علماء يونانيين لدرس نباتات آسيا وحيواناتها وجغرافيتها وهياً
الملكات في الشعوب الآسيوية الى تعلم لغة اليونان والتخلق باخلاقهم ولذلك اطلق على
الاسكندر لقب الكبير

تأسيس الممالك اليونانية

الاسكندرية — المتحف — ممالك آسيا — التمدن اليوناني في الشرق
خراب مملكة الاسكندرية — جمع الاسكندر تحت علم واحد جميع بلاد العالم القديم
من بحر الادرياتيك الى نهر الاندوس ومن مصر الى القافقاس . ولم يدم هذا الملك العظيم
الا بدوامه فلما هلك اختلف قواده فبين يولى الملك بعده وحارب بعضهم بعضاً مدة عشرين
سنة واتحدوا باديء بدء حجة لحروبهم بانهم يتقاتلون لمعاودة احد أسرة الاسكندر كاخيه
وابنه وامه واحوته او احدى زوجاته تم ثقاتلوا علناً باسمهم وتوطيداً لدعائم الملك لسلطانهم
فكان لكل واحد منهم جزء من الجيش المكدرني او جنود يونان مأجورون فكان اليونانيون
يتقاتلون فبين استأثر بآسيا ويحكم عليها والناس ينظرون اليهم غير محتفلين بما يأتون كما لو كان
اليونان يقاتلون الفرس اعداءهم

ولما وضعت الحرب اوزارها لم يبق الا ثلاثة قواد وقد هياً له كل منهم مملكة واسعة
مما خلفه الاسكندر فحكم بطليموس مصر وسلوقس سورية وليزيماك مكدونية وكانت انفصلت
بعض الممالك الصغرى او احدث بالانفصال عنها مثل ابيري في اوروبا ومثل بون وبيتيني
وعالاسيا وكابادوس وبرغام في آسيا ومثل مقاطعتي باكتريان وبارسيا من بلاد الفرس
وبذلك تم تقسيم مملكة الاسكندر

التمدن اليوناني في الشرق — كان الملك من انشاء اليونان في هذه الممالك الجديدة وقد
اعتاد ان يتكلم باليونانية ويتبع بالارباب اليونان ويعيش عيش اليونان ويحافظ على لغته
ودينه وعاداته . رعاياه من الآسيويين أي من البرابرة وهويحاول ان يجعل له حاشية من
جنسه ويجنّد جنوده من أبناء يونان بالاجرة ويخذ موظفين يونان لادارة البلاد ويجلب
الى عاصمته شعراء وعلماء وارباب فنون من اليونانيين

وكان في البلاد على عهد ملوك الفرس كثير من اليونان والطواريء والتجار ولا سيما
من الاجناد فاكثر ملوك اليونان من جلبهم وانتشروا في جميع اطراف آسيا وكثر سوادهم

حتى انتهت الحال بالوطنيين ان يلبسوا اللباس اليوناني وينتخلوا الديانة اليونانية والاخلاق اليونانية بل واللغة اليونانية ولم يعد الشرق آسيائياً بل اصبح يونانياً حتى ان الرومانيين لم يحدوا في آسيا في القرن الاول الا تسعوباً يستهون اليونان ويتكلمون باللغة اليونانية باسمهم (١) الاسكندرية — لقب ملوك اليونان في مصر وهم خلفاء بطليموس بلقب الراعنة على نحو ما كان بلقب ملوكها الاقدمون ولبسوا التاج ودعوا الناس الى عبادتهم باسم ابناء الشمس ولكنهم كانوا محاطين باليونانيين واقاموا عاصمتهم على شاطئ البحر في مدينة يونانية وهي الاسكندرية . تلك المدينة الجديدة التي اُسست بأمر الاسكندر

نيت الاسكندرية على سطح مستو فكانت ذات نظام أكثر من غيرها من المدن اليونانية وكانت التسوارع تنقسم الى زاوية قائمة ويستقيها من وسطها التسارع الاعظم وعرضه ثلاثون متراً وطوله ستة كيلومترات وعلى جانبيها انية عظيمة مثل بناء السناد حيث كانت تقام الالاب العامة والجنائز والتحف والارسيموم

وكان المرفأ مؤلفاً من سد طوله الف وتلتائة متر يصل بين اليابسة وجزيرة فاروس وفي طرف هذه الجزيرة أقيم برج من الرحام جعل في قننه مكان يبعث منه ضوء على الدوام لتسير به السفن التي تريد دخول المرفأ ومن هناك جاء اسم المنارة . فقامت الاسكندرية مقام المدن الفينيقية وغدت المينا العظيمى للتجارة في العالم اسره .

التحف — كان التحف بناءً عظيماً من الرحام متصلاً بقصر الملك وقد اراد ملوك مصر ان يجعلوه معبداً علمياً عظيماً . وفيه مكتبة عظيمة (٢) وكان لرئيس القوام عليها ان يبتاع جميع ما يتسنى له الظفره من الكتب فكل كتاب يدخل مصر يحمل الى المكتبة والنساح ينقلون المخطوطات ويرجعون نسخة لصاحبها مع التعويض ثابه واتصلت الحال بان جمع على هذا النحو عدد من المجلدات لم يسمع بملء (وهو اربع مائة الف مجلد كما قيل) وكانت الكتب المخطوطة لكبار المؤلفين الى ذلك العهد مبعثرة متسنة وعرضة لخطر الضياع فاصبحت يعرف لها مقر يرجع اليه .

وكان في التحف ايضاً حديقة للنبات والحيوان ومرصد فلكى وقاعة للتشريح اقيمت على الرغم من اوهام المصريين كما أُقيم بمعمل كيمائى (كان الملك بطليموس فيلادلفى يخشى كثيراً

(١) كتبت الاناجيل واعمال الرسل في آسيا الصغرى باللغة اليونانية

(٢) حرق مكتبة التحف في حلال حصار قيصر لمدينة الاسكندرية ولكن كان لها فرج جعل في السرايوم وفيه على ما يقال ثلثائة الف مجلد . وقيل ان هذه المكتبة الثانية حرقها المسلمون في القرن السابع ولكن الظاهر انها فقدت من قبل (قاله المؤلف)

من الموت ففوضى بضع سنين في البحث عن اكسير لاطالة الحياة (وكان في المتحف العسكري مساكن للعلماء والرياضيين والفلكيين والاطباء والنحويين ويقدم لهم عداؤهم على نفقة الحكومة وكثيراً ما كان الملك يتناول الطعام معهم دليلاً على احترامه لهم وكانوا يقضون اوقاتهم في المحاوراة والمطالعة ويحيي الناس من جميع بلاد يونان ليستمعوا لما يلقون وكان التسبان يبعث مهملاً آباؤهم الى الاسكندرية ليتعلموا . ويقال انه كان فيها نحو ١٢ ألفاً من الطلاب .

ومن كان المتحف مكتبة ومجمعاً علمياً ومدرسة في آن واحد فهو اشبه بمدرسة جامعة وهذا الوضع الذي هو عام بيننا مألوف كان على ذلك العهد من الاوضاع الجديدة التي لم يسبق لها نظير . ولقد اصبحت الاسكندرية بفضل متحفها مقصد جميع المسافرين من يونان ومصر بين واسرائيليين وسوريين يحمل اليها كل منهم دينه وفلسفته وعلمه ويحتفظ بعضهم ببعض فعدت الاسكندرية اذ ذاك وطناً قروناً كثيرة عاصمة العلم والفلسفة في العالم رعامه - كانت رعامه في آسيا الوسطى من الممالك الصغرى ولم تعد لها سطوة يبدان عاصمتها رعامه كانت كلاسكندرية مدينة ارباب الصنائع والادب واساً نقاسو رعامه في القرن الثالث قبل الميلاد مدرسة مشهورة (١)

وقد ملكت رعامه كما ملكت الاسكندرية مكتبة كبرى جمع اليها الملك اثال انكسب المخطوطة لقدماء المؤلفين وفي رعامه احدثت الكتانة على الجلود للاستعاضة عن ورق البردي وكان هذا الورق الجديد ورق رعامه هو الورق الذي حفظت به المخطوطات القديمة

الحروب الاخيرة في يونان

العصابات - المتح

الحروب الاهلية - كانت تأبدي بضع أسرات غنية من اليونانيين في جميع المدن اليونانية على القريب جميع الاعمال والمعامل الصاعية والسفن التجارية وعامه مصادر الرخ وموارد العيش اما سائر الاسرت اي السواد الاعظم (٢) فلم يكن لهم ارض ولا مال (١) اتصل لنا بعض التماثيل التي استصعبها المئات اثال ذكرى لانتصاره على العاليين

في آسيا المعروفين بالعلاسيين

(٢) لم يكن في جميع المدن اليونانية تقريباً طبقة وسطى تشبه الطبقة الوسطى في اورونا وبذلك كانت تعد اثنتي عشرة فيها من ١٣ ألفاً من ارباب الاملاك من الشواذ النادرة وكانت من المدن التي قلت فيها الثورات

وماذا كان الوطني الفقير يعمل ليكسب رزقه ؟ لم يكن له الا ان يؤجر نفسه زراعاً او عاملاً او ملاحاً . بيد ان عبيد ارباب الثروة في مصانعهم ومعاملهم وسفنهم كانوا يقومون بهذه الاعمال ولا يكلفون للاتفاق عليهم غير شيء زهيد بالنسبة للنفقات التي كان على السادة ان ينفقوها اذا استخدموا الاحرار في اعمالهم لانهم كانوا يظعمون عبيدهم طعاماً عليظاً ولا يؤثرون اليهم اجوراً . ثم انه من الصعب على الفقير ان يعمل لحسابه لندرة الدراهم ولم تكن الفائدة اقل من عشرة في المئة وهيئات ان يقرضه انسان مايعوزه

على ان العادة لم تكن تسمح للوطني ان يتعاطى الصنائع لان الفلاسفة كانوا يقولون بانها تفسد الجسم وتضعف النفس ولا تترك في وقت صاحبها متسعاً للنظر في الشؤون العامة ولذلك قال ارسطو ان المدينة الحسنة الطام لا يجب عليها ان تعد الصانع فيها وطنياً . فكانت من الوطنيين في يونان طبقة شريفة ترى كما كان يرى الاشراف في فرنسا قديماً ان لها الحق ان تحكم وتحارب وفي ذلك شرفها اما تعاطيها الاعمال لايديها فيعد نازلاً واتضاعاً ومن اجل هذا حالف البؤس معظم الوطنيين كما كانوا عرصة له من منافسة العبيد في اعمال الحياة وما وقر في نفوسهم من شروط الشرف والنهاة لحكم الفقراء المدن ولم تكن اسباب عيشتهم متوفرة وحظر لهم ان يسلبوا الاغنياء فألف هؤلاء تركات منهم لمقاومة اولئك وعند ذلك انقسمت كل مملكة يونانية الى قسمين الاعبياء ويدعون « الاقلية » والفقراء ويدعون « الاكثرية » او الشعب . وبدأ الاغنياء والفقراء يتباعضون ويتقاتلون فاذا صار الحكم للاغنياء يطردون الاغنياء ويصادرون اموالهم وربما اتخذوا واسطتين بالقتل في التطرف وهما العاة الديون ونقسم الاراضي من جديد . فاذا عادت السلطة للاغنياء يطردون الفقراء وكانوا يتعاهدون بينهم في كثير من المدن قائلين : « اقسم نافي اظلم ابداً معاديا للشعب واؤذيه ما استطعت » ولم يكن تمت من سبيل الى التوفيق بين الفريقين فلا الاغنياء يستطيعون ان يستسلموا للثغلي عن تروتهم ولا الفقراء يرضون بان يموتوا جوعاً . قال ارسطو « ان الثورات تنشأ من سبب تقسيم التروات » . ويقول بوليب « ان كل حرب اهلية تنشأ فهي لنقل التروات من يد الى اخرى » .

ومن ثم كان الفريقان يقتتلان اشد قتال على محوما يحدث ابداً بين الحيران فغلب الفقراء بادىء بدء في ميلت واكرهوا الاغنياء على الهرب من المدينة ثم اسفوا لانهم لم يذبحوهم فاحذوا اولادهم وجمعوهم في الانابير تحت رجل البقر ودخل الاغنياء المدينة فاصبحوا اصحابها الحاكمين فيها واخذوا هم ايضاً ابناء الفقراء وزفونهم (دهنوهم بالزفت) واحرقوهم احياء .

الحكم الجمهوري والحكم الافرادي — كان لكل من الاعنياء والفقراء شكل خاص في الاحكام يجرونها في المدينة عند ما يقوى احد الفريقين . فكانت حكومة الاعنياء من نوع الحكم الافرادي (اوليكارشي) تعهد بالاحكام الى بعض افرادها امامحكم الفقراء فكان حكمهم ديمقراطياً يكلون حكمهم الى مجلس الامة وكل واحد من الفريقين يتفق مع الفريق المائل له في المدن الاخرى وبذلك تألفت عصابتان تقاسمتا بينهما جميع المدن اليونانية : عصاة الاعنياء او الحكم الافرادي وعصاة الفقراء او الحكم الجمهوري . وبدأت هذه الطريقة في الحكم خلال حرب المورة فكانت آينة تعصد الحزب الديمقراطي واسبارطة تمالي الحكم الافرادي فاتحدت المدن التي كان فيها سلطة للفقراء مع آئينة كما اتحدت المدن التي تسلط عليها الاعنياء مع اسبارطة .

واقعد دامت الحروب الاهلية بين الاعنياء والفقراء نحو ثلاثة قرون (من ٤٣٠ الى ١٥٠) ذبح في حلالها كثير من اناء البلاد وطرد منهم عدد اكثر من ذلك فاحذوا بهيمون في اطراف الارض على وجوههم لا مورد لهم يعيشون منه ولا يعرفون الا صناعة واحدة وهي الجندية فيخترطون متطوعين في الجيش الاسبارطي والآتيني وفي جيش الحاقان الاعظم والجيش الفارسي بل وفي كل جيش يدفع اليهم اجورهم فكان من ابنا يونان حمسون الفاً في خدمة دارا عند ما قاتل الاسكندر وهم لا يكادون يعردون الى بلادهم متى خرجوا منها .

العصابات — ضعفت الشعوب التي حكمت على بلاد اليونان واسبارطة وآئية ونيبية ولم يبق في القرن الثالث من اهل السدة والبأس غير سكان عربي الملاد فالانيوليون يسكنون الجبال في تمالي خليج كورنت والآتيون النازلون في ساحليء المورة في جنوبي هذا الخليج . وقد نظمو احوالهم عصابات لا مدناً فاحتفظت كل مدينة بحكومتها وكانت لها كلها مجلس للعصاة يقرر فيه الحرب والعهود ويفرض الحند الذي تقدمه وينتخب القائد الذي يقصى عليه ان يقود جيش العصاة .

فانقسمت المدن اليونانية بين هاتين العصابتين المتعادتين . ومن العادة ان تعصد العصاة الايتولية الحرب الديمقراطي والعصاة الآشيه الحرب الاوليكرشي . وقد رأس العصاة الآشيه صابطان شهيران احدهما ارتوس في القرن الثالث وهو الذي طاف بلاد اليونان سبعاً وعشرين سنة (٢٥١ — ٢٢٤) طارداً الظالمين من جميع المدن آخذاً بيد الاعنياء معيداً اليهم اموالهم ومقلدهم حكم البلاد والقائد الثاني فيلوجان قام في القرن الثاني وقاتل الظالمين في اسبارطة فقتله المسيينيون .

احلاف الرومانيين — لم يكن احد من تينك العصابتين من القوة بحيث يجمع جميع المدن اليونانية وعندئذ ظهر الرومان محاربيهم من ملوك اليونان فيليب ملك مكدونية (١٩٧) تم ملك سورية البطيوخس (١٩٣ — ١٦٩) فنكست اعلامها كليهما ودمرت رومية جيوشها واستولت على اساطيلها وقالت « برسى » ملك مكدونية الجديد وأسرتة وحربت مملكته (١٦٧) .

ولم يحاول اليونان قط ان يجمعوا للدفاع عن انفسهم وظل فقراؤهم واعنيائهم يقتتلون وكل حرب يمت الحرب المعادي له اكبر من بعضه الغريب وتحالف الحزب الديمقراطي مع ملك مكدونية ودعا الحرب الاولي كارتسي للرومانيين . وبينما البيبيون من الديمقراطيين يقاتلون في جيش فيليب كل مواطنهم من الاولي كارتسيين يفتحون ابواب المدينة للفائد الروماني وقد حكم بالاعدام في رودس على كل من قاموا او نكبوا بما يحالف رضى رومية كيت كاليكرات احد اشياخ الرومانيين من الآسيين قائمة الما وطي انهم انهم كانوا يميلون للبرسي فارسلوا الى رومية وأمسكوا فيها عشرين سنة لدون ان يحاكموا القتل — لم يظفر الرومانيون اولا في مطهر الاعداء وقد ذهب القمص فلا مابوس سنة ١٩٧ بعد ان علم ملك مكدونية الى بررح كورت واسلم امام اليونانيين المحتسعين للالعب العزحية بان جميع الشعوب اليونانية حرة مغارب الحارر لقلوبه وافترنوا منه ليشتكروه يريدون ان يسلوا عليه وهو مخزهم وان يروا صورته ولبسوا يده ويلقوا عليه اكليل النصر واثات الزهور فازدحم الناس عليه حتى كاد يخنق .

ولم يلبث الرومانيون ان اصبحوا سادة شمدتهم انفسهم بان يقودوا البلاد فاضاعهم الاعنياء عن رضى لان رومية كانت لهم واسطه للخلاص من حرب الفقراء ودامت هذه الحال اربعين سنة . وما شعلت رومية بقرضه سنة ١٢٧ اعادت للحرب الديمقراطية حياته في بلاد اليونان فاعان الحرب على الرومانيين فذعر لذلك فريق من اليونانيين ونقدم كبيرون الى الحمد الروماني ووتوا اليهم براطنتهم بل ووتوا بانفسهم وبعضهم فرما الى انقاضي المدن وآخرون القوا بانفسهم في النار او الهوات وصادر رعنا المناميين اموال الاعنياء والفقراء الديون واعطوا سلاحا للمعيد وكان الجهاد شديدا وادتاب الآسيون للمرة الاولى عادوا فحشدوا جيشا وساروا الى القنال مستعجبين نساءهم واولادهم وحبس القائد ديوس نفسه وجميع عياله في بيته والتي فيه النار .

وكانت كورنت مركز المقاومة فدخلها الرومانيون وذبحوا الرجال وابعوا النساء والاولاد

(١٤٦) ونهب المدينة وحرق وكانت مملوءة بالنفاس وكنت ترى صور كبار المصورين مطروحة في الغبار والجند الروماني مستلقياً فوقها يلعب بالنرد اه .

الرومان

وصف ايطاليا

شعوبها القديمة — سكنت ايطاليا عدة اجناس من الام لم يتحدوا في عاداتهم ولغاتهم فكان يعتبر السهل العظيم الشمالي بين جبال الالب والابنين جزءاً من ايطاليا وهناك نزل شعوب من الغاليين اتوها من الشمال . فكان الاتروسكيون ينزلون في البلاد الواقعة بين جبال الابنين والبحر (هو اقليم توسكانيا) الى مهر التير وفي جنوبه ينزل اللاتين . ولقد سكنت قبائل كثيرة في جبال الابنين الوعرة ورا السهل الرومانية في الشرق والجنوب ولم تدع كل هذه الشعوب اسم واحد ولم تولد امة واحدة بل كانت تنقسم الى اومبريين وصابنيين وفولسكيين وايبكيين وهركيين ومارسيين وسامنيين ولكنهم يكادون كلهم يتكلمون بلغة واحدة ويعبدون اربابا واحدة ولهم عادات واحدة . يتكلمون كالفرس واليهود واليونان بلغة آرية وابعدهم وراء جبالهم عن الاحتلاط بغيرهم احفظوا عاداتهم القديمة وعاشوا عصابات مع قطعانهم مستنئين في الحلاء ولم يكن لهم مدن ولا حواضر بل كانوا يلجئون زمان الحرب الى حصون اقامت في الجبال وقد عرفوا بالتجماعة والقتال وبسلامة الاخلاق ومثابته وكان منهم بعد حين اعظم قوة للجيش الروماني وفي امثالهم " من يستطيع ان يغلب على المارسيين او ان يغلب بدوم " .

حاء في احدى اساطيرهم ان الصابنيين رملهم حطب فادح فاعتقدوا ان الارباب ساحطون عليهم فعدوا العرم على ان يسكنوا ارضها وان يقدموا ضحية الى رب الحرب والموت كل من يولد من الاولاد في احدى فصول الربيع . ودعيت الضحية " الربيع المنذور " فاصبح جميع الاطفال الذين وضعهم امهاتهم تلك السنة ملكاً للرب حتى اذا بلغوا سن الرجال عاودوا البلاد وبعثوا عنها الى القاصيه وتألفوا عصابات فاحترت كل عصابة احد حيوانات ايطاليا المقدسة دليلاً من مثل الصرد والدب والثور وهي تتبعه كأنها تتبع مراسلاً من الرب وحيثما وقف الحيوان نزل العصابة وتخذ موطنها . وقيل ان عدة شعوب من ايطاليا كان اصلها من تلك الاسرات من النازحين وما زالت محافظة على اسم الحيوان الذي كان اجدادها اتبعوا آثاره في القدم وذلك مثل الهرينيين (شعب الذئب) والبسانثيين (شعب الصرد) والسامنيين وكانت عاصمتهم تسمى بوفيانوم اي مدينة البقرة .

السامنتيون — كان السامنتيون من اقدر تلك الشعوب وقد سكنوا في اقليم البروز وهو معصى حقيقي فينزلون الى السهول المخصصة في نابلي وبويل وينهبون المدن الاتروسكية والمدن اليونانية . جاهدوا قرنين في الرومانيين فكانوا كل مرة يردون على اعقابهم خاسرين اذ لم يكن لهم موطن ولا نظام تم يعاودون القتال . وكان جهادهم الاخير شديداً . ولقد اتى شيخ الى زعماء الجيش بكتاب مقدس كتب على نسج من الكتان فاقاموا داخل المعسكر سوراً من نسج الكتان وجعلوا في وسطه مذبحاً والهند واقفين من حوله شاهرين سيوفهم فيدحل اتجمع انصارهم الى السور وتوخذ عليهم العهود ان لا يهربوا من الرحف امام العدو وان يقتلوا المنهزمين فاحد من اقساموا الايمان المظلة وكانوا ستة عشر الفا البسة من الكتان فئالفت منهم (كتيبة الكتان) وتسمرت في القتال فقتلت عن آخرها .

يونان ايطاليا — سكن ايطاليا الجنوبية طواري من اليونانيين كما سكن بعضهم مدينة سباريس وكروتون وتارانت وقوي فيها امرهم وكثروا سودهم . بيد ان اليونانيين لم يلقوا بانفسهم قط الى الوقوع في التهلكة اذ لم يقصدوا رومية خوفاً من الاتروسكيين وما اعد مدينة كومس فان المستعمرين من اناء يونان كانت لهم الى القرن الثالث صلات قليلة مع الرومانيين . الاتروسكيون — أطلق اسم الاتروسكيين على اقليم توسكانيا فسمي تروسكي وهو اقليم حار رطب مخضب الغاية . وظلت حال الاتروسكيين الى الآن ظلمة من الظلام لم تفكه فهم لم يكونوا يشبهون جيرانهم ولا يعلم ابن اتوال اننا لا نعرف اللغة التي يتكلمون بها الا ان الجديتهم تبده الحدية اليونان ولكن الآثار التي عرفت عن هذا الشعب قصيرة لا نتمكن معها من استنبات لغتهم .

كان الاتروسكيون يحسنون استخدام ارسهم في الزراعة على انهم عرفوا التجارة أيضاً وكانوا يذهبون كالفينيقيين الى البلاد القاصية للبحث عن عاج الهند وسمر البلطيق وعن القصدير والارجوان العينيقي والحلي المصنوعة المكتوبة بالحروف هيرغليفية وعن بيض النعام . واثق التجد من جميع هذه الاشياء في قبورهم . وكانت سفنهم تنقسم نحو الجنوب حتى جزيرة صقلية . وقد كان اليونان بكرههم وبدعوتهم (الذين يبنون المتوحشين) او القرصان الاتروسكيين . وكل بحار في تلك العصور ساعدته الاحوال يأتي منه قرصان بحر فكان من مصلحة الاتروسكيين حاصه ان يردوا التجارة اليونان ويصدوهم ليخلوا لهم الجو في الشاطئ الغربي من ايطاليا ويستأثروا بتجارته . ولم يبقوا من آثارهم الا حوائط حصينة وقبوراً . وعند ما يفتح قبر احد الاتروسكيين تشاهد وراءه ذب ذي عمد غرافة باسرة وتما مدت عليها جنت وحولها حلي من الذهب والعاج والعنبر وافتة الارجوان وفرش واوان كبيرة

منقوشة اما الجدران فيرسمون عليها صور حروب والعباء وولاتم ومشاهد غريبة .
وان ما استخرج من القبور بالالوف من الاواني الاتروسكية فازدانت به متاحفنا
وصنع على مثال الاواني اليونانية هو من صنع الاتروسكيين انفسهم وفيها متاهد ميتولوجية
يونانية ولا سيما صور الحروب التي جرت حول طروادة والاتخاص نائشة حمراء على صفيح اسود
وقد أسس الاتروسكيون في طوسكانيا اثني عشرة مدينة ولكل منها ملكها وحكومتها وكان
لهم من الجانبين مستعمرات فلمهم اثنا عشرة مستعمرة في اقليم كامبانيا في جوار نابولي واتننا
عشرة في سهل بو .

ديانهم — اعتقد الاتروسكيون بارباب جبارين وربما كانوا اشراراً وارقى اولئك
الارباب الارباب المستورون المجهول امرهم ثم يحيى بعدهم الارباب الدين . رسالون
الصاعقة وعددهم اثنا عشر رباً بؤلقون مجلساً لهم ويعتقدون انه يقيم تحت الارض في
مدافن الاموات ارباب متنائيم وكثيراً ما كانوا يملون صورهم على اوان من صنع ايديهم
فيملون ملك الجحيم المدعو ماتوس في صورة حبار مخنخ جالس وتاج على رأسه ومثعل يده
كما يملون شياطين آخرين مسلحين سيف او مطرقة والحيات يقبضون عليها بايديهم وهم
يتلقون ارواح الموتى واهمهم السيطان سارون المعروف عند اليونان بهذا الاسم ايضاً وقد
تحيلوه على صورة شيخ ذي هيئة قيحة يحمل مطرقة ثقيلة ليضرب بها صحايه . ويعتقدون
ان ارواح الموتى وتسمى « المان » تخرج ثلاثة ايام في السنة من مقرها في عالم الطلمات
وتطوّر الارض تروّع الاحياء وتؤديهم فيقدم لهم الاتروسكيون ضحايا بشرية تسكيناً
لغضبهم لانهم يحبون الدم . وكانت معارك المصارعين المشهورة التي اصطلح عليها الرومان ضحايا
دموية اكراماً للميت في اصل نشأتها وكان للعرافين الاتروسكيين الدين دعوا بالهار وسيسيين
او اهل الفأل قواعد يحجرون عليها للتنبؤ عن المستقبل فيرصدون احتاء الصحايا كما يرصدون
الصاعقة وطيران الطير فيقف العراف ويدير وجهه نحو الشمال ماسكاً بيده عصا معقوفة
ويحيط خطاً يقطع به السماء شطرين فتسطر الترق وهو على اليمين يكون فال خير وتسطر الشمال
يكون فال شر (١) ثم يقطع التسطر الاول على قطع الصليب وبؤلف خطوطاً متوازية يكون
منها في السماء شكل مربع يدعونه المعبد فيرمي العراف ببصره الى الطيور التي تمر في ذاك المربع
فبعضها كالنسر علامة خير واخرى كالبلومة طالع شؤم .

ولقد نبتاً الاتروسكيون عن مسبقلهم انفسهم فهم الشعب الوحيد من بين الشعوب

(١) هذا اشبه بالسائح والبارح عند العرب ولعلها اخذته عن الرومان تقول العرب :
من لي بالسائح بعد البارح اي بالبارك بعد الشؤم قال ابو عبيدة سأل يونس رؤبة وانا شاهد

القديمة الذي لم يعتقد بانه خالد وكانوا يقولون ان بلادهم يدوم امرها عشرة قرون . وهذه القرون لم يكن كل واحد منها مؤلفاً من مئة سنة ولا تعين مدة القرن الا بعد ان يجري له فال . ففي سنة ٤٤ وهي سنة وفاة قيصر ظهر في السماء نجم مذهب فقال احد العرافين من الاتروسكيين في رومية في جمع من الامة ان هذا النجم يشير الى نهاية القرن التاسع وابتداء القرن العاشر وهو آخر قرن يستقيم فيه امر الاتروسكيين .

نفوذ الاتروسكيين — كان الرومان امة نصف متوحشة فافتدوا كثيراً بالاتروسكيين وهم اكثر منهم تمدناً واخذوا عنهم بعض المصطلحات الدينية خاصة مثل البسة الكهنة والحكام والشعائر الدينية وعلم معرفة الغيب وزجر الطيور وعند ما كان الرومانيون يؤسسون مدينة يجرون على شعائر الاتروسكيين فيحيط المؤسس لها بالمحراث سوراً مربعاً وللمحراث سكة من النحاس يجرها نور ابيض وبقرة بيضاء فيتبع الداس المؤسس ويلقون بزبد العناية جميع مدر الارض من ناحية السور وتصبح كل الهوة التي يشقها المحراث مقدسة لا يستطيع احد ان يتعداها للدخول في السور ولذلك اقتضى ان يقطع المؤسس تلك الانلام او الهوى المقدسة من عدة مواقع فكل مكان يتخطاه المحراث يتنجس فيه ناب وكل فرجة لم يمسها السكة تبقى غير مقدسة وتكون باناً يسوع منه الدحول . ولقد أسست رومية بحسب هذه المراسيم الدينية وكانت تسمى رومية المربعة ويقولون ان مؤسسها قبل احاء عقابا له عن تجاوره السور المقدس الذي حطه تم جرى الاصطلاح ان تحطط اسوار المستعمرات والمعسكرات الرومانية بل وحدود المساكن بحسب هذه القوائد الدينية ونخطوط اصص هندسية . وكل دين الرومانيين من اصل اتروسكي فقلوه الى ارجاء العالم القديم بأسره ولذلك حق لاء الكنيسة ان تسمى بلاد الاتروسكيين « ام الحرافات »

اللاتينيون — رل اللاتينيون في بلاد الآكام والشعاب الواقعة جنوبي نهر النير وهي يطلق عليها اليوم اسم برية رومية وكانوا قليلاً عددهم ولم تكن مساحة البقعة التي يسكنونها اكثر من ٢٧٠ كيلومتراً مربعاً وكانوا من عنصر واحد كسائر الطليان يشبهونهم باللغة والدين والاحلاق ولكنهم يفوقونهم في التمدن بعض الشيء يرعون الارض وينبوت عن السائح والبارح فقال السائح ما ولاك مياممه والبارح ما ولاك مياسره وقال ابو عمرو الشيباني : ما جاء عن يمينك الى يسارك وهو اذا ولاك جانبه الايسر وهو انيسه فهو سائح وما جاء عن يسارك الى يمينك ولاك جانبه الايمن وهو وحشيه فهو بارح قال ابن بري العرب تختلف في العيافة يعني سيف التيمن بالسائح والتشاؤم بالبارح فاهل نجد يتيمنون بالسائح (المترجم)

المدن الحصينة وينقسمون الى شعوب صغيرة مستقلة ولكل شعب ارضه الخاصة به ومدينته وحكومته وتدعى تلك المملكة الصغيرة مدينة .

ولقد قامت ثلاثون مدينة لاتيية فالفت منها مجتمعاً دينياً يتبع مجتمع الاممكتيون اليوناني واخذوا كل عام يحتفلون احتفالاً عاماً بعيد لهم ولندب كل مدينة عنها من يمثلها في مدينة الب فيذبحون نوراً صحيحة للرب المشترك بينهم وهو كوكب المشتري الزتبي .

رومية الاصلية

رومية - على تحوم قطر اللاسيوم من ناحية بلاد الايتروسكيين يمتد سهل ذو طابع تخلله اكبات وتلعات هناك على صفة نهر التير أنشئت مدينة رومية مقر الشعب الروماني المنفرد في الحلاء . ولقد كانت الحليات تنتاب تلك البلاد وحالتها من الكآبة والبؤس على جانب ولكن كان موقعها حميلاً ونهر التير بمثابة هوة قائمة في وحه الايتروسكيين كما كانت تلك الاكام كالخوص وبين تلك المدينة والبحر سنة اميال وهو بعد لا يكاد يحيا من سطوة قرصار البحر وبقربها قليلاً من ناول البصائع الواردة عليها . وكان مرثاً اوستي عند مصب نهر التير حياً من احياء رومية كبير مثل بيرة مرثاً آتية . فهو ق رومية كان والحالة هذه مناسباً لحال امة حريية تجارئة .

تأسس رومية - لا تعرف من حال القرون الاولى لرومية عبر اساطير . والرومانيون انفسهم لم يعرفوا عنها شيئاً مثلنا . وقد ادعوا ان رومية كانت لاول امرها مدينة صغيرة مربعة المساحة قائمة كلها على رابية « بالاتين » ويدعى مؤسسها رومولوس وهو الذي اختط سورها محرات مراعيها في تخطيطها التهاثر الايتروسكية . وكان الرومانيون يحتفلون كل سنة يوم ٢١ اربيل (نيسان) بعيد هذه المدينة فيطوفون حول سورها الاصلي فيدق احد الكمة مسجراً في بعض المعابد تذكراً للحفلة . وكان يقدر ان الاحتفال تأسس تلك المدينة قد وقع في سنة ٧٥٤ قبل المسيح .

أشئت على الروابي الاخرى قبالة جبل بالاتين عدة مدن صغرى وبرت عصابة من سكان الجبال من السابنيين في معبد الكايتول كما حلت عصابة اخرى من متشردى الايتروسكيين في جبل « سليوس » وربما كان تمت ايضاً شعوب اخرى . وانتهت الحال لجميع اولئك الجماعات الصغيرة ان يجتمعوا في مدينة رومية الواقعة على رابية بالاتين ثم اتسب سور حديد احاط بالسبع اكبات . اما ساحة المربخ حيث يقف الجيش فكانت ممتدة الى نهر التير من الشاطي الاخر من النهر خارج السور فكان الكاتول في رومية مثل الاكروبول في آثينة . ولقد قامت على هذا الصخر معابد الارباب الثلاثة حامية المدينة وهي المشتري

وجوبون وميرفا وهناك القلعة التي حوت حزانة الحكومة وسجلات الامة . وفي اساطيرهم انهم عثروا عند ما حفروا أسس المدينة على رأس رجل قطع حديثاً فكان هذا الرأس فألاً حسناً اولوه بان رومية ستغدو رأس العالم .

تقاليد تأسس الملوك واستاء الجمهورية - جاء في هذه التقاليد انه حكم رومية ملوك مدة قرنين ونصف ولم تذكر فيها اسماؤهم وتاريخ وفياتهم بل ذكرت تراجمهم وقيل اهمهم كانوا سبعة ملوك خرج الال وهو رومولوس من مدينة آلب اللاتينية فأسس مدينة الاتين وقتل احاه الذي ارتكب محرماً بان قفر من فوق حديق سور المدينة ثم حالف احد ملوك السابينيين المدعو تاتايوس . وفي تقليد آخر انه أسس في سفح المدينة حياً محاطاً بسياج حتراليه جميع المتشردين الذين احبوا الانضمام اليه .

اما الملك الثاني وهو نوماموبيليوس فقد كان سابينياً وهو الذي رتب الديانة الرومانية آخذاً رأي احدى الربات «يجري» التي كانت تسكن في عانة . وكان الملك الثالث المدعو تولوس مارتايوس حفيد نومامو اليه بنى حسراً من حشب على نهر التيبر واستأ جسر اوستي وعليهما كانت تمر تجارة رومية منذ ذاك الحين . وكان الملوك الثلاثة الآخرون من الايتروسكيين وحدث من امر تاركين النديم ان وسع المملكة الرومانية وادخل الاحنغالات الدينية السائعة في بلاد ايتورور ياو الايتروسكيين . ونظم سرفيوس توبوس الميث الروماني بان ادخل فيه جميع اهل البلاد بدون تمييز في موالدهم واعمارهم ووزعهم مئآت مئآت بحسب زوتهم . اما الملك الاحير المدعو تاركين الباهر فقد ظلم الاسرات الكرى في رومية فذمر عليه بعض الاشرف ووقفوا الى طرده .

ومنذ ذاك العهد (٥١٠) لم يملك على الرومانيين ملك فكانت البلاد الرومانية او كما يقال الملك العام يحكم عليها حاكماً يختاران كل سنة ويسميان « القناصل » . وليس من الممكن ان نعلم ما في هذا التقليد من حقيقة لانه تسأ قبل ان يبدأ الرومان في وصف تاريخهم من طويل وفي هذا التقليد من الاساطير ما لا يسعنا قبوله برمته . وقد حاول بعضهم ان يفسر اسما هؤلاء الملوك ويستدل منها بانها رمز الى جنس او الى طبقة خاصة كما حاول بعضهم ان يستسيء تاريخ رومية في عهده الاول على ضروب من الصور ولكن كلما نبذت العناية للنظر فيه صعب الاتفاق بين المشتغلين في ذلك على تقرير امر وكثير الخلاف بينهم .

وصف ترتيبات الرومانيين على سبيل الابهاز - كان في رومية نحو القرن الخامس بل المسيح طبقتان من الناس وهما الباترسين والبلبين (اي الاشرف والعامه) فكان

البانزسيون من سل قدماء الأسرات المقيمة منذ القدم في البقعة الضيقة في ضاحر مدينة رومية وكان لهم وحدهم الحق ان يطهروا في مجمع الامة وان يحضروا الحفلات الدينية وان توسد اليهم الوظائف . ويعتقدون ان احداثهم اسسوا المملكة الرومانية او كما كان يقال المدينة الرومانية واوصوا بها لهم فكانوا هم من تم الشعب الاصلي في رومية اما البلبين هم من سل العرب النازلين في المدينة ولا سيما من المعلومين من سكان المدن المجاورة اذ ان رومية اخضعت بالندريج جميع المدن اللاتينية وصمت سكانها اليها بالقوة فاصبحوا رعايا لرومية لكنهم ظلوا عرباء عنها يخضعون لحكومة رومية دون ان يشركوها في شيء من الامر فلا يدينون بالدين الروماني ولا يسوع لهم ان يحضروا الحفلات الدينية ولا ان يتزوجوا من الاسرات الشريفة وكانوا يدعون بالبلب اي الجمهور ولا ينظر اليهم بانهم جزء من الشعب الروماني . وقد وجدت في الصلوات القديمة هذه العبارة « خير الشعب وحيير البلبين في رومية » .

وكان يجتمع اثناء البلاد وعليلهم اسلحتهم كل سنة خارج المدينة في ساحه الماورات (ساحة المريح) يتخبون زعيمين يطلقون عليهما اقب القضاة او القناصل . وكان هؤلاء القناصل في حلال السنة التي يتوظفون فيها يحكمون رومية ويقودون جيشها ويدهم حياة جميع افراد الامة وموتها . يرافقهم اثنا عشر رجلاً من حملة العؤوس اشارة لما لم من السلطة فيحمل كل منهم رأساً وحرمة قضبان لخلد المجرمين او صرب رقابهم . فيجلس القناصل على عادة قدماء الملوك على دكة تشبه العرش وهو كرسي عال من العاج . ويستعاض في اوقات الحروب الخطرة عن القنصلين بما ك واحد يلقون اليه رمام السلطة فيصبح الحاكم المتحكم والامر الناهي وحده ويكون في قبضته الاربعة والعشرون حلالاً ولكن سلطته لا تدوم الا ستة اشهر .

فيجمع القناصل مجلس الشيوخ وهو مؤلف من رؤساء الأسرات وكبار ارباب الاملاك للمفاوضة في المسائل المهمة ويدعى هؤلاء بالآباء ويدعى سلبهم بالاشراف فكان مجلس الشيوخ يصدر رأيه ويطلقون عليه « رأي الشيوخ » ومن العادة ان يلتزم القناصل امتتاله فكانت من تم رومية محكوماً عليهما من القناصل ومجلس الشيوخ في آن واحد .

البراع بين طبقات الشعب — كان العامة واهل الطبقة الوسطى عبارة عن شعبين متباينين سادة ورعية . ومع هذا كان حال اهل الطبقة الوسطى يشبه كثيراً حال الاشراف فهم يخدمون في الجنديـة مثلهم ويخدمون في الجيش على نفقتهم ويفادون بارواحهم في خدمة الشعب الروماني وهم مناهم من اهل الفلح والكركت يعيشون في قراهم واما كهـم وكان كثير

من اهل هذه الطبقة المتوسطة اعياء، ومن أسرة قديمة والفرق بين الطبقة المتوسطة وبين الاشراف ان الاول كانوا من نسل أسرة عظيمة من بعض المدن اللاتينية المعلونة على حين كان الاشراف من نسل أسرة قديمة من سكان المدينة الغالبة . ولم ترض نفوس اهل الطبقة الوسطى ان تظل ساكنة على ما قضى به عليهما من المهانة بل تاريتهم وبين الاشراف نزاع دام قرنين (من نحو ٢٩٣ الى نحو سنة ٥٠٠) واليك كيف بدأ ذلك على نحو ما ورد في اساطيرهم .

رأى اهل الطبقة المتوسطة ذات يوم انفسهم مهانة فانتصموا في جبل هناك وعليهم اسلحتهم وعزموا ان يناوئوا الشعب الروماني فهال عزمهم جماعة الاشراف فبعثوا اليهم بالقائد مينيوس اعربا ليقص عليهم قصة الاعضاء والمعدة فرضيت الطبقة الوسطى بالدخول في الطاعة وعقدت محادثة مع الشعب فمخ رؤساء هذه الطبقة الحق في ان يدوا يد المساعدة لاهل الطبقة الوسطى للاخذ بايديهم من حيث حكاهم الامه ولأجل ان يحولوا دون قيام امر يحالف رعايتهم . وقد كان يكفي ان يلقط احدهم قوله « فنو » اي اني اعارض فيتوقف البت في الامر . وقد كان الدين يحظر الانتقال على المدافع عن حقوق الشعب ومن فعل ذلك استحق العقاب من ارباب الجحيم .

وظل ارباب الطبقة الوسطى آخذين انفسهم بمجاهدة حصومهم من اهل الطبقة العالية واد كانوا اعرأ منهم نفراً واكثر عنى وأيداً انتهت بهم الحال ان ظفروا بهم فنوصلوا اولاً الى وضع قوانين عامة للجميع وان يسمح بالرواح بين اهل الطبقة العالية والطبقة الوسطى وكان اصعب ما في هذا التعبير روع الاستئثار بلطة الحكم او الدهاب بفضل الشرف وقد كان الدين يأمر انه يجب قبل ان يعين رجل حاكماً ان يطلب من الارباب فيما اذا كانت توافق على انتخابه ام لا . فيسألون الارباب عن رأيها في ذلك بزجر الطيور ويسمونه احذ الفأل . يدان الديانة الرومانية القديمة لم تكن تسمح باخذ الفأل الا على اسم رجل من اهل الطبقة العليا وما كان يحظر في مال القوم بان الارباب يقبلون بحاكم من اهل الطبقة الوسطى . وكان ثمة اسر كبرى من الطبقة الوسطى تخرص على ان تصبح مساوية لاسر الاشراف في تولي المناصب كما كانت تساويها في العنى والمكانة فاضطرا اهل الطبقة الاولى الى ان يتخ لها جميع المناصب شيئاً فشيئاً وبدؤا يدخلون في مجلس القناصل سنة ٣٦٦ وفي مجلس الحكم ٣٥٥ والقضاء سنة ٣٣٧ والمراقبة سنة ٣٣١ وزعامة الدين الكبرى سنة ٣٢٢ ومن داك العهد امتزج الاشراف اهل الطبقة العليا باهل الطبقة الوسطى واصبحوا شعباً واحداً .

الديانة

ارباب الرومان — اعتقد الرومان كاعتقاد اليونان بان كل ما يحدث في هذا العالم

هو مما قضت به ارادة خالق ولكنهم لم يعتقدوا بالله واحديدر العالم بل قالوا بتمدد الارباب
تعدد المطاير المختلفة التي لتجلى فيها اوامرهم ونواهيهم . فهناك رب بنبت البذر وآخر يحمي
حدود الحقول وتالت يحرس التمار . ولكل رب اسمه وجنسه وعمله . واهم الارباب «المتتري»
رب السماء و «جانوس» ذو الرأسين و «الرينخ» رب الحرب و «عطارد» رب التجارة
و «فولكان» رب النار و «نبتون» رب البحر و «سريس» ربة الحصاد والارض والقمر
و «جونون» و «منيرفا» .

تم يحمي الارباب من الدرجة الثانية فكانت تجسد في بعض تلك الارباب صفة من
الصفات كالبناء والاتحاد والراحة والسلام ويشرف مصها على عمل من اعمال الحياة فعند
ما يولد المولود يأتيه رب يعلمه النطق و ربة تعلمه الشرب واحرى تقوى عظامه ورباب
يرافقانه الى المدرسة وآخران يرجعان به وبالجملة فانهم كانوا يعتقدون بوجود جيش من
الارباب من الدرجة الثانية . ويعتقدون بان هناك ارباباً تحمي مدينة وحارة وجبالاً
وعانة . ولكل نهر ولكل نبع ولكل شجرة رب خاص بها حتى لقد قالت امرأة صالحة في
احدى القصص من تأليف ترون الكاتب اللاتيني «ان بلادنا عاصة بالارباب بحيث
يسهل عليك ان تلقى فيها رباً من ان تصادف رجلاً» .

ولم يمثّل الرومانيون كليونان اربابهم على صورة محصورة فقد مضى زمن طويل ولم
يكن في رومية صنم فكانوا يعبدون «المتتري» في صورة حَجَر و «مارس» على صورة سيف .
ولم يعتقدوا الا مؤخرًا باتحاد الاصنام من الحطب على مثال اصنام الايتروسكيين واصنام
الرحام على مثال اصنام اليونان ولم يتصوروا على العكس في اليونان ان بين الارباب صهراً
واسباً ولا عروا اليهم قصصاً كما يفعل اليونان مع اربابهم ولا يعرفون لهم جنة يعتقدون فيها
مجالسهم . وكان في اللغة اللاتينية لفظة متشورة للتعبير عن الارباب وهي «التجليات»
فكانوا يعتقدون انها تجليات قوة الالهية مجبولة . ولذلك لم يصورهم الرومان في صورة من
الصور ولا نسبوا اليهم رحماً ولا صهراً ولا تاريخاً وكل ما كانت تعرف عن الارباب
الرومانيين هو ان كل واحد منها يسيطر على قوة من قوى الطبيعة ويستطيع ان يعمل للناس
الخير والشر على ما يحب ويهوى .

العبادة — قلما يحب الروماني اولئك الارباب الجوهولين الصغر الباردين . والظاهر
انه كان يخاف منهم فيخاف وحده عند ما يتوسل اليهم وربما اتى ذلك لثلاث بصره عليهم
ولكنه يذهب الى ان الارباب قادرون وان من يرضيهم يخدمونه . قال بلوت (الشاعر
الهزلي اللاتيني) ان الرجل الذي يرضي عنه الارباب يكتسبونه مالا . ويعتقد الروماني

بان الدين عبارة عن مقايضة المنافع بمقدم المرء للرب نذوره وقراينه ويمنحه هذا بعض المنافع فاذا قدم المرء ما يجب تقديمه للرب ولم يظفر بمقتناه يعتبر نفسه قانطاً مخدوعاً . ولقد قدم الشعب للارباب في خلال مرض القائد جرمانيكوس نذوراً لتقن عليه بالشفاء ولما ذاع خبر موته سخط العامة وقلت المذامح والقت في السوارع تماثيل الارباب لان هذه لم تعمل . ما كان يرجى منها ان تعمل وهكذا فانا نرى الفلاح الايطالي لعهدها هذا يشتم القديس الذي لم يعطه ما طلبه منه .

فالعبادة اذا عبارة عن القيام بما يرضى عنه الارباب من الاعمال والتعب بأنهم بالتجار واللبن والحمر ويعطي لهم الحيوانات . وفي بعض الاوقات يخرجون تماثيل الارباب من معابدهم ويجعلونها على سرر ويولون لها وليمة ويقومون بما يقوم به الشعب في بلاد اليونان فيبنون لهم دوراً جميلة وهي المعابد ويحفلون بآدابهم .

ولم يكن يكفي في تعظيم ارباب الرومانيين ان يتفق الناس مالا في سبيل اكرامهم بل كانت ننظر الى الصور التي يقوم بها ذلك الاكرام فنقضى ارادتها ان تجري جميع اعمال التعب والنذور والالعب بما رسمته القواعد القديمة (الطقوس) فتقن أريد تقديم صحبة للتبدي كان عليهم ان يبخناروا حيواناً ابيض وان يذروا على رأسه دقيقتاً ملحاً وان يصرب بعأس وان يقف المقدم لمده الصحبة على قدميه ويداه مرفوعتان الى السماء حيث يقف المشتري وان يلفظوا بجملة نقدية لاسمه . فاذا علط المقدم بما يقول فعنى ذلك ان الصحبة لاتساوي شيئاً وبذهب القوم الى ان الرب لا يرضى عما قدم له . ولقد قام احد الحكام بالالعب اكراماً للارباب الحامية لرومية فقال شيتسرون « اذا عبرت عبارة واذا وقف اللاعب بالتباب او انقطع الممثل فتكون الالعب غير موافقة للشعائر الدينية فيجب اذ ذاك اعادتها » ولذلك كان اهل الرأي من الناس يحضرون كاهنين احدهما يتلو الصلاة والاخر يتناهه فيما يقول يجتمع الكهنة وهم يدعون « احوه ارفال » كل سنة في معبد بجوار رومية فيرقصون رقصاً مقدساً ويتلون الصلوات وهي مكتوبة بلغة قديمة لا يفهم منها احد شيئاً وينقضى في اوائل الصلاة ان يدفع الى كل كاهن مجموع قوانين مكتوبة في اول الجلسة . وظل الرومانيون بعد ان نسبت هذه اللغة تقرون يتلونها كل سنة دون ان يعيروا منها حرفاً . وما يدل على ان الرومانيين كانوا يرمون الى الوقوف عند حد ما رسمه اربابهم هو انهم كانوا يقومون احسن قيام بقواعد الدين . ولذلك يرى الرومانيون انفسهم من اكثر البشر تدنياً . قال شيتسرون « اننا احط من جميع الامم او مساوون لهم من كل وجه ولكننا نفوقهم من كل وجه في امور الدين اي بعبادة الارباب » .

الصلاة — اذا صلى الروماني فليست صلاته لتزكية نفسه ومناجاة ربه بل ليطلب منه معونة ويسأله حاجة له . فمن ثم نراه يبحث قبل كل شيء عن الرب الذي يستطيع ان ينيله رغبته . قال فارون (الشاعر اللاتيني) : « يلزمنا ان نعرف اي الارباب يتيسر له ان يعيننا في احوال مختلفة كما نعرف اين يقوم التجار والحجاز » وهكذا قضت الحال بان يعمد الى سيريس للحصول على زروع حيدة والى عطارد لاكتساب المال والى نبتون للمعونة على ركوب البحار . فيلبس المستعيت البسة نظيفة لما وقّر في الادهان من ان الارباب يرغبون في النظافة . ويقدم بين يدي نجواه صحية لان الارباب لا يحبون من يحيي وايديه فارعة ويقف المستعيت وقد كشف رأسه فينادي الرب الا انه لا يعرف اسم الرب الذي يناديه ويقول الرومانيون انه ما من احد يعرف اسماء الارباب الحقيقية . بل يكتبي بان يقول له مثلاً : « ايها المشتري الاعظم الرحيم او هاي الاسماء تحب ان تدعى بها » ثم يعرض عليه ما يريد عرضه متوقفاً استعمال حمل صريحة كل الصراحة حتى لا يمدح الرب فاداً قدم له حمر يقال له : « تقبل طاعة هذا الحمر الذي أهرقه » لانه يسهل على الرب الاعتقاد بانه يقدم له حمر آخر غير الذي قدم له وان يعاقب به . ولذلك كانت صلواتهم مطولة كثيرة الحشو مملوءة بالمترادفات .

القال — يعتقد الرومان بالقال فيذهبون الى ان الارباب يعرفون المستقبل ويرسلون للناس آيات يدركونها فيستنصيح الروماني الارباب قبل ان يتسرع في عمل فاداً ما ازمع القائد فيهم ان يهجم على عدوه يبحث في احشاء الموتى والحالك قبل ان يجمع لديه مجلساً ينظر الى الطيور السائرة (وهذا ما يدعونه اخذ الطالع والقال) فاداً كان فيها اشارة موافقة يدركون بان الارباب استجبت . استروع والامعناه اهم غير راصين عنه .

وكثيراً ما يرسل الارباب الآيات من قبله ومن دهن ان يسئلوا ارسالها . وكل ظاهرة لم تكن متوقعة تُعدّ فالاً على حادث غير منظر . فقد ظهرت نحة مذبة قبل موت قيصر فذهب القوم الى انها اشارة الى نعيه واذا ارعدت السماء عند ما كانت الامة تجتمع للمفاوضة في امر فعنى ذلك ان كوكب المشتري لا يجب ان يبتوا امراً ذلك اليوم ولذلك يفضون كل حادث طفيف ويؤلفونه بانه رمز الى امر يقع . فاذا ابرق الدرق او سمعت كلمة من متكلم او وقف جرد في الطريق او شوهد عرّاف فكل ذلك يأخذون منه العبر حتى ان مارسولس كان اذا عزم على البداءة بعمل امر بان يحمل في محفة مغلقة ليكون على ثقة من انه لا يرى شيئاً ينفاءل به .

وما كان ذلك مجرد خرافات للعامة بل كان للجمهورية الرومانية ستة طوابع لتنبأها

بالمستقبل فكان لها كتاب للنبوءات تبالغ في العناية به دعته كتاب « سيبيلين » وكان لها فراخ مقدسة يقوم على تربيته الكهنة وما كان يجري عمل عام ولا تلتئم جمعية ولا يشرع بانتخاب ومفاوضة بدون ان يعتمدوا الى اخذ الطالع اي انهم ينظرون الى السارح والبارح . وقد شاع سنة ١٩٥ ان الصاعقة انقضت على معبد للمنتري وانه نبئت شعرة على رأس تمثال هر كول فكتب احد الولاة بانه ولدت فرحة ذات ثلاث ارجل فاجتمع مجلس الامة للمفاوضة في هذه الفؤل .

الكهنة — لا يقوم الكاهن في رومية بما يقوم به في بلاد اليونان من الاعمال الروحية بل كان ينقطع فقط لخدمة الرب فيلاحظ معبده ويدر شؤن املاكه ويقوم بالاحتفالات لاكرامه وهكذا كانت جمعية السالين (الرفاصين) تحفظ بترس سقط عليها من السماء كما زعموا وكان يعبد كما يعبد الصم وكانت تقيم تلك الجمعية كل سنة حفلة قرص بالسيوف وهذا ما كان يتوفر عليه اعضاء تلك الجمعية . والاحبار يراقبون الحفلات الدينية فيصعون تقويمًا للسنين ويحددون اوقات الاعياد التي يجب الاحتفال بها في ايام محصورة من السنة ورئيسهم هو الحبر الاعظم .

وما كان الكهنة ولا العرافون ولا الاحبار يؤلفون طبقة خاصة بهم بل يجري اختيارهم من كبار الرجال ويبقون على القيام بجميع وظائف الحكومة فمنهم من يتولى القضاء ومنهم رئاسة الجمعيات ومنهم قيادة الجيوش . ولذلك لم يتألف من الكهنة الرومانيين على قوتهم كما تألف من الكهنة المصريين طبقة كهنوتية فقد كان للحكومة رومية دين خاص بها ولم يكن للكهنة حق الحكم فيها .

عبادة الموتى — اعتقد الرومانيون كما اعتقد الهنود واليونان بان الروح تبقى بعد موت الجسد فان عنوا بدين الجنة بحسب العادات فقد اعتقدوا بان الروح تذهب لتجيا تحت الارض وتصبح ربة والا فالروح ليس في استطاعتها الدحول الى عالم الاموات بل كانت تعود الى الارض تدخل الرعب على قلوب الاحياء وتمعنهم ليدفنوها . حكى بلين لجون قصة شيخ كان يختلف الى احد البيوت ويهلك سكانه هلعًا فاكتشف احد الفلاسفة ممن كان له قوة قلب تمكنه من اقتفاء اثره الى المكان الذي وقف فيه ذاك الطيف — عظامًا لم تدفن بحسب العادات المتبعة . وهكذا كانت روح الامبراطور كاليجولا تطوف في حدائق القصر فاقضى اخراج جثته ودفنه ثانية على ما رسمته الشعائر الدينية .

فن ثم كان مما بهم الاحياء والاموات على السواء المحافظة على العادات الدينية فكانت أسرة الميت تنصب كومة حطب يحرقون فيها الحسد ويحملون الرماد في صندوق يضعونه

في القبر . وكان لهم معبد صغير حاص بدفن ارواح الارباب اي الارواح التي اصحت ارباباً فيأقي اهل الميت في اوقات معينة الى زيارة القبر حاملين طعاماً . لا جرم اهم اعتقدوا قديماً ان الروح محتاجة الى الغذاء لان القوم كانوا يهرقون الحمر والابن على الارض ويحرقون لهم المنكوبين ويتركون في الاواني لبناً وحلاوى . وكانت هذه الاحتفالات بالموتى تدوم ما شاء الله ان تدوم وما كان لاهل بيت ان يتخلوا عن ارواح اجدادهم بل يطلعون على العناية بقبورهم ويأتونهم بالغذاء لاطعامهم . ثم ان تلك الارواح التي تتأله او تصحى في عداد الارباب تحب ذريتها وتحمي احفادها من البوائق وهكذا كان لكل أسرة ارباب يحمونها يدعونها آلهة البيت .

عبادة البيت -- اعتقد الرومان كاعتقاد اليهود بان الالهيب رب كما ان البيت مديح فكان لكل أسرة بيت تعبدونه وتقوم على العناية به ليل نهار تحمل اليه الربت والتحم والحمر والخور فيتساعد الالهيب ويسطع كأنه منبت من النخلة . فكان الروماني قبل ان يبدأ بتقديم الطعام لبيت يشكر لرب البيت ويدفع اليه جزءاً من الاطعمة ويصب له قليلاً من الحمر وهذا ما يدعونه بالصب والاهراق حتى ان هوراس نفسه على قلة اعتقاده كان يتعنى امام بيته مع خدمته ويصب الطعام ويصلي الصلاة المعتادة

وكان لكل أسرة رومانية في بيتها قبر جعل فيه ارباب البيت وارواح الاجداد ومديح البيت . وكان لمدينة رومية نفها بيت مقدس في قبر الالهة فسنا وهي عبارة عن اربع عذارى من اعظم الاسرات الرومانية عهد اليهن حراسته وذلك لانهم يرون ان لا ينطقي الالهيب المقدس مطلقاً ولا يعهد بالقيام عليه الا لانا من الاطهار فاذا ابت احدى تلك العذارى ان تقوم بما فرض عليها التوفر عليه من هذه الخدمة يدفنوها حية في قبور لاهبا ارتكبت عملاً طالحاً ووقعت الشعب الروماني في خطر .

الجيش الروماني

الخدمة العسكرية -- لم يكن يكفي لقبول الرجل في خدمة الجيش الروماني ان يكون وطنياً رومانياً بل يجب ان يكون له بعض الموارد ليجهز نفسه بالسلاح على نفقته لان الحكومة لم تكن تعطي الجندي سلاحاً حتى انها لم تكن تعطيه جراية بأكلها الى سنة ٤٠٢ وعلى هذا لم يكن يجند من الوطنيين الا من كانوا يملكون بعض ثروة اما الفقراء فكانوا يعفون من الخدمة العسكرية وبعبارة ثانية ليس لهم الحق في خدمتها ويحق كل وطني له بعض الغنى ان يقبل في الجيش بعد ان يكون الى بلاء حسناً في عشرين حملة واذا لم يقم بذلك فهو تبع للقائد اي منذ سن السابعة عشرة الى السادسة والاربعين فكل فرد في

رومية كما في المدن اليونانية وطبي وحندي في آن واحد والرومان امة مؤلفة من صغار ارباب الاملاك المدربين على القتال .

التجنيد — متى احتاحت الحكومة الى جند يصدر القنصل امره الى جميع الوطنيين اللاتنيين للخدمة ناس يجتمعوا في معبد الكابيتول وهناك يلتئم ضباط تختارهم الامة وهم يختارون من ينسعي لهم من الجند لتأليف جيش وهذا هو التجنيد عند الرومانيين ويسمونه الاحتيال . تم يجري التخاييف العسكري فيبدأ الضباط اولاً يقسمون اليمن المألوفة تم الحمد وكلهم يقسمون على الطاعة للقائد وان يقاتلوا دون اعلامهم حتى يكونوا في حل من ايادهم في نظره . فيتلو رجل عبارة وينقدم كل فرد في نوبته فيقول « وانا ايضاً » ويرتبط الجيش ادراك بالقائد ارتباطاً دينياً .

دُعي الجيش الروماني اولاً الفرقة او التجنيدة وناما الشعب اصبح يؤلف بدل الفرقة فرقاً والفرقة الرومانية عبارة عن ٤٢٠٠ او ٥٠٠ رجل كلهم من ابناء البلاد . وكان اصغر جيش على الاقل عبارة عن فرقة وكان كل جيش بقيادة فصل عبارة عن فرقتين على الاقل . ويتألف نحو نصف الجيش من هذه الفرق وكان على جميع شعوب ايطاليا الخاصة لرومية ان تبعت اليها ببعوتها وبدعى هؤلاء الجود « المحالفون » وهم تحت قيادة الضباط الرومانيين . وكست ترى المحالفين في الجيش الروماني اكثر عدداً من كتمان الوطنيين . وجرت العادة ان يبعثوا مع كل اربع فرق (١٦٨٠٠ حندي) عشرين الف راجل من المحالفين وهكذا كان الشعب الروماني في حروبه يستخدم رعاياه اكثر من مواطنيه .

التسليح — اعتاد الرومان كاليونان ان يحاربوا مترجلين متدربين بالدروع والحوذ والمسامي (الطاقات) قابضين بايديهم اليسرى على ترسة ليدفعوا بها الصربات . مضي عليهم زمن وهم مقاتلون بالرمح والسيف وكانوا اذا تلاقوا بالعدو يجتمعون ككتيبة واحدة على نحو ما كانت تجتمع الكتائب الرومية تم عمدوا الى استعمال ضرب آخر من ضروب الكر والفر . ونقسم الفرقة الى سرايا صغيرة كل سرية مؤلفة من ١٢٠ جندياً « مانيبول » اي الفرقة لان علمهم عبارة عن حزمة من الحشيش فنصطف كل فرقة على شكل رقعة التطرنج على ثلاث خطوط وكل فرقة منفصلة عن جارتها بحيث يكون المجال امامها متسعاً للعمل على حداثها فيضرب جنود فرق الصفوف الاولى بجراهم ويضعون سيوفهم في ايديهم ويدؤون بالقتال . فاذا اندحروا يتراجعون الى الفضاء الذي وراءهم فيزحف الصف الثاني من الفرق في نوبته الى القتال فاذا ما دُحر بنكفي راجعاً نحو الحط الثالث . وهذه الفرق

هي حيرة رجال الحيش يحملون الرماح وهم واسطة لقيادة احواسهم الآخرين لقتال الاعداء بهم .

وبعد فان الجيش الروماني لا يتألف جملة واحدة للقتال في آن واحد بل ان القائد يعي حنده مراعيًا حالة الارض التي يتخذها ساحة لقراع الاعداء . ولما التقى كتائب جنود الرومانيين وقرق المكدونيين في جبال سينوسيفال في تساليا للمرة الاولى وهما اشهر ما عهد من الحيش في العهد القديم كان ميدان القتال عبارة عن أكتات وتلعات فلم يكن في امكان الستة عشر الف محارب من المكدونيين ان يطلوا متماسكين متجمعين بل كانت صفوفهم ذات فروج فرحت العرق الرومانية ودخلت الفضاء الذي كان يتخلل صفوفهم ومزقت شملهم كل مرق .

التمرينات — لم يكن لرومية محال للالعب الرياضية فكان الجنود يتربون في ساحة المناورات اي في ساحة المربخ من الضفة الثانية من نهر التير وهناك كانت الشاب يسير و يعدو ويقفز وعليه العدة الكاملة من السلاح يلعب بسيفه ويضرب بحرته ويستعمل معوله فاذا ما علاه الغبار والعرق يجتاز نهر التير عائماً . وكثيراً ما كان الرجال المدربون بل والقواد يشاركون فتيان الجند في تمريناتهم اذ كان من دأب الروماني ان لا ينقطع عن التمرين حتى كانت القاعدة المتبعة اذ كان ان لا يترك الجنود حتى في الحرب بلا عمل فيمرنون مرة في اليوم على الاقل ويتغلونهم باشاء الطرق والحسور والمجاري ادا لم يكن امامهم عدو يقاتلونه ولا متاربس يقيمونها .

المعسكر — يحمل الجندي الروماني حملاً ثقيلاً مؤلفاً من سلاح واوان واضممة تكفيه اياماً ووند وبلغ وزن مجموعها ستين رطلاً رومانياً واذا تلاقى الحيش بجيش العدو سهل عليه الحرب بسرعة اذ لا يكون له من الاثقال ما يسغله .

وكل مرة كان يريد الحيش الروماني الوقوف لمعسكر يحيط المساح اطافاً مربعاً ويحفر الحند في محيط ذاك النطاق هوة عميقة ويقون التراب من ناحيتهم في الداخل يكون محمداً يضررون فيه اوتاداً وهكذا يكون المعسكر محمياً نطاق من اوتاد وارض ذات وهاد وفي داخل هذه القلعة الموقفة يصرب الجنود حياتهم ويجعلون سرداق القائد في الوسط ويبقى العيون والحراس طول الليل يحرسون المعسكر وهكذا يكون الحيش في مأمن من كل عدو مفاجيء .

تعلم الجند — يعلم الجيش الروماني تعليماً قاسياً فيحقق للقائد ان يبيت حنده او يتي عليهم والجندي الذي يترك محله او يركن الى الفرار في الزحف يحكم عليه بالموت

فربطه حملة الفؤوس بعمود ويضربونه بالعصي ويقطعون رأسه او يقع عليه الجند فيضربونه بالعصي .

واذا تمردت كتيبة من الجيش يقسم انقائد المجرمين الى عصابات كل عصابة مؤلفة من عشرة اشخاص يقتربون في كل عصابة على واحد يكون نصيبه الاعداء ويسمون هذا التعدير اي احد واحد من عشرة اما الباقيون فيقضى عليهم بان يعطوا حيز شعير ويتركونهم بعسكرون خارج المعسكر ليكونوا اعداء على خطر من مفاجأة العدو لهم .

لا يقبل الرومانيون ان يغلب جندهم ولا ان يؤسروا فقد سلم من القتل ثلاثة آلاف جندي بعد وقعة « كان » وراحوا يهيمون على وجوههم الا ان مجلس الشيوخ ارسلهم يخدمون في صقلية بدون جرات ولا القاب شرف ربما يخرج العدو من ايطاليا ويبقى ثمانية آلاف جندي في المعسكر فقبض عليهم وقد عرض هانيبال ان يعيدهم الى الحكومة لقاء فدية طفيعة تدفعها عنهم فابى مجلس الشيوخ ان يفتديهم .

الغلبة — متى كتب الظفر لاحد القواد يصدر مجلس الشيوخ امره اليه بان يحتفل بما تم له من الغلبة دليلاً على تسريفة فيحمل بذلك احتفالاً دينياً في معبد المشتري فيسير في المقدمة الحكام والشيوخ ثم تأتي العجلات مملوءة بالغنائم والاسرى مقيدتين من ارجلهم وفي المؤخرة عجلة مذهبة تجرها اربعة حياد يأتي القائد الغازي متوجاً بالعار وجنده يتبعونه مترغين بادوار دينية يرددون فيها اسم الظفر فيحتاز هذا الموكب المدينة بهذا الاحتفال ويطلع الى معبد الكابitol وهناك يضع الغازي اغصان اعار على ارجل المشتري ويحمده على انه كان سبباً في نصرته وعند انتهاء الحفلة تضرب اعناق الاسرى كما فعلوا مع الزعيم الغالي فرسجناتور كرس او ان يلقوا الاسير في مطبق (حبس مظلم) يموت جوعاً كما فعلوا مع جوكورتا ملك فوميديا او انهم يكتفون بان يسجنوا الاسير . وقد دام ظفر بولس اميل الذي تغلب على ملك مكيدونية (١٦٧) ثلاثة ايام مرت في اليوم الاول ٢٥٠ مركبة تحمل لوحات وثمانيل وفي الثاني ما عمه من الاسلحة و٢٥٠ برميلاً من المال وفي اليوم الثالث ١٢٠ توراً من تيران الضحايا والملك برسي في المؤخرة لابساً السواد يحف به حاصته مقيدتين وثلاثة اولاد له مدوا ايديهم للامة يضرعون اليها واخذوا يحركون شفقتها .

فتح ايطاليا — كان في رومية معبد خاص بالرب جانوس تبقى ابوابه مفتحة مادام الشعب الروماني في الحرب . ولم يغلّق هذا المعبد الا مرة واحدة دامت بضع سنين في خلال خمسمائة سنة التي طال فيها عمر الجمهورية الرومانية وعليه فان رومية عاشت في حرب دائمة

واذ كان جيشها اقوى جيش في عصره انتهت بها الحال ان تغلب على جميع الشعوب الاخرى وان تفتح العالم القديم .

فبدأت باخضاع جيرانها اولاً فاخضعت اللاتينيين اولاً ثم الشعوب الاخرى النازلة في الجنوب مثل الفولسكيين والايكيين والهربكيين ثم الاترويسكيين والسامنتيين ثم المدن اليونانية . وكان هذا الفتح من اتق الفتوح وابطئه : بدأ على عهد الملوك ولم ينته الا في سنة ٢٦٦ اي بعد اربعة قرون (١) وذلك لانه كان على الرومانيين ان يقاتلوا شعوباً هم واياهم من عنصر واحد وهم على شاكلتهم في القوة والمجدة والشجاعة . ومن هذه الشعوب من ابى اباؤها ان تخضع للرومان فما كان من رومية الا ان ابادتهم فاصبحت سهول فولسكا الغنية قفراً ذا بطائح ومستنقعات ولم تعد بطائح بونتين صالحة للسكنى حتى يوم الناس هذا وقد كانت بلاد السامنتيين تعرف بعد ثلثمائة سنة من الحرب التي وقعت فيها بما بقي فيها من بقايا المماريس اكثر مما تعرف لمحو جوارها من السكان وكان فيها ٤٥ معسكراً للامبراطور ديسيوس و٨٦ للقائد فايوس .

الطرق العسكرية — اقام الرومانيون في جميع ايطاليا طرقاً عسكرية ليتسنى لهم ان يبعثوا بالبعوث الى القاصية وكانت هذه الطرق عبارة عن طرق مستقيمة مرصوفة بالحجر والحجر والرمل وبلغ من متانتها انها صبرت على الايام خلال ذاك العهد برمتها . وقد اكثر الرومان منها في عامة بلاد ايطاليا فليس فيها بقعة لا ترى فيها الى اليوم اثرًا من آثار تلك الطرق الحربية وكانوا يسمونها باسم الوالي الذي امر ببنائها واهم هذه الطرق طريق ابن المتمد الى الجنوب الى بطائح بونتين حتى تراننا وبرندس ثم طريق فلانمين الذي يحتاز طريق انين ويصل الى بحر الادرياتيك وطريق اورلين الذي يقطع اقليم طوسكانيا آخذاً الى الشمال على طول الشاطئ حتى بلاد الغال ثم طريق املين المتمد من بحر الادرياتيك محتازاً جميع سهل « يو »

فتح حوض البحر المتوسط

صبغة الدياسة الرومانية — لم يحظر للرومان ان يفتحوا العالم أولاً حتى انهم تمهلوا بعد ان بسطوا حكمهم على ايطاليا وقرطاجنة مدة مئة سنة قبل ان يخضعوا الشرق الى سلطانهم . (١) لم يكن للرومانيين من احبار جميع هذه الحروب في ايطاليا سوى اساطير لفتح اكثرها ليكون منها دليل على رجولية بعض اجداد احدى الاسر الشريفة

والظاهر انهم فتحوا متوحاتهم دون ان يحتطوا لها حطة من قبل لان مصلحتهم كلهم كانت بان يفتحوا الفتوح ويدوجوا الممالك .

فكان يرى الحكام وهم قواد الحيوس من الفتوحات فرصة لئيل علائم التشريف بالظفر الذي يكتب لهم ويكونون على نقعة من الاشتهار بين أممتهم والتأثير فيها . وكان أعظم رجال الحكومة في رومية مثل بابيريوس وفايوس وسيبيون الاول والثاني وكانوا من القواد الذين فتحوا الفتوح وكتب الظفر لاعلامهم . ويرجع الاشراف الذين يتألف منهم مجلس الشيوخ اداكثر سواد رعايا رومية فيذهبون كما يذهب الحكام لقبول احتراماتهم وهداياهم . اما الفرسان أي الصيارف والتجار ارباب المتاربع فان كل فتح حديث كان لهم بمثابة مشروع حديد يستثمرونه

والامة نفسها لتتفع من الغنائم التي تؤخذ من العدو . وقد رفعت الصرائب بصورة دائمة بعد ان دخلت حرانة الدولة الرومانية كنوز ملك مكيدونية . اما الجنود فكانوا يقبصون رواتب عالية من قوادهم وقد أخذوا يحاربون البلاد الغنية دع عنك ما كانوا يمدون اليه ابديةهم من مال المملوكين . وعلى هذا فقد فتح الرومان العالم للفوائد المادية اكثر من الجدد

قرطاجنة — لما امتد سلطان رومية الى جزيرة صقلية حملت علي قرطاجنة وعندئذ بدأت الحروب الفينيقية تحدثت ثلاث حروب فكانت الحرب الاولى من سنة ٢٦٢-٢٤١ حراً بحرية ولا تعرف عنها شيئاً الا ما روثه الاساطير بعد زمن من حدودها . فذكروا ان الرومانيين لم يملكوا سفناً بحرية قط وانهم جعلوا سفنهم على مثال سفينة قرطاجنة وقامت بالعرض في الساطي فأخذوا يبرنون مجذفيهم على استعمال المجاذيف على اليابسة . وهذه القصة لا اساس لها لان بحرية رومية قديمة اما الرومان فقد نقلوا احبار هذه الحرب كما يلي . غلب القنصل دويليوس الاسطول القرطاجي في ميلي (٢٦٠) وكان برل الى افريقية من البحر جيش روماني على عهد الحاكم جرجولوس فعمل وتمزق سذر مذر (٢٥٥) واسر جرجولوس وأرسل الى رومية ليعقد الصلح وقرر مجلس الشيوخ ابقاء الصلح فرجع هذا الى قرطاجنة حيث قضى نحبه في العذاب . تم حامي وطيس الحرب في صقلية فكتبت العلبة للاسطول القرطاجي اولاً (٢٤٩) تم دمر بالقرب من جزائر ايعات (٢٤١) وبعد ذلك حوصرها مليكار في جبل اركيس فوقع على الصلح ودخلت صقلية في حوزة رومية

ونسبت الحرب الثانية (من سنة ٢١٨ الى ٢٠١) وكان قائدها هانيبال من نسل الاسرة القرطاجنية صاحبة الحول والسطوة في بادكاس وكان قاداه هاميكار الى صقلية جيشاً قرطاجنياً في الحرب الفينيقية الاولى تم عهد اليه ان يفتح اسبانيا وكان هانيبال اذ ذاك طفلاً

فصحبه أبوه . وكانت العادة ان تقدم الضحايا للارباب عند ما يعادر الجيش البلاد ويقال ان هامليكار بعد تقديم الضحايا حلف ابنه ان يكون انداً عدواً ازرق للرومان
 ربي هانيبال وسط الجند فأصبح احسن قائد وامهر راجل في حرب . ولم يكن يعرف من الحياة الا انه محارب وكانت عنايته منصرفة الى تعهد حصانه وأسلحته واشتهر أمره كثيراً حتى اذا هلك القائد اسدرو بال الذي كان يقود الجيش الاسباني التجبوه قائد أعاليهم دون ان ينظروا أوامر مجلس الاعيان القرطاجي في ذلك . وهكذا أصبح هانيبال سيء الحادية والعشرين من عمره قائد جيش لا يطاع أحد سواه فدخل عمار الحرب على الرغم من مجلس التسيوخ في قرطاجنة وراح يحاصر ساعونت حلينة رومية فاستولى عليها وحررها ومما كتب به المجد لهانيبال انه عوضاً عن ان ينظر الرومانيون جرأ على ان يقتحمهم في عقر دارهم من بلاد ايطاليا ولم يكن له اسطول يحمله وحيشه اليهم فعمد على اجتيار البلاد اليهم رآ فقطع جبال البيرنيه ونهر الرون وجبال الالب وضمن لنفسه محاربة الشعوب العالية وقطع جبال البيرنيه دون أن يلقى فيها مقاومة في حيش مؤلف من ستين الف مقاتل من الخنود المستأجرة من الافريقيين والاسبانيين ومعه سبعة ولاتون فيلاً مدربة على الحرب وقد طمع بعض الشعب العالي ان يحولوا بينه وبين المسير في نهر الرون فأرسل هو فرقة من جيشه تقطع النهر على مسافة بضعة أميال من اعلاه وتهاجم العاليين من ورائهم على حين يجتاز معظم جيشه النهر على زوارق وتجبر القيلة على ارمات كبيرة . ثم صعد وادي ايزر وانتهى الى جبال الالب في أواخر شهر تشرين الاول (أكتوبر) فقطعها على ما كانت معتاة به من التلوج وعلى الرغم من غارة السكان الجبليين عليه فوقع كثير من الرجال والحيول في الهاويات . وقضى تسعة أيام لبلوغ قمة جبل الالب وصعب عليه الدورل لان المضيق الذي كان يجب عليهم السير فيه عطته التلوج والصقيع فافتضى لجيشه ان يتخذ له طريقاً يحمره في الصخر ولم يصل الى السهل الا وقد اصبح جيشه نصف ما كان . ثم لقي هانيبال ثلاثة حيوس رومانية في مسافة متدانية على ساطحي نهر تبسين وصفة نهر تريبا وبالقرب من بحيرة ترازيمين في انزوريا فهزمها كلها وكان كلما تقدم الى الامام يرداد جيشه وينصم المحاربون من العاليين « ايطاليا الشمالية » تحت لوائه لخدموه وينصروه على الرومانيين

فاجتاز هانيبال ايطاليا واتخذ لزو له اقليم ابوليا في الجهة الثانية لرومية فهاجمه فيها الجيش الروماني . وكان جيشه نصف جيش ولكن كان معه فرسانه الافريقيون يركبون خيولاً سريعة وقد رابط في سهل « كان » بحيث جعل الرومانيين يقابلون بوجوههم الشمس والتراب الذي يريه الريح فاحاط الفرسان بالجيش الروماني احاطة الدوار بالمعصم وذبحوه

عن آخره (٢١٦) وكان بظن ان هانيبال سيزحف على رومية الا انه لم يكن على تعبئة تامة . وهكذا ظل هانيبال في ايطاليا الجنوبية تسع سنين يحاول ان يفصل عن رومية الشعوب المخالفة لها ولم ينجح الا بالاستيلاء على بضع مدن حاصرها الرومان وخربها وبعد ذلك سافر اسدروبال في جيش اسبانيا للالتحاق به فوصل الى اوساط بلاد ايطاليا فسار الحيتان القرطاجنيين احدى الى الآخر يقابل كلاً منها جيش روماني بقيادة احد حكام الرومان . وكان برون محادياً لهانيبال جراً على قطع ايطاليا الوسطى لينضم الى رصيفه مقابل اسدروبال . ولقد سمع اسدروبال في صبيحة ذات يوم الابواق تبوق مرتين في المعسكر الروماني وكان في ذلك اشارة الى انه كان في المعسكر فصيلان او حاكمان فوقع في نفسه ان احاه علب وانهرم وان الرومان يطاردونه وانه قتل وذبح جيشه عن بكرة ابيه تم رجوع نيدرون الى الجيش الذي غادره امام هانيبال والتي في معسكر قرطاجنة رأس اسدروبال (٣٠٧)

لم يبق لهانيبال غير قوته يعتصم بها واقام خمس سنين في اقليم كالابروما كره على الخروج من ايطاليا الا لما علم بان جيشاً رومانياً كان نزل الى افريقية واحذبه قد قرطاجنة فدبح هانيبال الجند الايطالي الذي اتي للالتحاق به وركب البحر الى افريقية (٢٠٣) وانتهت الحرب بوتعة زاما (٢٠٣) وكان هانيبال اعتمد بحسب عادته ان يسوق الجيش الروماني الى الدخول في صفوفه ولكن القائد الروماني سبيون تب مع جيشه وما كانت الا هزيمة واحتها حتى ركب هذا اكتاف عدوه وهرم جيشه متهزماً .

فاضطرت قرطاجنة الى عقد الصلح وتنازلات عن كل ما تملكه خارج افريقية وتركزت اسبانيا للرومانيين . واضطرت زيادة على ذلك الى تسليم سفنها وفيلتها وان تدفع مبالغاً من المال يربو على خمسين مليوناً من الفرنكات وتعهدت بان لا تعان حرباً قبل الاستئذان من رومية . وكانت عاقبة الحرب الثالثة (من سنة ١٤٩ الى ١٤٦) القضاء على قرطاجنة فطال حصار الرومان كتهرباً لها حتى احذوها عنوة وجعلوا عاليها سافلها ونحووا اقليمها واعمالها وجعلوها ولاية افريقية خاضعة لسلطانهم .

مكدونية والشرق - كان ملوك اليونان احلاف قواد الاسكندر اقتسموا الشرق وحارب اعظمهم سطوة مملكة رومية وغلبوا مثل ملك مكدونية فيليب سنة ١٩٧ وابنه برسي سنة ١٦٨ وملك سورية انطيوخوس سنة ١٩٠ وهكذا حلا الجولل رومانين فاخذوا يفتحون البلاد التي يرونها لهماسهم واحدة بعد اخرى فافتتحوا مكدونية سنة ١٤٨ ومملكة فرغانة (١٢٩) وبقية آسيا (من سنة ٧٤ الى ٦٤) بعد هزيمة ميتريداتس ومصر (٣٠)

وما عدا مكدونية لم يندب السرق لقنالمه غير جنود مستأجرة او برابرة غير منظمين بنفرون ابيدي سبا لاول صدمة يلقونها . ولم يقتل في الغلبة العظمى على انطيوخوس في مانيزيا سوى ٣٥٠ جندياً رومانياً واقتصر سيللابانه لم يفقد من جيشه في تيرويا سوى ابي عشرين جندياً .

ودخل الرعب قلوب سائر الملوك خضعوا السلطان مجلس الشيوخ من دون مقاومة فان انطيوخوس العظيم ملك سورية بعد ان فتح جزءاً من ديار مصر جاءه بوليبيوس مندوباً من قبل مجلس الشيوخ بأمره بالخلاء عما بسط يده عليه من البلاد فتردد انطيوخوس وكان بيد بوليبيوس محزنة فاحتط بها في الارض خطوطاً حول ملك سورية وقال له : أجب مجلس الشيوخ قبل ان تخرج من هذه الدائرة التي رسمها لك . فلم يسع انطيوخوس الا الخسوع والتي حبل مصر على عاربها . وحاصر رومانياس ملك بيتانيا وقد حلق رأسه ولبس ثياب العبد المعق وركع امام مجلس الشيوخ الروماني . وحاول ميتريداتس ملك بون ان يقاوم وحده فطرد من بلاده بعد حرب خمس وعشرين سنة (٦٣ - ٨٩) واضطر الى ان يتناول السم ويقول بيدي لا بيد عمرو .

اسبانيا وغاليا الحويية - لم يستطع الرومان ان يغلبوا على الشعوب البربرية والحاربين في الغرب بادنى سبب كما تغلبوا على غيرهم فقصوا قرناً لاحضاع اسبانيا لسلطانهم . وقد ناضت الحرب في جبال البرنقال رحل من الرعاة اسمه فيريات (١٤٩ - ١٣٩) وهزم خمسة جيوش واكره احد قناصل الرومان على عقد الصلح معه ولم يتخلص مجلس الشيوخ من ثمره الا بقتله . واهلك الاريفاكين وهم شعب صغير في الشمال الشرقي عدة حيوش رومانية واقتضى لرومية ان ترسل احد قوادها سديون للاستيلاء على عاصمة تلك البلاد وهي المدينة الصغرى المسماة نوماس . وكانت الشعوب الصغيرة الحاملة في صيتها المعتمعة في جبال جين كثيراً ما ناضت الرومانيين القتال . وكان الغاليون اشد الاعداء على رومية وهم منتشرون في جميع سهل بونيزخون على ايطاليا الجنوبية وقد استولت احدى عصاباتهم على رومية سنة ٣٩٠ فكان جندهم يدخل الذعر على قلوب الحند الروماني باح امهم الضخمة البيضاء وسبلاتهم الطويلة الشقراء وعيونهم الزرقاء واصواتهم التي تعج فيبلع صداها عان السماء . والحوف يستولي على رومية عند ما يبلغها مجيء العسكر الغالي فيصدر مجلس الشيوخ امره بجمع عامة الجند .

وكانت هذه الحروب شديدة جداً ولكنها نضع اوزارها في الحال في الحرب الاولى استولى الرومان على اقليم غاليا المعروف بسيرالين اي ايطاليا الشمالية وتسببت الحرب الثانية

(١٢٠) للدفاع عن مارسيليا حليفة رومية فدمر الجيش الغالي واحضعت رومية بلاد الروم وشاحي البحر الرومي (اقليم لانكدوك وبروفانس ودوفينه)

عواقب الفتوح

سريان الاصطلاحات اليونانية — ان الفتوح هي التي دعت الرومان الى رؤية الروم والمشاركة عن أم فاستوطن رومية الوف من اليونان جاؤوها سرى او للاتجار وتعاطى بعضهم الطب وآخرون التعليم وغيرهم العرافة وغيرهم التمثيل . وكان القواد والضباط والجنود الرومانيون يعيشون في آسيا وسط الشعوب التي لتكلم اليونانية فتحلقوا باحلاق باليونان وهكذا عرف الرومان عادات حديثة ومعتقدات جديدة لم يكن لهم بهائيدوا اخذوا يعملون بها على التدرج . وقد بدأ هذا التبدل بعد الحرب المكثونية الاولى (٢٠٠) ودام الى اواخر المملكة الرومانية القائد ان كاتون وسبليون — ينما كانت الاحلاق تتغير استمر احد رجالهم كاتون باحتفاظه بعادات اسلافه . ولد هذا الرجل سنة ٢٥٢ في بلدة توسكولوم وقضى شبته في الحرب والكرت وفي السابعة عشرة من سنه دخل في الجيش بحسب العادة المتبعة واشترك في عامة الحملات على هانيبال . ولم يكن من الاشرف ولكنه استمر بقوته واسنقافته وزهده وقد انتخب مرات وزيراً للمالية وناظراً للابنية والملاعب وقاضياً وقنصلاً ووكيلاً للاحصاء وتغل مناصب الشرف عامة وكان في جميع حالاته على قدم قدماء الرومان فاسياً حاقاً بمحتماً وقد منح قصله عمد ما كان وزيراً للمالية وكان القنصل سبيون غالب هانيبال فاجاندلست في حاجة الى ناظر مدقق مثلك الى هذا الحد . ولما عين ناظراً للابنية والملاعب في ساردينيا ابى ان يمس المال الذي دفعته اليه تلك الولاية للنفقة . ولما صار قنصلاً تكلم شدة عن قانون اوبيا القاصي بالخطر على النساء الرومانيات بان لا يتزين بالحلي الثمينة فظفر النساء بمظلمهن وألعي ذاك القانون . ولما ذهب لقيادة الجيش الروماني في اسبانيا اتى باموال طائلة دفعها الى حرانة الامبراطورية وباع حصانه عند ما ركب البحر ليقصد من نفقات نقله ولما عين وكيلاً للاحصاء اسقط من قائمة مجلس السيوخ عدة من الاعاظم لما عرفوا به من الترف والبذخ واحال جباية الاموال الاميرية بثمن عال وقدر حلي النساء وزينتهن وروبايتهن بعشرة اضعاف ما تساوي وبعد ان حفت له اعلام النصر لم يستنكف من الخدمة في الجيش الروماني ضابطاً بسيطاً .

سرف كاتون حياته في مناهضة الاسراف والعرض من بذخهم وزرفهم وتجملهم وحمل خاصة على امثال القائد سبيون متعماً اباهم بالاختلاس الا انه لم ينج هو ايضاً من الصاق التهم به فاتهم اربعا واربعين مرة ولكنهم كان يُدرا كلما اتهم . وكان يحرق ارضه مع عبيده

وبواكلهم ويضربهم بالعصي متى رآهم يجيدون عن جادة الصواب وقد ذكر في رسالته في الزراعة التي كتبها الى ابنه جميع ما كان يأتي الفلاحين الرومانيين من الايرادات ويرى ان من الواجب علي المرء ان يعتني وكان يقول : « للارملة ان تصرف من مالها وعلى الرجل ان يريد وكل من شهدت دفاتر حساباته بعد موته بأنه ربح أكثر مما ورت جدير بالتهرة وملمهم من الارباب » ولما رأى ان الزراعة لا تأتيه مارباح طائلة احدى بقرض ماله ليحجبه سفناً تجارية واتخذ له خمسين شريكاً جهروا كلهم معاً خمسين سفينة ليتقاسموا بينهم الاخطار التي نثال سفنهم والارباح التي تأتيهم بها . وعلى هذا كان كاتون زارعاً ماهراً وجندياً عظيماً عدواً للبذخ حريصاً على الكسب فهو مثال الروماني الاصيل وانموذج الفضيلة والنبات وعلى العكس منه كان القائد سبيون مثلاً للاهتمام بالفنون والافكار الفلسفية اليونانية فكان سبيون الذي استولى على قرطاجنة وبوماس يتكلم باليونانية وهو صديق المؤرخ اليوناني بوليبي الذي أمسك في رومية رهينة . ولم يكن يهتم بجمع المال وقد دفع الى شتيقاته دفعة واحدة مبالغاً من المال كان عليه ان لا يدفعه اليه الا في اوقات مختلفة وانازل لاختيه وكان اقل منه مالاً عن حصته في ارث ابيه ولم يخلف بعده سوى كمية قليلة جداً من الاواني الذهبية والفضية .

الاحلاق القديمة — مضى زمن طويل على قدماء الرومانيين وهم يتوفرون على زرع حقولهم وقتال عدوهم والقيام بفرائض دينهم حتى كانوا حقاً الريفيين العالمين الجفاة . فكانوا يرعون جانباً صغيراً من اقليم لاتيوم اولاسابين وهم من سل اللاتين والايطاليين الذين تغلبت عليهم رومية . وقد صور لنا السيج كاتون في كتاب له في الزراعة شيئاً من اخلاقهم بقوله : كان اجدادنا اذا أرادوا الثناء على رجل يصفونه بأنه زارع ماهر وحرث مجيد وهذا عاية مايدح به انسان (١)

فكان هؤلاء الزراع أشداء في اعمالهم واهل طمع في مكاسبهم ونظيم في شؤونهم واقتصاد في نفقاتهم وبذلك كانوا قوة الجيوش الرومانية . ولطالما تألف منهم مجلس الامة أيضاً وكانت لهم القوة العظمى في الانتخابات . فيحيي الاسراف الذين يطعمون في ان يتخبوا حكماً الى ساحة السوق ليهزوا أيدي هؤلاء الفلاحين . رأى أحد المرشحين انفسهم للانتخابات يد احد الحراثين وهي شتة عليظة فأله : هل تمشي على يديك ؟ وكان السائل من الاسراف ينتسب الى أسرة كبيرة ولكنه لم ينتخب

(١) وقد اورد أيضاً شيئاً من امثالهم القديمة منها : « ادنى الزراع من يتناع شيئاً ماتغله له ارضه » « واحط المقتصدين من يعمل في النهار ما يتأتى له ان يعمل في الليل »

سكن الرومان بيوتاً ضيقة ذات طبقة واحدة لا نظام في نائها وكان الاثريون أهم ناحية من الدار وفيه المكان المقدس وهو مكشوف من أعلاه يدر منه ماء المطر . والآلات عبارة عن بضعة صناديق ومقاعد من الخشب . وطعامه بسيط مؤلف خاصة من حساء معمول بالبر ومن حار ومنض بقول وما كانوا يشاولون اللحوم الا في الاعياد وما تبرئ النساء الحرقط والرجال يتناولون منه على الدرة . ولباسهم عبارة عن قميص يلبسون فوقه رداء من صوف زمن البرد . ويلبس الوطنيون في أيام الاعياد حلة من الصوف مريئة من جهة العنق ويلبسون في أرجلهم معالاً مطاطة لسيور . ويقصون حياتهم في الوفرة على أعمالهم فالرجال يصطادون ان يجرئوا والنساء يغزلن الصوف وتنسجن الإفتة ويلعنن الحبوب ليعملنها برا . ولم يكن للرومانيين من ضروب التسلية الا ان يذهبوا كل تسعة أيام الى السوق أو يحضروا الاعياد التي تقام اكراماً للارباب

كان يرى قدماء الرومان ان الرجل الشديد هو غاية ما تطمح اليه الآمال ويقال ان سيد مياتوس كان يسوق محارته نفسه عند ما اتاه نواب الامة من قبل مجلس الشيوخ يدفعون اليه الامر بتنصيبه . ولم يكن عند فارسيوس من الاواني غير كأس وملحة من فضة . وكان كور يوس وانتاتوس وهو غالب السامنتيين حاساً على مقعد يأكل بقولا في قصعة من خشب عند ما أتاه منده نو السامنتيين ليقدّموا اليه المال فقال لهم : اذهبوا وقولوا للسامنتيين ان كور يوس يؤثر ان يقود من عندهم ذهب اكثر مما يؤثر ان يكون هو مالكا له . هذه هي بعض الافاقيص التي يروونها عن قواد الازمة القديمة وسواء كانت حقيقية او ملفقة فإنها تدل على ما كان الرومانيون بعد يذهبون اليه بشأن قدماء احداهم

الاحلاق الجديدة - احد كثير من الرومانيين بعد القرن الثاني ولا سيما طبقة الاشراف يقلدون الاجانب . وكان زعماؤهم قواداً رأوا بلاد اليونان والشرق عن أمم فكشبت الغلبة لسبيون على ملك سورية ولفلامنيوس وبولس اميل على ملوك مكدونية ثم لوكلوس على ملك ارمينية . فعزفت نفوسهم عن الحياة القاسية الصعبة التي كان عليها اجدادهم وأحدوا يسرون في حياتهم على البذخ والرفاهية وما زال الحال كذلك حتى نسيج على منوالهم عامة النبلاء والاعتناء بحجت لم يطلع حجر القرن الاول حتى لم يعد في ايطاليا الاسادة عظام يعيشون المعيشة الشرقية او اليونانية

يرى الشرقيون من دواعي العجب ان يعرضوا للانظار الاقمشة البديعة والاحجار الكريمة واثاث الفضة وأواني الذهب وان يستكثروا في بيوتهم من الخدم على غير طائل

وان ينشروا على الشعب المجتمع دراهم ليدهتوهم (١) وكانوا يرغبون في الاعلاق النفيسة الزائدة أكثر من رغبتهم في النفائس الجميلة المناسبة

واصبح للرومان على شدة عجبهم وضعف استعدادهم في الصناعات ذوق في هذا الضرب من البذخ وكانوا قلما يحفلون بالجمال أو بالموافق ولم يعرفوا قط الا الأبهة والمخفحة فاستؤوا لهم بيوتاً ذات حدائق متسعة وحسروا اليها التاتيل واقاموا فيها المصايف الراهية التي تمتد الى البحر وسط الحدائق المتسعة واستكثروا من الخدم والحشم وأخذوا هم ونساءهم يعتاضون عن ألبستهم المعمولة من الصوف بالسجوف (رنكج - كريسة) واكسية الحرير والقصب . ويفرشون في ولائمهم بسطاً مطررة وأذرة من الأرجوان وأواني من ذهب وفضة (وكان عند الحاكم سيللا مئة وخمسون صفحة من الفضة وورن ما عند ماركوس وروزوس من الاواني الفضية عشرة آلاف ليرة) واد ظل العامة يأكلون قعوداً بحسب عادة الشعوب الايطالية القديمة والخاصة من الاغنياء اتبعوا العادة الشرقية في الاكل مصطحعين على سرهم ثم سرت عادة التأني في المآكل على الاسلوب الشرقي والاستكثار في المطاعم من الابازير والصباع (سلسا) والصيد والسماك الغريب ونخاخ الطواويس والسنة الطيور واستحكم مهم السرف حتى تقدمت أحد الحكام سنة ١٥٢ وقد ذكر في وصيته قوله «لما لم يكن الاكرام الحقيقي عبارة عن أبهة باطلة بل هو لتذكر اقدار المتوفى وأجداده فانما أمر أولادي ان لا ينفقوا على جنازتي أكثر من مليون آس (مئة الف فربك) »

العلوم الادبية اليونانية -- رأى الرومانيون في بلاد اليونان المصانع والتاتيل والالواح التي كانت منذ قرون تغص بها المدن وعرفوا الادباء والفلاسفة فصار لبعضهم ذوق في الصنائع النفيسة واولع آخرون بالحياة العقلية فجعل امتال القائد سبيون حوهم اناساً من اليونان المنورين ولم تطمح نفس بولس اميل من جميع الغنائم التي عمها جيشه من مكدونية الا الى الاستيلاء على مملكة الملك رسي وعهد بتربية اولاده الى اساتذة يونان وبذلك صارت الكتانة والتكلم باللغة اليونانية من الامور المستحسنة في رومية (٢) واراد الاشراف ان يظهروا في مظهر العارفين بالتصوير والنقش فجلبوا بالالوف التاتيل وقلر كورنت المشهور (١) تجدد مثلاً من هذا الذوق الشرقي في الابهة الباطلة التي تمثل لك في حكايات

الف ليلة وليلة

(٢) ولذلك كان يخاف الشيخ كاتون عادية اليونان وقد كتب لابنه ما يأتي : اقول ان ملاحظته في آثينة ان هذا الجنس من اخبت الاجناس واصعبها مراساً الا فاستمع لما اقول كما نسمع لمانف رباني الا ان هذه الامة اليونانية كلما اثنا بصناعاتها نفسدنا كلما

وملأوها بيوتهم . ودخل في ملك الحاكم فريس شيء كثير من النفائس والاعلاق جعلها في رواق وكانت مما نهبه من صتلية .

وهكذا اخذ الرومان على التدريج من الفنون ظواهرها ومن الآداب اليونانية قسورها . وسمي هذا التهذيب الجديد فن الادب معارضة للفتونة التي كان عليها اهل الريف من الرومان ومع هذا لم تكن الا قسوراً فقط فلم يعرف الرومان ان الجمال والحقيقة يرغب فيهما لذاتهما بل كانت الانواع والعلوم عندهم اموراً يقصد بها الرينة والبذخ ليس الا . ولم يكن الرومان على عهد سبترون يعتبرون من اهل الاعمال غير الجندي والحرات والسياسي والتاجر او المحامي اما الكتابة والتأليف والاشتغال بالعلم والفلسفة والنقد فكل ذلك كان بسمي عندهم بطالة . وما قط اصاب ارباب الفنون والعلماء من الاعتبار في رومية ما يساويهم بتاجر غربي . قال لوسين احد كتاب اليونان : « متى صرت مثل فيدياس النقاش اليوناني تصنع الف قطعة بدفعة من النقوش لا يرغب احد ان يتقيل مثالك لانك مهما بلغت من الخدمة لا يطاق عليك الا لقب صانع ولست اذ ذاك غير رجل يعيش بكد يمينه »

لوكلوس - ولد لوكلوس وهو مثال الروماني الحديث سنة ١٤٥ من أسرة شريفة وعنية جداً ولذا سهل دخوله في سلك ارباب المناصب والشرف واشتهر في عزوانه الاولى نانه يعطف على المغلوبين ويعاملهم باللطف تم عين قنصلاً وقاد الجيش الذي انتدب لقتال ميتريداس . وقد رأى سكان آسيا ساخطين من كثرة السرقة وفضاعة العتارين فعني بجعل حد لتلك الاعمال وحظر على حنده ان ينهبوا المدن المغلوبة وبذلك جلب لنفسه حب الآسيويين الباطل وبغض العتارين والجنود الخطر . فددست الدسائس لتستدعيه حكومته وكان قد هزم ميتريداس واحذ بطارده وهو سائر الى حليفه ملك ارمينية وقد هزم جيشاً من البرابرة بجيشه الصغير المؤلف من عشرين الف مقاتل فسلمت منه القيادة وسلمت الى بومبي نديم العتارين وحببيهم

واذ ذاك اعتزل لوكلوس الاعمال للاستمتاع بما جمعه في آسيا من الثروة واصبح يملك في احياء رومية حدائق غلبا وله في نابولي مصيف قام في البحر مبنياً بالحجر الصلد . وفي توسكولوم قصر صيفي وفيه مخف للاعلاق والنفائس فكان يقضي الصيف في توسكولوم بين اصحابه وجماعة العلماء واهل الادب يطالع مصنفات اليونان ويبحث في الادب والفلسفة . وتروى عن بذخه حكايات كثيرة . منها انه كان ذات يوم يتغدى وحده ف رأى مائدته اكثر بساطة من العادة فويح الطامي فاعتذر بقوله ان عدم وجود الضيوف هو الذي دعاه الى تقليل المآكل فاجابه لوكلوس : « اما علمت ان لوكلوس يتغدى اليوم عند لوكلوس ؟ »

ودعا يوماً قيصر وسيشرون فقبلاً دعوته على شرط ان لا يغير شيئاً من عاداته فاكنتي لوكلوس بان قال لاحد الخدمة فقط اجعل الطعام في قاعة ابولون وكانت المائدة على غاية من التأنق بحيث عجب منها المدعوان . ولما سُئِلَ عن اخلاقه بشرط الضيافة قال انه لم يأمر بشيء وان نفقات طعامه محددة بحسب القاعة التي تجعل فيها وان بسط الموائد في قاعة ابولون لا يمكن ان يكلف اقل من خمسين الف فرك

وظلَّ لوكلوس في رومية ممثل الاخلاق الجديدة كما كان كاتون يمثل الاخلاق القديمة ويرى قدماء الرومان ان كاتون هو الروماني الصالح وان لوكلوس هو الروماني الفاسد ومع هذا فقد كان لوكلوس يبتعد عن عادة الاجداد ولذلك كان واسع المدارك حسن التربية لطيف المأثى مفضولاً على العطف على الخدم والرعايا .

الاتقلاب الديني والعقلي

العبادات الجديدة — لم يكن بين ارباب الرومان وارباب اليونان من شبه حتى في الاسماء ومع هذا اعتقد اليونان بان معظم الارباب المعبودة في رومية كانت اربابهم احبوا ان يعترفوا بانها كذلك . والى ذلك العهد لم يكن للارباب الرومانية شكل خاص ولا تاريخ معين وهذا مادعا الى الارتباك في حالتها فجرى تمثيل كل رب روماني على صورة رب يوناني واخترعوا له تاريخاً وحكايات .

نخلطوا بين المستري اللاتيني وزيوس اليوناني وجونون مع هيرا ومنيرفا ربة الدائرة مع بالاس ربة الحكمة وديان زوجة جانوس مع اريتمس الصيادة البديعة ومزجوا هر كول رب السواد بهيرا كليس العال على الغيلان . وهكذا دخلت الميثولوجيا اليونانية تحت اسماء لاتينية واستحال ارباب رومية الى ارباب يونان . امتزجت الارباب بعضها ببعض حتى اعتدنا ان نطلق على الارباب اليونانية اسماء لاتينية فلا نزال نقول اريتمس ديان وبالاس منيرفا . وبالميثولوجيا اليونانية اعتاد الرومان ان يصوروا اربابهم في تماثيل كما اقتبسوا ايضاً بعض الاحتمالات اليونانية وكانت الحكومة الرومانية ادخلت الى بلادها عبادة ابولون وبدأ بعض الافراد يعبدون باحوس رب الكرم . ويحتمل من يعبدون باحوس بعبادته من الليل سرّاً ولا يطلعون احداً على حفايا العبادة الباخوسية وحاد المجلس يحقق فرأى المتعبدين بهذه العبادة سبعمائة شخص بين رجال ونساء اشتركوا معاً في هذه الاسرار فقفى عليهم بالموت .

ثم ان الرومان اخذوا ايضاً يعبدون ما يعبد شعوب الشرق فقد كان سنة ٢٢٠ — في

رومية معبد للرب سيرايس المصري فامر مجلس الشيوخ بهدمه فلم يجسر احد الفعلة على ذلك وبقي المعبد لا يمس بسوء حتى جاء القنصل بنفسه فضرب ابوابه بالفأس

وبعد سنين اي في سنة ٢٠٤ خلال حرب هانيبال بعث مجلس الشيوخ الى آسيا الصغرى نوفد للبحث عن المعبودة سيبيل وكانت هذه الام الكبرى كما كانوا يدعونها مصورة على حجر اسود فأتى بها مندوبو مجلس الشيوخ باحتمال حافل وجعلوها في رومية وقد لحق بها كهنتها واحذوا يطوفون السوارع على اصوات المزامير والصنوج لابسين البسة شرقية وهم يتوكفون الاكف على الابواب

تم غصت بلاد ايطاليا بالسحرة من الكلدان ولم يكن العامة يعتقدون وحدثهم بهؤلاء العرافين . ولما هدد رابرة السمر مدينة رومية سنة ١٠٤ تقدمت عرافة من سورية اسمها مارتا فعرضت على مجلس الشيوخ الروماني بانها لتوسط في غلبة رومية على عدوتهم فطردوا مجلس الشيوخ ولكن النساء الرومانيات امتن بها الى المعسكر فانقاها مازيوس القائد العام لديه وما فتيء يا حذرأيها الى ان وصعت الحرب اوزارها . ورأى سيللا في نومهرنة كابودسيا فعمل بنصيحتها وسار الى ايطاليا .

السفسطائيون — لم يكن يأتي الى رومية كهنة وعرافون فقط بل كان يرل فيها فلاسفة يحنقرون الدين القديم . ومن أشهرهم كارنياد سفير الآتييين فانه كان يصرح بافكاره في رومية امام الجمهور فيخف شبان الرومان الى سماع اقواله حتى اراده مجلس الشيوخ على الخروج من المدينة الا ان الفلاسفة ظلوا على بت مبادئهم في رودس وآتينة حتى اصبح من السنن المألوفة ان يبعث الرومان بفتياتهم الى تينك المدينتين يتعلمون فيها الفلسفة

وفي القرن الثالث قبل المسيح ألف الفهمير اليوناني كتابا ينفى فيه وجود الارباب واما ليست الرجال ألههم الناس حتى ان المشتري نفسه كان ملكا على كريت . فانتشر كتابه اي انتشار ونقله الشاعر انيوس باللاتينية . وعلى هذا النحو احذ اشراف رومية يسخرون من اربابهم ولم يبقوا من الدين القديم الا على مراسيمه وظواهره (١) وكان اهل الطبقة العالية في المجتمع الروماني مدة زهاء قرن يعتقدون بالحرافات اعتقاد سفسطائيين لا يؤمنون بشيء

الحياة العقلية — كان غاية ما يعلم اليونان الاقدمون اولادهم القراءة فقط في الزمن الذي كان فيه بوليب في رومية (قبل سنة ١٥٠) ويعهد المحدثون من الرومان بتعليم ابنائهم الى مربين من اليونان ولذلك افتتح اناس من اليونان في رومية مدارس لتعليم الشعر والبلاغة والموسيقى . وكانت الاسرات الكبرى تنقسم الى اناس يتعلمون على الطريقة القديمة وآخرين

(١) قال شيشرون : يجب ان نبقى على عادة اخذ الطالع لثلاث نس العامة في معتقداتهم

على الحديثة . ولكن بقي في الازدهار شيء من الموسيقى والرقص فكانوا ينظرون اليهما فانهما من الصناعات المهينة بمن يتعاطاها اذا كان كريم المحتد . قال سيبون املين حامي اليونان في كلامه على مدرسة رقص كان يختلف اليها بنون وبنات من الخاصة : ما كنت اتوهم عند ما ذكر لي ذلك ان انساناً من الاشراف يعلمون مثل هذه الامور لاولادهم ولما اخذوا يدي الى مدرسة الرقص رأيت فيها زهاء خمسمائة صبي وست وفي جملتهم ولداً شريفاً في الثانية عشرة من عمره وهو واحد المرتشحين للانتخابات برقص على اغاني البوق « كروتال » وقال سالوست في كلامه على عقيلة رومانية قليلة الاعتبار انها كانت تصرب على الطنبور وترقص احسن مما يلبق بامرأة بمعتشمة .

التربية — استهوى ساء الرومان حب الادبان الشرقية والبذخ الشرقي في اسرع ما يمكن فكان يذهبن زرافات ررافات الى معابد باحوس ومساجد ايزيس . وقد سنت لهن قوانين لينعمن بها من لبس الالبسة الثمينة وركوب العربات واتخاذ الحلي والجواهر ولم تلبت ان ألغيت فصار النساء في حل من ان يلبسن كالرجال ما يشأن . وانقطع النساء التبيلات عن العمل والجلوس في بيوتهن وانشأن مخرجن في أبهة ويختلفن الى دور التثيل والملاعب والحمامات والمجتمعات . واذ كن بلا عمل ومن الجمل على جانب سرى الفساد اليهن في الحال حتى اصبح النساء الطاهرات في طبقة الاشراف من النوادر

سقط النظام القديم في تربية الاسرات وجعل القانون الروماني الزوج سيد زوجته وانتدعوا صرباً جديداً من الزواج يجعل المرأة تحت تصرف ايها ولا يكون للزوج ادى سلطة عليها وكان الآباء يجبرون بناتهم بجهاز وصدقات ليجعلوهن اكتر استقلالاً .

وكان من حق الزوج وحده ان يطلق امرأته ومن العادة ان لا يحاد عن هذا الحق الا في احوال استثنائية شديدة فصار للمرأة الحق ان تترك زوجها واصبح منذ ذلك العهد من الهين اللين ان يفصم الزوجان عرى ارتباطهما ولم يعودا يحتاجان الى حكم حاكم ولا الى سبب مشروع ويكفي احد الزوجين متى استاء من زوجه ان يقول له : « احمل ما يحصك واعد لي ما املكه » وبعد الطلاق بتيسر لكل منهما بل للمرأة ايضاً ان تزوجا في الحال .

وبلغت الحال في الطبقة الرومانية العالية ان تعتبر الزواج عقداً مؤقتاً فقد تروّج سيللا بخمس نساء وقبصر باربع وبومي بخمس وانطونيوس باربع . وتزوجت ابنة شيترون من ثلاثة رجال وطلق هورتانسيون زوجته ليزوجها من احد اصدقائه

بيد ان هذا الفساد لم يصب غير اشراف رومية ومن حذا حذوهم من اهل السمة الحديثة

اما في أسرار رومية والولايات فقد حفظت قروناً آداب الدور القديم القاسية الشديدة واخذت تربية الاسرة ترق شيئاً فشيئاً والمرأة تحرر من استبداد الرجل سطء

التبدل الاجتماعي

زوال الطبقة الوسطى --- كان الشعب الروماني القديم مؤلفاً من صغار ارباب الاملاك وهم يتعاطون زراعة حقولهم بانفسهم ومن هؤلاء الفلاحين الصالحين الاقوياء يتألف الجيش والمجلس . وكان نددهم كثيراً سنة ٢٢١ خلال الحرب الفينيقية الثانية . وفي سنة ١٣٣ لم يبق منهم احد . لا حرم انه هلك منهم كثيرون في الحروب التي اعلنتها رومية على البلاد القاصية ولكن هلاكهم يحمل في الاكثر على انه كان من المتعذر عليهم البقاء . فقد كانوا يعيشون من زراعة القمح عند ما احدثت ترد على رومية حبوب صقلية وافريقية فسقطت اسعار الحنطة بحيث لم يتيسر للحرثين الايطاليين ان يستخرجوا من علاتهم ما يعدون به اسراتهم ويحملوا اعباء الخدمة العسكرية ففضي عليهم من ثم ان يبيعوا حقولهم فيبتاع كل غني من جاره الفقير ارضه فعدت الحقول الصغيرة ملكاً عظيماً لواحد وصير ارباب الاملاك من تلك الاراضي مروجاً يقيمون فيها ماشيتهم واذا عن لهم ان يررعوها يبعثون اليها برعاة وحرثين من العبيد بحيث لم يمض قليل حتى لم يبق على ارض ايطاليا الا بعض كبار ارباب الاملاك وجماعات من العبيد . وكان بلين القديم يقول ان الاملاك العظيمة قد اخطأت ايطاليا ومع هذا فالدوائر العظمى هي التي قضت في الارباب على احرار الفلاحين . فصاحب الارض القديم الذي اباع حقله لم يستطع ان يبقى اجيراً بل فضي عليه ان يتجلى عن مكانه ليحل محله العبيد وبذا اصبح دائماً على وجهه لا يعمل له ولا شغل قال فارون في رسالته في الرأية ان معظم زعماء الاسرات دخلوا بيوننا تاركين المنجل والمحراث وآبوا يؤثرون التصفيق بايديهم في الملاعب على العمل في حقولهم وكرومهم .

الطبقات الاجتماعية - ليس الشعب في رومية كاهو في يونان عبارة عن مجموع السكان بل هو مجموع الوطنيين وكل رجل ينزل أرض البلاد لا بعد وطنياً بل الوطني هو الذي له حق التمتع بحقوق الوطنية . وللوطني عدة امتيازات فله الحق وحده ان يكون عضواً في الهيئة السياسية وله الحق وحده ان يقترع في مجالس الشعب الروماني وان يخدم في الجيوش الرومانية ويحضر احتفالات رومية المقدسة وينتخب حاكماً رومانياً وهذا ما يسمونه بالحقوق العامة . وللوطني الحق وحده ان يحمي القانون الروماني ويحق له فقط ان يتزوج على طريقة مشروعة ويكون رب أسرة أي حاكماً مطلقاً على زوجته وأولاده وان يوصي بما يشاء ويبيع ويبتاع ممن يشاء وهذا ما يسمونه بالحقوق الخاصة

. ولا يحرم من لم ينالوا حق الوطنية الرومانية من الخدمة في الجيش والمجلس فقط بل لايسوغ لهم ان يكونوا ازواجاً ولا آباء ولا أصحاب أملاك مستروعة ولا ان يتقاضوا الى القانون الروماني ويحكموا في المحاكم الرومانية ولذا تألفت من الوطنيين طبقة من الاشراف بين سواد الامة من غير طبقتهم الا لا يتساوون بينهم أيضاً . فبينهم فرق في الطبقات أو كما يقول الرومان في الصفوف .

النبلاء - النبلاء هم في الصف الأول من الامة فكل وطني يعد في النبلاء اداسبق لاحد أجداده ان تولى شيئاً من امر الامة لان الحكم في رومية من علائ الشرف يبيل به من تولاه كما يكون بضعة شرف لاخلافه من بعده . اذا نصب احد من الوطنيين ناظر المملعاب والانية أو قاضياً أو قاضياً أو قاضياً تحلج عليه حلعة مطررة بالارحوان ويمج كرسياً كالعرش ويحق له ان يرسم ويصور . وهذه الصور عبارة عن تماثيل صغيرة تعمل من التمع اولاً ثم تطلي بالفضة وتجعل في مرار الدار (انريوم) بالقرب من الكاكون وارباب البيت وتجعل في محادع خاصة بها كما تجعل الاصنام ويعبدها الدرية من اهل البيت . ومتى مات احد في الاسرة يخرجون الصور ويحرموها على مركبة في موكب وأحد احد السباء المتوفى بعددصماته ويرثيه . وهذه الصور هي التي تشرف الاسرة كلما احتفظت بها وكلما كثرت الصور في أسرة تزداد شرفاً فيقولون فلان شريف بصورة او شريف بعدة صور . والاسر الشريفة في رومية قليلة جداً (ولم يكن فيها اكثر من ثلثائة امرة) لان المناصب التي تولي صاحبها ترفاً توسد في العالم الى اناس حازوا الشرف من قبل

الفرسان - تجيء طبقة الفرسان بعد طبقة النبلاء . وهم أعنياء الوطنيين الذين لم يعهد لهم حدود من الحكم فتقيد ترواتهم في سجلات الاحصاء ويبيعي ان لا يقل ما يملكه احدهم عن اربائة الف سسترس (او مئة الف فربك) منهم التجار والصيارف والمثرون وهم لا يحكمون بل يغتنون . ولهم في دور التمثيل اما كن حاصههم تقع الى ما وراء مقاعد طبقة الاشراف . وربما ساع للفراس منهم ان ينتخب حاكماً وعندها يدعوه الرجل الحديث النعمة ويصبح ابنه ترفاً

العامة - العامة هم غير طبقة الاشراف والفرسان وهم جمهور الامة ويكونون من سل اناء البلاد في ايطاليا وينقلون من فلاحين اصحاب املاك الى وطنيين رومانيين . و يعد في طبقته العبيد المعتوقون او قدماء العبيد واناءهم . ويحافظون على سميرت اصولهم ولا يقبلون في خدمة الجيش الروماني ولا ينتخبون الا بعد غيرهم . ولقد مصت ازمان وصغار ارباب الاملاك يؤلفون السواد الاعظم من الامة ويناكات الارباب تصغر من قلة

الناس عصت رومية بالواردين عليها فانها لعلها اليونان والسوريون والمصريون والآسيويون والافريقيون والاسبانيون والغالليون ممن أخذوا من بلادهم وبيعوا ببيع العبيد تم اعتقهم مواليهم فاصبحوا وطنيين ضاقت بهم المدينة فبهم كانوا شعباً حديداً ليس له من الرومانية غير اسمها

حطب سديون غازي قرطاجمة ونوماس جمهورا من الناس في احدى الساحات فقاطعه العامة باصواتهم فقال لهم : « صر ايها الابناء الادعياء المنتسبون لايطاليا زوراً فمن العبت ما نفعلون لان من جلبتهم الى رومية مقيدين لاهابهم ولو حلت قيودهم » وهذه الطبقة الجديدة من السوق تعيش بكدرها او يقضى على الحكومة ان نطمعها وقد احدثت الحكومة سنة ١٢٥ تقدم لعامة الوطنيين حنطة نصف ثمنها المعتاد تأتيها من صقلية وافر بقية . ومنذ سنة ٦٣ احدثت توزع الحنطة مجاناً وتشفعها بريت . ورأى قيصر سنة ٤٦ ان من كانوا يتناولون هذه الحراية بلغوا ٣٢٠ ألفاً

العبيد - جميع الاسرى وسكان البلد المفتوح ملك للفتح يتصرف فيهم فاذا ابى عليهم ولم يقتلهم يستعبدهم له . وهكذا كان الحق القديم . وقد ظل الرومان يعلمون به بالحرف يعاملون الاسرى كأنهم بعض الغنمة يبيعونهم من الخماسين الذين يتبعون الحيتس واذ احملوهم الى رومية فانما يحملونهم ليبيعوهم في المزاد (١) وهكذا كانوا يبيعون عقيب كل حرب الوقاً من الاسرى رجالاً ونساءً والاولاد الذين تولدوا من اسيرات يكونون اسرى كامهاتهم فالام المملوثة للرومانيين هي مادة الرقيق الروماني

العبيد ملك صاحبه فهو لا يعتبر اعتبار شخص بل اعتبار متاع فمن لم يمس له حق من الحقوق فلا يكون وطنياً ولا مالكاً ولا زوجاً ولا ابناً . قال احد الابطال في رواية هيرية رومانية . « اي شيء هذا أعرس عبيد ! ما اعجب عبداً يتزوج ! ان هذا مخالف لعادة جماع الام » .

ولكل واحد من الحقوق على عبده يرسله حيث يريد ويسعله على ما يرى بل يشغله اكثر من طاقته ويظلمه احسن طعام ويصره ويعذبه ويقتله دون ان يسأله احد عما جنى . وعلى العبد ان يخضع لرغائب سيده كلها . ويقول الرومان ان العبد لا وحدان له وان الواجب عليه ان يطيع مولاه طاعة عمياء فاذا قاوم او ابق من بيته فالحكومة تعاون سيده على قمع (١) نقام سوق الرقيق في كل مدينة ذات شأن كما نقام سوق للبقر والخيول فيعرض العبد الذي يراد بيعه على دكة وقد نيطت في عنقه بطاقة كتبت فيها سنه وصفاته وعبوه

جماحه او القبض عليه وكل من يؤوي عبدًا آبقًا تجري عليه احكام اللصوص كأنه مرق برة او حصانًا لغيره .

والعبيد في المملكة الرومانية اكثر من الاحرار ويملك اغنياء الوطنيين من عشرة الى عشرين الف عبد وعند بعضهم منهم من يكفون تجنيد جيش كامل . وكان لسليوس ايزدوروس احد قدماء العبيد زهاء اربعة آلاف عبد وكان عند هوراس سبعة ابيد فكان يشكو من فقره . ومن علائم الفقر في رومية ان لا يملك المرء سوى ثلاثة ابيد . واذ كان العبيد يعملون اسقى الاعمال او يسترسلون في البطالة مكرهين وهم ابدًا عرضة للضرب بالسياط والتعذيب اصبحوا بحسب وطهرهم اما متوحشين اغبياء او انذالاً مستعبدين ومن كان منهم على شيء من الشهامة يتخرون وغيرهم يمستون كالألة السماء . وكان التسخ كاتون كثيرًا ما يقول : على العبد دائماً ان يعمل او ينام . ومعظم العبيد يفقدون الاحساس والشرف ولذلك كانوا يقولون هذا عمل عبيد يريدون به انه دنيء رذل

الحياة السياسية

الحكام — ينتخب الشعب كل سنة رجالاً يتولون امره ويفوض اليهم السلطة المطلقة و يطلق عليهم اسم الحكام « اي ولاية الامر » فيسير امامهم حملة القؤوس يحملون حزمة من القضبان وفأساً . ومعنى هذا الرمر ان للحاكم ان يضرب ويقتل على ما يراه مناسباً ومن حق الحاكم ايضاً ان يرأس مجلسي الامة والشيوخ وان يكون له محل سيف في المحكمة ويقود الجيوش وهو السيد المسود في كل مكان فيجمع المجلس ويفضه بحسب ما يرى ويصدر الاحكام برأيه وحده .

وفي زمن الحرب يفعل ما يشاء بالجند ويقتلهم دون الرجوع الى رأي ضباطهم . وقد كان مافليوس القائد الروماني في احدى الحروب التي أعلنت على اللاتين حظر على الخنود الخروج من المعسكر فدعا احد القاتلين من جيش العدو انه الى المبارزة تخرج لبرازه وقته فلم يعم مافليوس ان قبض على ابنه واعدمه في الحال .

وللحاكم بحسب التعبير الروماني سلطة ملك ولكن هذه السلطة قصيرة موزعة وذلك لانه لا ينتخب الالسة واحدة وله رصفاء لهم مثل سلطته في رومية قنصلان او حاكمان يتوليان امر الامة وقيادة الجيش وفيها عدة قضاة يتولون الحكم او القيادة بالنيابة وبصرون الاحكام وهناك كثير من الحكام ومراقبان واربعة نظار للابنية والملاعب للنظر في الطرق العامة والاسواق وعشرة محامين عن حقوق السوق وصيارفة يتولون النظر في خزائن المملكة الاحصاء — ارقى الحكام هما الوكيلان المسيطران وهما مكلفان كل خمس سنين

بنظيم احصاء للتعب الروماني فيتمثل امام المكافين باحصاء جميع ابناء البلاد ليدكر والها
 وهم يقسمون الايمانات — اسماءهم وعدد اولادهم وعبيدهم ومقدار ثروتهم يقيد كل ذلك في
 سجلات خاصة . والقائم بالاحصاء الامة ها اللذان يكتبان قائمة باسماء اعضاء مجلس
 الشيوخ والفرسان والوطنيين ويحددان لكل واحد مقامه في المدينة ثم هما مكلفان ايضاً
 بان يحفظا احتفال الثريا وهي حفلة عظمى تقام للتزكية كل خمس سنين فيجتمع ذاك اليوم
 عامة الوطنيين في ساحة الميخ اجتماعهم في حرب ويطوفون ثلاث مرات حول المجلس يحملون
 ثلاث صحايا للتكبر عن السيئات وهي عبارة عن تور وعجوة وخدير يحرقونها ويرشون المجلس
 بدمها وبذلك تصبح المدينة مزكاة مطهرة وسلماء مع الارباب .

وللقائمين بالاحصاء الحق ان يقيدا وان يجعلا كل انسان في المنزلة التي يربانها ولها
 ان يجردا احد الشيوخ باسقاطه من قائمة مجلس الشيوخ وان لا يحسب احد الفرسان في جملة
 اهل طبقته او يجردان احد الوطنيين بان يخذفا اسمه من سجلات القبائل . ويسهل عليهما
 عقاب من يرهنهم مجرمين ويتجاوزان عن السيئات التي لا تنقذ بمنطوق القانون . ولطالما
 رأوها يجردان والوطنيين لانهم لم يجدوا التوفر على حقولهم ولصرفهم كثيراً على خدمهم ويتجنوا
 احد الشيوخ لانه كان يملك عشرين ليرات من الاواني الفضية واحر لانه اهمل تعهد قبور
 اجداده . وغيره لانه طلق زوجته . هذه السلطة المفرطة هي ما يطلق الرومان عليه
 « حكومة الاخلاق » فوكيلا الاحصاء هما سيدا المدينة على الجملة .

حلسة مجلس الشيوخ — يتألف مجلس الشيوخ من نحو ثلثمائة رجل يعينهم وكيل الاحصاء
 الا ان هذا لا ينصبهم كيفما اتفق فلا ينتخب من ابناء البلاد الا الاعنياء اصحاب المكنانة
 وسلالة الاسرات الكبرى ومعظمهم من قدماء الحكام ويختار على الاعل دائماً اناساً كانوا
 في المجلس من قبل بحيث ان عصو مجلس الشيوخ ببق في هذا المصب طول حياته . فيجلس
 الشيوخ هو محل اجتماعهم رجال رومية ولذلك كانت لهم سلطة وسطوة

فاذا حدث امر يجمع احد الحكام اعضاء الشيوخ في احد المعابدو يعرض عليهم المسألة
 ثم يسألهم رأيهم فيها فيجيبه كل واحد بمفرده مراعين في ذلك مراتبهم في الشرف وهذا ما
 يدعى اخذ رأي مجلس الشيوخ ويسطر الحاكم بعد ذلك رأي الاكثرية وهذا ما يسمونه
 مرسوم ديوان الاعيان او الشيوخ ويكون قرارهم عبارة عن رأي لان ليس من حق مجلس
 الشيوخ ان يقن القوانين . بيد ان رومية تعمل بهذا الرأي عملها بأمر مفروض . وللشعب
 ثقة بشيوخه لعلمه بانهم اكثر خبرة منه ولا يجزأ الحكم على مقاومة مجلس مؤلف من
 اكفاء يساوونهم في الشرف . ولذلك كان المجلس يفض جميع المسائل فيقرر الحرب ويعين

عدد الحيوس ويقبل السفراء ويعقد السلم ويفرض الدخل والخرج فيصدق الشعب على قراراتهم والحكام ينفذونها . وفي سنة ٢٠٠ قرر مجلس الشيوخ اعلان الحرب على ملك مكذوبية فاجس الشعب خيفة ولم يوافق على ذلك فصدر امر مجلس الشيوخ بجمع المجامع من جديد وان يلقي عليهم خطاب يكون ابلغ في اقناعهم من الخطاب الاول وعندها لم يسمع الشعب الا الموافقة . وبذلك رأيت ان الشعب في رومية كان يحكم كما يحكم الملك في انكلترا ولكن كان الحكم لمجلس الشيوخ

المجالس والانتخابات - تسمى حكومة رومية « الجمهورية » اي متاع الشعب وجماعة الوطنيين المدعوين شعباً كأهم سادة مسبقون في المملكة فمنهم الذين ينتخبون الحكام ويوافقون على الحرب والسلام ويسنون الترائع ويقول الفقهاء ان القانون هو امر به الشعب والتعب في رومية كما في آتينة لا يعين نوابا وعليه ان يوافق على كل شيء نفسه حتى ان حكومة رومية بعد ان قبلت في المدينة زهاء خمسمائة الف رجل كانوا مشتتين في اطراف ايطاليا كلها اضطر الوطنيين للحصول على حقوقهم ان يحضروا بالذات الى رومية .

ويجتمع الشعب في الساحة ويسمى المجلس « المجتمعات » يدعو الحاكم الى الائتنام براسته وكثيراً ما يدعى الوطنيين الى الاحتجاج بصوت البوق فيذهبون الى ميدان العمل (ساحة المريج) يصطفون فرقاً تظلمهم اعلامهم وعندها يتألف منهم مجتمعات ذات فرق وكثيراً ما يجتمعون في ساحة السوق « الفوروم » منقسمين الى ٣٥ جماعة يسمونها القبائل فتدخل كل قبيلة في نوبتها الى مكان مسور بسدود لتوافق على ما تقرر به وتسمى المجتمعات بحسب القبائل . والحاكم الذي جمع المجلس يبين له المسألة التي يجب عليه الموافقة عليها ومتى فعل ينفذ . فمن تم كان الشعب حاكماً ولكنه اعتاد الخضوع لرعاياه .

والمجلس ايضاً هو الذي يختار كل سنة الحكام فينتخب بحسب الفرق جميع الحكام الذين كان انتخابهم الشعب قديماً مثل القضاة والقضاة وكلاء الاحصاء ونظار الابنية والملاعب . ومجلس القبائل ينتخب حكام اهل الطبقة المتوسطة ومحامي الشعب ونظار ابنية الشعب . وقد ضاقت ساحة الفوروم منذ القرن الثاني فاخذت تجتمع جميع مجالس الانتخابات في ساحة المريج تنقسم الرحبة بجواجز ذات مرايض صغيرة تلقب بجدران الغنم فنقطع كل قبيلة الى احدى تلك الرحاب وتلاحظ كل قبيلة اكثريه الوطنيين في التصويت اذ ليس لكل قبيلة غير صوت واحد .

سلك المناصب - ليس تولي الحكم او المتشيخة عن الامة في رومية صناعة من الصناعات فان الحكام والشيوخ بصرفون وقتهم ومالهم دون ان ينالوا اجراً فمنصب الحكم في رومية

يعدُّ من دواعي الشرف فلا يتطالُّ اليه عبر الاشراف او الفرسان على الاقل على شرط ان يكونوا اعياء ثم لا يطمع امرؤ ان يبلغ ارق مناصب الحكم الا بعد ان ينقلب في المناصب الاخرى ومن اراد يوماً ان يحكم على رومية يجب عليه أولاً ان تكون له في الجيش عترة وقائع وحملات وبعدها يسوع له ان ينتخب صرافاً فيعهد اليه النظر في احدى خزائن المملكة . ثم يصير ناظرًا للابنية والملاعب فينظر في امور الشرطة والبياعات وبعد ذلك ينتخب قاضياً ليجري احكام العدل وعقيب ذلك يصبح قنصلاً فيقود جيئاً ويرأس المجالس وعندئذ تمده نفسه بان يكون وكيل احصاء وهذه هي الدرجة التي دونها في العلوكل درجة لا يبلغها المرء قبل ان يبلغ الحسنيين من العمر . فتري بهذا ان رجلاً واحداً يكون مالياً وادارياً وقاضياً وقائداً وحاكماً قبل ان يتولى وظيفة وكيل الاحصاء الغريبة وهي عبارة عن تنظيم المجتمع وتسمى سلسلة هذه الوظائف سلك المناصب ولا تدوم كل وظيفة من هذه الوظائف الاسنة واحدة وللارقاء للوظيفة التالية بقنصي انتخاب جديد . ويجب على الموظف في خلال السنة التي تتقدم انتخابه ان يظهر في الشوارع بلا انقطاع ويسير كما يقول الرومان او يطعم في امتياز المنصب وان يلتمس اصوات الشعب والعادة في حلال هذه المدة ان يلبس حلة بيضاء وهذا معنى مرتج بالغات الافرنجية اي المكتسي بالبياض .

ادارة الولايات

التعوب الخاضعة — ما انقضى القرن الاول قبل المسيح الا وقد احضعت رومية عامة الافطار الواقعة حول البحر الرومي منذ اسبانيا الى آسيا الصغرى ولم تضاف هذه البلاد الى المملكة الرومانية ولم يصبح سكانها وطنيين رومانيين ولم تغد ارضهم ارضاً رومانية بل ظلوا غرباء وانضموا فقط الى هذه المملكة اي اهم اصبحوا تحت استيلاء الشعب الروماني كما ان الهنود اليوم ليسوا وطنيين انكليزاً بل هم رعايا انكلترا والهند جزء لا من انكلترا بل من المملكة الانكليزية فقط

فلا يصبح سكان البلاد المملوكة وطنيين في رومية بل يبقون غرباء اجانب ولكنهم رعايا الشعب الروماني يؤدون اليهم الجزية وعشر غلاتهم واثاوة من المال ورسماً على كل رأس وعليهم ان يخضعوا لجماع ما يأمر ونهجه به واذا ليس في استطاعة الشعب ان يحكم بالذات ليعت محكام يبندهم لان يحكموا عنه وكل بلد خاضع لوال كان يسمى ولاية ومعناها «العمة» كان في اواخر عهد الجمهورية (في سنة ٤٦) ١٧ ولاية منها عشر في اوروبا وخمس في آسيا وتنتان في افرقية ومعظمها منثائية الاطراف جداً فلم تكن بلاد الغال كلها سوى اربع ولايات واسبانيا ولايتين . قال شيشرون ان الولايات املاك الشعب الروماني فاذا اخضع

هذه الشعوب بأسرها فذلك طمعاً في فائدتها لا لاجل منفعتها . ولذلك لا يتوحي ان يدير تلك الولايات بل يحرص على استئثارها .

الولاية — يتخذ الشعب حاكماً لإدارة كل ولاية وهو اما ان يكون قنصلاً او قاضياً حرج من الوظيفة فيطيل امد سلطته و ليس هذا الموظف الكبير قنصلاً بل هو وال ينزب عن القنصل والوالي كما للقنصل سلطة مطلقة يسير فيها على هواه لانه وحيد في ولايته (١) وليس لديه حكام آخرون ينازعونه السلطة ولا محامون عن الطبقة الوسطى ليصدوه عما يريد ولا مجلس شيوخ يسيطر على اعماله فهو وحده بقود الحيوس ويحملهم على القتال ويرل بهم حيثما يشاء فيتخذ له مقاماً في محكمته حاكماً ، الغرامة والسجن والموت ويصدر اوامر تكون قانوناً متبعاً وله وحده السلطة المالية لان فيه تجسد الشعب الروماني

وكان هذا الحاكم الذي لا يقاومه مقاوم مستنداً حقيقياً فيقبض على من يريد ويحبس ويضرب بالعصي ويعدم من لا تروقه حالتهم واليك ممالا من ألوف الامثلة التي كانت الحكام يجرون فيها مع الهوى كما رآه احد خطباء الرومان قال . " جاء القنصل مؤحراً الى تيانوم فخطر لامرأته ان تلد بالاستحمام في حمامات الرجال فاحرج من الحمام الرجال الذين كانوا يستحمون فيه فتكت المرأة من انطائهم وقلة استعداد الحمام فنصب القنصل عموداً في الساحة العامة واحصر اشهر رجل في المدينة يجعله عليه فحرد من يباه وصرب بالعصي " والوالي يأخذ من ولايته ما يستطيع من المال وينظر اليها كأنها ملك له ولا تعوزه الوسائط لاستئثارها بل يد يديه الى حرائن المدن ويرع التمايل والحلي الموصوعة في المعاهد ويحجي من السكان الاعبياء اتاوات من المال او البر . واد كان له الحق ان يرل حدوده حيث اراد فالمند تقدم له المال لتعفى من قبول حدوده واد كان في حل من ان يعدم كل من يترأى له فالافراد يعطونه المال ليأمنوا عائلته . واد اطلب شيئاً معيناً او مبلغاً من المال يجاب في الحال الى ما طلب ولا يجراً امروء ان يأبى عليه طلبه . واتباعه يسرون على مثاله وينهبون باسمه بل يحايمته ويسرع الوالي في جمع المال اد الواجب عليه ان يعتني في سنة وبعدها يعود الى رومية ويحمله آخر يعود بمثل ما بدأ فيه سلفه .

على ان هناك قانوناً يحظر على كل وال ان يقبل هدية ومحكمة مخصوصة (منذ سنة ١٤٩) نظري في دعاوي الاحتلال . بيد ان هذه المحكمة تؤلف من طبقة الاشراف والفرسان الرومانيين فلا يرون ان يحكموا على ابن لدمم والعاقبة المهمة في هذه الطريقة كما قال سينيرون

(١) كانت تبقي رومية في بلاد الشرق بعض اقبال اي ملوك صغار مثل الملك هبرو في بلاد اليهودية ولكنهم يؤدون الجزية ويخضعون للحاكم او الوالي الروماني .

ان يضطر الوالي الى السلب من ولايته ليتسنى له ان يرشي المحلفين في المحكمة ولا ينبغي العجب اذا رأينا اسم الوالي مرادفاً لاسم مستبد ومن أشهر هؤلاء اللصوص فيريس والي صقلية وقاضيا وقد حطب في بيان اعماله الخطيب تيشرون لاسباب سياسية خطباً استمر بهار من المحتمل ان كثيرين مثله قد اتوا ما اتاه .

العتارون — كان للشعب الروماني في كل ولاية مواد مهمة من الجمارك والمناجم والصرائب والحقول الخ الحقة لزرع الحنطة والمراعي يؤجرونها من شركات متعهدين يستمونيهم العتارين فكان هؤلاء مثل المزارعين العموميين في فرنسا قديماً يتعاونون من الحكومة حتى جباية الحراج ويجب على سكان الولايات أن يطيعوهم كأنهم وفود الشعب الروماني وكان في كل ولاية عدة شركات من العتارين ولكل شركة مستخدمون من الكتاب والحياة يظهر في مطهر السادة ويناولون أكثر مما يجب لهم أخذه ويسلبون نعمة الاهلين وكثيراً ما يبيعونهم كما يباع الرقيق وكانوا يأخذون في آسيا حتى السكان بدون سبب ولما طلب مار يوس من ملك بيننيا ان يقدم له جنداً أجابه الملك ان العتارين لم يبقوا عنده من الرعايا غير النساء والاطفال والشيوخ وقد عرف الرومان هذه المظالم حتى معرفتها وكتب الخطيب تيشرون الى ابيه وكان هذا حاكماً اذ ذاك . « اذا وفقت الى طريقة ترصي بها العتارين دون ان تهلك سكان الولايات فتكون قد رزقت مهارة رب » بيد ان العتارين كانوا قضاة في محاكمهم حتى ان الولاة انهم حاضعون لهم . وقد اراد سكاروس والي آسيا المشهور بالافراط في العفة ان يمنع العتارين من اطلاق اليد الا في ولايته فلما عاد الى رومية رفعوا عليه شكوى وحكموا عليه

ولطالما اتار العتارون سخط سكان الشرق الحاضعين الساكنين فقد ذبحوا بامر ميتريداتس في ليلة واحدة مئة الف روماني وبعد ثلثين اي على عهد المسيح كان اسم عتار مردفاً لاسم لص .

الصيارف — جمع الرومان في بلادهم تروة الامم المغلوبة ولذلك كانت الدراهم كثيرة جداً في رومية ونادرة جداً في الولايات فكان في رومية يمكن الاقتراض بفائدة اربعة او خمسة في المئة اما في الولايات فلا يجد المستدين مالاً يقترضه ناقل من اثني عشر في المئة . وكان الصيارفة الرومان يقترضون مالا من رومية ويقرضونه للولايات ولا سيما باسم الملوك او المدن

واذا لم يستطع المستدين ان يوفي رأس المال ورياه يعمد الصيارفة في نقاضي اموالهم الى الطرق التي يستعملها العتارون فقد اقترضت مدن آسيا سنة ٨٤ على نية ان تدفع مبالغاً

كبيراً لتستعين به على الحرب فبعد أربع عشرة سنة فقط أي في سنة ٧٠ صار المبلغ نفوانده ستة اضعاف ما كان فاضطر الصيارفة مدن آسيا ان تبيع حتى التحف والطرف وقد شوهد اوان يبيعان اثناءهما وبناتهما . وبعد بضع سنين افرض برونوس من حكماء الرواقين ومن اشهر رجال عصره من الرومان واعلاهم كعباً ومكانة لمدينة سلامينة في قبرص مبلغاً من المال فائدة ٤٨ في المئة (أي ٤ في المئة كل شهر) فلما طالب وكيله سكانتيوس بالمال مع فائضه تعذر على المدينة ان تؤدى اليه مطلوبه فقصد سكانتيوس الوالي ابيوس فاصحبه هذا بفرقة من الفرسان فجاء الى سلامينة وحاصر مجلس شيوخها وكان اعضاؤه في قاعة الحلسات فمات خمسة منهم جوعاً

رعايا رومية — كان سكان الولايات لاحول لهم ولا طول مع هؤلاء الظالمين باسرههم وذلك لان الولاة كانوا يمالئون العسارين والصيارفة على رغائبهم وبأحدون بايديهم في كل ما يطلبونه ووراء الوالي الجيش والتعب الروماني بعصده فمكان يسمح للوطي الروماني ان يتسكى السلابين في الولايات ولكن لايس الوالي بأذى ولا تتأني شكاية الا مرة واحدة عند ما يخرج من الخدمة فيصير عليه الرعايا يسلمهم ويعتدي كما يشاء ريثما تنقضي مدته وادا اتهم عند عودته اذ رومية فتكون محاكمته امام محكمة مؤلفة من الاشراف والعسارين ممن تكون مصلحةهم في معاضدته لافي احقاق الحق ورمع ظلامة اهل الولاية التي كان فيها واذا صادف ان حكمت عليه المحكمة يستعيض عن الحكم بالنفي فيذهب الى احدى مدن ايطاليا تتمتع بما نهيه ايام ولايته وهذا القصاص لا يوازي ما اتاه التنة ولا بعد انتقاماً ولذلك كنت ترى سكان الولايات يؤثرون ان يقيموا ولاتهم بمصوعهم لم فيعاملهم كما يعاملون الملوك ويناقضهم ويهادونهم ويقيمون لهم التماثيل وربما نصبوا للوالي في آسيا هياكل (١) وبنوا لهم المعابد وعبدوهم كما يعبد الرب

ولئن عامل الشعب الروماني رعاياه بقسوة فلم يكن بأذى عليهم الاصلام اليه كما كان شأن المدن اليونانية بل ان الغريب يصبح وطنياً رومانياً اذ ارادة الشعب الروماني والشعب يمنح هذه العاطفة احياناً وكثيراً ما يمنحها الى شعب برمته فمنح حق الوطنية الرومانية الى اللاتين اولاً في سنة ٨٩ ومنح هذا الحق للظليان في سنة ٤٦ ومنحه لاهل االيا فاصبح سكان ايطاليا والرومانيين سواء حتى ان العبد الذي يعتقه سيده يسوع له ان يكون وطنياً في الحال . وكما عرضت للشعب الروماني عوارض الضعف ونقص في الانفس يريد عدده

(١) ذكر شيشرون الخطيب الروماني المعابد التي اقامها له سكان سيسليا التي كانت والياً عليها .

برعايا جدد وعبيد جدد فكان عدد الوطنيين يريد في كل احصاء ولا ينقص فبلغ عددهم في قرنين من ٢٥٠ ألفاً الى ٧٠٠ ألف . وهكذا ظلت رومية عاصمة بالسكان ولم تحل منهم كما حلت اسبارطة بل كانت تمتلئ بالقادمين اليها من المعلومين على التدرج .

قانون الاراضي

الاملاك العامة - متى طلب شعب تلبنه رومية على امره ان يعقد معها الصلح يجب على نوابه ان يلفظوا بالجملة الآتية « نتخلّى لكم عن السبع والمدينة واخقول والمياه وقاتيل الارباب الحامية للحدود والالات وجميع ما يملكه الارباب والناس قد جعلناه بيد الشعب الروماني » وهذا التسجيل يصبح الامة الرومانية مالكة لما يملكه المعلومون لهم باسمه بل مالكة حتى لا تشاخصهم . وكثيراً ما يبيعون السكان وقد اباع نولس اميل مئة وحسين الفا من اهل اير على هذه الصورة كانوا استسلموا اليه . ومن العادة ان تمنح رومية لمن تغلب عليهم حريتهم وان تبقى املاكهم ملكاً للشعب الروماني يجمعونها ثلاث حصص متساوية . فيعطى للاهالي قسم من اراضيهم على ان يدفعوا شيئاً معلوماً من المال او الحبوب عنها وتحفظ رومية لنفسها الحق ان تأخذ منها كما تشاء . وتؤجر الحقول والمراعي الى اناس من الملتزمين وتترك الاراضي البائرة شاغرة بأحدها من يريد ويحق اكل وطني روماني ان يقيم فيها ويرعيا .

قوانين العقارات - شملت قوانين الاراضي التي احتلها نظام رومية الاملاك العامة وما كان لاحد الرومان ان يحظر في ناله بيع الاملاك من اربانها لان حدود تلك الاملاك نفسها كانت ارباناً يدعوها آلهة التخوم والدين يمنع من ترعها . الا ان الشعب كان يستولي بموجب قانون الاراضي على اراض من الاملاك العامة فقط يوزعها بصفة ملك على مواطنيه وللشعب من حيث الشرع الحق في ذلك لان الاراضي كلها ملكه الا ان الرومانيين تسامحوا قرونا بان تركوا اناسا من رعاياهم او ابناء وطنهم يتمتعون بقلات تلك الاراضي وقد انتهت بهم الحال ان صاروا ينظرون الى تلك الاراضي كأنها ملكهم يحبسونها وبيعونها وبتاعتونها ولو أحدث منهم اقصى على جمهور عظيم من الامة بالافلاس في الحال . وقد حدث في ايطاليا خاصة ان يبرع من اهل مدينة باسمها جميع ما يملكون . هكذا برع اغسطس جميع اراضي ماتو من سكانها وكان الشاعر فرجيل في جملة المتكويين فنوصل بفضل شعره الى ان تعاد الهاملاكه ولكن سائر الشعب الذي لم يكن شاعراً كفرجيل بقي مسلوناً من املاكه . وتوزع هذه الاراضي المأخوذة على تلك الصفة احياناً على اناس من فقراء الوطنيين في رومية وفي الاعاب على جماعة من قدماء الجند وقد وزع سيللا اراضي اهل ايتروربا على ٢٠ ألفاً من قدماء الاجناد .

الاخوان الاشتراكيان — كان الشقيقان تيربوس وكابوس غراشوس من اشرف أسرات رومية ولكن حاول احدهما بعد الآخر وقد تولى زعامة السوق ان يبرع الحكومة من يد الاشراف الذين يتألف منهم مجلس الشيوخ .

وكان في ذاك العهد في رومية بل في ايطاليا جمهور كبير من الوطنيين لا سبد لهم ولا لبد يطمحون الى احداث ثورة ومنهم الاعنياء ومعظمهم من طبقة الفرسان الذين يسكنون من حرماتهم من الحكومة . فعرض تيربوس غراشوس نفسه على ان يتولى الدفاع عن العامة وسعى الى توطيد سلطته هذه وكان في قلق مما يراه في بلاد الاريايف في ايطاليا من اقامة الرعاة العبيد يحلفون قدماء اصحاب الاملاك العلاحين ومن رؤية رومية غاصة اناس من الوطنيين لا يملكون تتيلاً ولا نقيراً

قال مرة في خطاب له يحاطب به العامة . « للوحوش البرية في ايطاليا معاور تأوي اليها والرجال الذين يهريقون دماءهم في الدفاع عن بضة ايطاليا ليس لهم الا النور والهواء الذي يستنشقونه يهيئون على وجوههم مع ارواجهم وانشائهم لا بيوت تؤويهم ولا منازل يسكنونها . الا وان القواد الذين يحرضونهم على الدفاع عن مدائنهم ومعابدهم ليكذبون في اقوالهم . وليت شعري هل ملك واحد منهم حتى الآن مذبحاً مقدساً في بيته ومدفنّاً يصم رفات اجداده . بدعوتهم سادة الارض وهم لا يملكون مدرة منها »

فافترح على الشعب . من قانون للاراضي وذلك بان تأخذ الحكومة من الافراد جميع الاراضي التي هي من المنافع العامة فتضع يديها عليها وبترك لكل فرد منهم حصة ودان . يوزع الباقي من الاراضي حصصاً صغيرة على فقراء الوطنيين فوافق المجلس على هذا القانون فحدث ذلك اضطراب عام في نظام التروات لان معظم اراضي المملكة على التقريب كانت من الاملاك العامة ولكن وضع الواضعون ايديهم عليها واعتادوا ان يعتبروا انفسهم مالكيها . على انه كان كثيراً ما يصعب التمييز بين الملك الخاص والملك العام اد لم يكن للرومانيين سجلات للاراضي .

فاقام تيربوس ثلاثة مفوضين عهد اليهم قسمة الاراضي كما ان الشعب أعطاهم سلطة مطلقة . وكان هؤلاء المفوضون هم تيربوس نفسه وأخوه وعمه . فقام حصوم تيربوس يتهمونه بانه سن قانون الاراضي ليتخذ من ذلك حجة لتكون له بها السلطة . فمضت سنة وهو اليد المتحكم في رومية ولكنه لما أراد ان ينتخب محامياً من العامة عن السنة التالية اقام أعداؤه الحجة (وهذا كان منافياً للعادات المتبعة) فمستات من ذلك فتنة انتهت

بأستيلاء تيربوس وأصحابه على معبد الكابثول فنهض أنصار مجلس الشيوخ وعبيدهم مسلمين بالدبايس وخشب المقاعد وطاردوا تيربوس واتباعه وضربوه (١٣٣) و بعد عشر سنين انتخب كايوس أصغر الاخوين غراشوس محامياً عن الشعب (١٢٥) و جدد التصديق على قانون الاراضي وقرر توزيع حنطة على فقراء الوطنيين وقرر ان يجري انتخاب القضاة من طبقة الفرسان ليتوصل بذلك الى هدم سلطة الاشراف فكانت كلمته هي العليا مدة حولين كاملين ولكنه لما قصد قرطاجنة ليسكن فيها جماعة من الطواريء (المستعمرين) الوطنيين تخلى الشعب عنه مدة غيابه حتى اذا عاد لم يتيسر له ان يعاد انتخابه اذ كان اعداؤه اعتموا تلك الفرصة للتخلص منه وعندها أمر الحاكم بتسليم أشياع مجلس الشيوخ و زحف على كايوس وأحبابه وكانوا اعتصموا في جبل افتتن فقتل كايوس بيد احد العبيد وذبح أشياعه أو اعدموا في السجون ونقضوا بيوتهم من أسسها وصادروا املاكهم (١٢١)

ماريوس وسيللا

لم يكن النزاع بين الشقيقتين غراشوس ومجلس الشيوخ الا عبارة عن هرج في سوارع رومية ينهي بفتنة نشأ بين العصابات المسلحة على عمل اما التين التي حدثت بعد فكانت حروباً حقيقية بين جيوش منظمة وكان رؤساء الاحزاب من القواد الحروب المدنية - ليس الشعب الروماني سوى مجموع فقراء لاعمل لهم وما الجيش الا حفنة من المتشردين نزاع الآفاق فلا المجلس ولا الكتائب خاضعة لمجلس الشيوخ لان الاشراف الفاسدين فقدوا كل سلطة اذ لم يبق ثمة سوى قوة حقيقية واحدة ونعني بها المجلس ولم يبق سطوة الا للقواد وقد أبى القواد ان يخضعوا فتعذر الحكم بواسطة مجلس الشيوخ حتى أصبح بيد القائد . وغدت الثورة لامناص منها ولكنها لم تنشأ دفعة واحدة بل تحمرت زهاء مئة سنة وكان مجلس الشيوخ يقاوم وقد امسى من الضعف بحيث لا يتيسر له ان يجري الاحكام بذاته على انه مازال على شيء من القوة تحول دون غيره من القبض على قياد الامة والقواد يتنازعون بينهم فمن يكون السيد المتحكم وهكذا قضى الرومانيون قرناً يخبطون في الفتن والحروب المدنية

ماريوس - كان اصل ماريوس القائد الاول الذي جعل جيشه تحت أمره في رومية من اربينوم وهي مدينة جبلية صغيرة ولم يكن من سلالة شريفة واشتهر بأنه ضابط والتجرب محامياً عن العامة ثم قاضياً بمساعدة الاشراف له . ثم انتخب عليهم وانتخب قنصلاً وعهدت اليه محاربة جوكورتا ملك التوميديين الذي بدد شمل عدة جيوش رومانية

وعندها جند ماريوس جماعة من فقراء الوطنيين من اصبحت الخدمة العسكرية صناعتهم فتغلب ماريوس بجيشه على جوكورتا واهلك الشعوب البربرية كالسمرين والتوتون ممن اغاروا على غاليا واطاليا الشمالية . واذ لم يكن للشعب ثقة في غيره اقيادة الجيش انخبه قنصلاً ست مرات متوالية خلافاً للقوانين المنبذة

عاد الى رومية بعد هذه الانتصارات فاصبح مطلق اليد في الحكومة وعندئذ تألف في تلك العاصمة حزبان دعيا انفسهما باسم حزب الشعب (وهو حزب ماريوس) وحزب الاشراف (وهو حزب مجلس الشيوخ)

الحرب الاجتماعية - ارتكب اشياح ماريوس من الفظائع ما انتهى بتلويث شهرته بين الناس فاغتنم أحد الاشراف من أسرة كورنيوليوس الكبيرة واسمه سيللا هذه الفرصة لينازعه السلطة وكان هو أيضاً من جملة القواد . وفي خلال ذلك استشاط الطليان غيظاً من قيامهم بمثل مايقوم به الرومانيون من التكاليف دون ان يكون لهم مثل امتيازاتهم وفعروا الى مقاومته لينالوا حقوقهم المدنية وهذا مادعوه بالحرب الاجتماعية أي حرب مقاومة التحالفين لجيشواجيوشاً كبيرة تقدم احداها على مقررة من رومية وكان سيللا هو الذي انقذ رومية بقتاله الطليان أشد قتال . وبعد حرب دامت سنتين (٩١ - ٨٩) خضع الطليان بيد انهم نالوا ماطلبوه وعدوا وطنيين رومانيين

سيللا - طارت شهرة سيللا في هذه الحرب فنصب قنصلاً وعهد اليه ان يزحف على ملك بحر الخزميتربدانس الذي اعار على آسيا الصغرى وذبح فيها الرومانيين عن بكرة ابيهم (٨٨) فحمل الحسد ماريوس على ان يتيرفتنة في رومية فخرج سيللا للاتحاق بجيشه الذي كان ينظره في ايطاليا الجنوبية وعاد معه وكان الدين الروماني يحظر على الجنود الدخول الى المدينة وعليهم السلحطيم وعلى الحاكم نفسه قبل ان يحتاز الباب ان يخلع عنه رداء الحرب ويلبس الحلة الرومانية فكان سيللا القائد الاول الذي حسر على خرق سياج هذا المنع ودخل الى رومية فانهزم ماريوس امامه .

ولما وصل سيللا الى آسيا عاد ماريوس في جيش له من المنشردين ودخل رومية بالقوة (٨٧) وعندئذ بديء بقتل المعتدين قبل محاكمتهم وجعل خاصة اشياح سيللا تحت الاحكام العرفية بل صدرت اوامر الحكومة ان يقتلوا حيثما وجدوا وصودرت اموالهم ومات ماريوس بعد بضعة اشهر وظل سينالهم انصاره يجري احكامه في رومية ويقتل كل من لائتروقه حالته وكان سيللا في خلال هذه المدة قد تغلب على ميتربدانس وضمن اخلاص جنده له بان اباح لهم نهب آسيا على ما يشاءون . وقد عاد (٨٣) سيف جيشه الى ايطاليا

فبعث عليه خصومه بخمسة جيوش فانهزم بعضها وانحاز الآخر اليه ثم دخل سيللا الى رومية وذبح الاسرى وحنق انصار ماريوس .

الاحكام العرفية — بعد ان مضت بضعة ايام في المذايح شرع سيللا بنفذ الاحكام العسكرية على الاصول وعلق ثلاث قوائم باسماء من يريداهلا بهم قال : « اعلنت اسماء جميع من ذكرتهم وقد نسيت كثير منهم وسأعلن اسماءهم كلها حطروا في مالي » وكل من علق اسمه في قائمة المحكوم عليهم كان معداً للقتل ومن اتى برأسه ينال مكافأة وتصادر اموال القاتل وكان يقتل الواحد بدون محاكمة بل تخرد هوى القائد وبدون ان يندر بالقتل . وعلى هذا الوجه لم يكتف سيللا بذبح اعدائه فقط بل قتل الاعنياء الذين كان يطعم في زوتهم و يروى ان احد الوطنيين البعيدين عن السياسة نظر وهو مار الى قائمة المحكوم عليهم بالقتل فرأى اسمه مسطوراً في اول القائمة وهتف قائلاً : « ما اتعـني فقد قتلي بقي في آل » و يقال ان سيللا قتل الما وتمائة الف فارس .

قوانين سيللا — بعد ان تحلص سيللا من خصومه حاول ان ينظم حكومة تكون الكلمة فيها لمجلس الشيوخ . فعليه حاكماً مطلقاً (ديكتاتور) ويطلق هذا اللقب قديماً على القواد في ايام السده والخطر من تكون لهم السلطة المطلقة واستخدم سيللا هذه السلطة ليسن قوانين تغير النظام الدستوري القديم وذلك بان يتخ القضاة بموجب هذا القانون من مجلس الشيوخ ولا تحري المرافقة في قانون قبل ان يوافق عليه مجلس الشيوخ ولا يحق لمحامي التمتع به ان يقترحوا شيئاً . وبعد هذه الاصلاحات التي خولت مجلس الشيوخ سلطة مطلقة اسنقال سيللا من منصبه واحذ نفسه بالانقطاع الى داره والعيش في العزلة (٧٩) وكان يعرف بانه في مأمن اد كان له مائة الف من جنوده في ايطاليا .

بومبي

بومبي — عاد مجلس الشيوخ فقبض على السلطة لانه حسن في رأي سيللان يعيدها اليه ولكنه لم يكن له من القوة ما يستطيع معه المحافظة على تلك السلطة متى قام احد القواد ينازعه اباها . ودامت حكومة مجلس الشيوخ ايضاً في الظاهر اكثر من ثلاثين سنة وذلك لانه كان ثمة عدة قواد وكل منهم يحول دون حظه ان يستأثر بالحول والطول . ولما هلك سيللا كان في البلاد اربعة جيوش على قدم الاستعداد اثنان منها خاضعان لقائدين من انصار مجلس الشيوخ وهما كراسوس وبومبي والاخران بقيادة قائدين حصيين لمجلس الشيوخ وهما لبيدوس في ايطاليا وسرتوريوس في اسبانيا . والمأثور انه لم يكن احد في تلك الجيوش على استعداد ونظام وان ليس في اولئك القواد حاكم له الحق بقيادة الجند .

وكان القواد الى ذاك العهد ابدآ من القناصل اما الآن فاصبحوا من الافراد ينضم اليهم الجند لايخدموا الجمهورية الرومانية بل ليقتنوا سلب الاهلين .

ولقد اهزمت جيوش خصوم مجلس الشيوخ وبقي القائدان كراسوس وبومبي وحدهما وانفقا بينهما على الزعامة وجري اتخامهما قنصلين .

سبارتا كوس — تكرر حدوث عصيان العبيد مرات (حروب العبيد) وكان ذلك في الاعلب في جزيرة صقلية وجنوبي ايطاليا حيث كان العبيد يحملون السلاح لحراسة القطعان . وبعد ان ولي الولاية القائدان كراسوس وبومبي بدأت اشهر تلك الحروب وذلك ان عصاة مؤلفة من ٧٠ مزارعاً هزت من كابو ونهبت عربة تحمل اسلحة وانشأت تحمل على البلاد حملاتها تخف العبيد والضموا اليها زراعات زراعات فلم تلبث تلك العصاة ان اصبحت جيشاً . وقد هزم هؤلاء العبيد على الولاة ثلاثة جيوش رومانية ارسلت لتأديبهم وكان سبارتا كوس زعيمهم أسرف في الحرب وهو من اقليم نراسياحيء به الى ايطاليا ليستخدم في الصراع محذره نفسه ان يجتاز بلاد ايطاليا كلها للعود الى نراسيا بلده . بيد ان جيش كراسوس قاوم عصايات سبارتا كوس مؤحراً وكانت محتلة النظام فقبلها عن آخرها . وبعدها حظرت رومية على العبيد ان يحملوا سلاحاً . ويحكى انه أعدم راع من العبيد لانه قتل حنزيراً برياً محربة كانت معه .

حروب في الشرق — عهد مجلس الامة لبومبي ان يتولى قيادة الجيوش في حربين متعاقبتين في الشرق . الاولى (٦٧) كانت مع قرصان البحر في سواطيء آسيا الصغرى وقد عزوا سواطيء ايطاليا ومهبوها والثانية (٦٦) كانت مع ميترىداتس الذي لم يبرح على ما اصابه من القتل يدافع عن حوزته في اطراف آسيا الصغرى

ولقد عاد بومبي من آسيا في جيش يتفانى في الاخلاص له وكان في بضع سنين السائد المسود في رومية واذا كان ينظر الى الشرف اكبر منه الى السلطة لم يدخل ادنى تعديل في الحكومة . وفي خلال ذلك نال الخطوة من الامة شاب من الاشراف اسمه قيصر فانفق بومبي وكراسوس وقيصر على اقتسام السلطة (٦٠) فانخب قيصر قنصلاً ثم والياً على غاليا وتولى كراسوس قيادة الجيش الذي ارسل الى آسيا للحملة على البارثيين ولقي حتفه سنة ٥٣ وبقي بومبي في رومية .

كاتالينا — بينما كان بومبي يحارب في الشرق حدثت في رومية ازمة كادت تؤدى الى ثورة وذلك ان احد الاشراف من قدماء انصار سيللا واسمه كاتالينا كان فقد ثروته لاسترساله في الشهوات فحاول ان يسترجع ماله بالقبض على ازمة الاحكام وكان رجلاً

قوي الشكينة جريء النفس مقداماً لا يتطرق الى قلبه وسواس وله اصدقاء كثيرون من اشراف الشبان المستهترين الفاسقين اخلصوا في حبه اذ كان يقضي معهم اوقات صفائه وبقرضهم مالاً ويهديهم حبولاً وكلاب صيد . وله من الانصار قدماء اشباع سيللا وقدماء الجنود الدين اسكنهم سيللا في ايطاليا ممن باعوا اراضيهم واخذوا يجهنون عن مورد يعيشون منه .

فاتفق كاتالينا مع جمهور من هؤلاء الساحطين على ان يذبحوا في آن واحد القنصلين يوم يذهبان معاً الى معبد الكابول فلم يفلحوا فيما دبروه لان الخبر تراسى الى القنصلين الا ان كاتالينا احتفظ بانصاره وظل يدس الدسائس وكان اعداء مجلس التيوخ وربما فيصرايماً يعضدونه سراً فقدم نفسه لستخب قنصلاً فكان حصمه في هذا الانتخاب شيشرون اشهر محام واعظم خطباء الرومان وكان هذا توصل الى ان يتخب حاكماً لان الاسرات الترفقة عدت منذ عهد ماريوس لا تسمح الا بانتخاب اناس من الاشراف .

وساعد اشباع مجلس التيوخ الخطيب شيشرون فحرى انتحاه وسقط كاتالينا الا ان القنصل الآخر رصيف شيشرون وهو الطوبيرس كان مائلاً مرةً للحاتقين . فدير كاتالينا مكيدة كبرى على ان يذبح اصحابه شيشرون واعضاء مجلس التيوخ في رومية ويحرقوها بينا يكون قدماء اجناد سيللا المقيمين في اتروريا راحقين على رومية . فبلغ الخبر شيشرون فلم يخرج الا في كوكبة من الفرسان محدقة به الا انه لم يكن عنده جيش لقنال قدماء الاجناد الذين شرعوا يتجمعون ويتسلحون والعبيد الذين احدثوا يسلمحونهم في كايو فقصي جراً . من السنة التي تولى فيها القنصلية وهو في فلق مستتر .

واحيراً رحع واليان يقودان حموداً فشمع شيشرون بقوة تمكسه من الدفاع فاستدعى مجلس الشيوخ ليوافق على قيام القناصل بما فيه سلامة الجمهورية الرومانية وان يعطي القناصل سلطة ليأخذوا عامة الاسباب التي يرونها مناسبة وادخل الجند الى رومية يرايطون في الساحات ودعا مجلس الشيوخ الى الاجتماع ثانية وفي هذه الجلسة الى حضبته الاولى في مقاومة كاتالينا وسأله مستعراً اياه بما دبره من المكيدة التي افنضح امرها وانذر بالانصراف فغادر كاتالينا رومية وذهب للالتحاق بقداماء الاجناد المتمردين في اتروريا وظل اشباعه في المدينة فاتفقوا سراً مع وفود الالوبروج بان يقدموا لهم فرساناً ثم غيروا آراءهم وافشوا المتمردين . فطلب شيشرون خمسة من رؤوس زعماء المؤامرة واضطرم الى الاقرار . تم اسفنى مجلس الشيوخ فيما يجب ان يعاملوا به فاجاب بانه يجب اعدامهم ولكن كان احد المجرمين واسمه لانتولوس فاضيا ولا يحق لاحد ان يوقفه الا حاكم له

مقام ارق من مقامه فذهب شيشرون بذاته لتوقيف المجرمين الخمسة واخذهم الى سجن الكاتبول وحنقهم وعاد يقول لمجلس التيوخ : « لقد عاشوا »
 فاعلن كاتالينا الحرب ولم يكن سوى جزء من رجاله يحمل سلاحاً ومعظمهم انفصوا من حوله وزحف عليه جيش بقيادة القنصل انطونيوس آتياً من الجيوب وزحف آخر من الشمال ولم يبق لكاتالينا سوى ثلاثة آلاف رجل حاول بهم الفرار نحو الشمال رأى جبال انين في وجهه مسدودة فانقض على جيش انطونيوس وهاجمه وقتل مع اصحابه جملة واحدة (٦٣) فقال اذ ذاك شيشرون من مجلس التيوخ لقب « اوالوطن » دلالة على انه انقذ رومية من محالب العدو ولكن لما انتهت سنة حكمه لم يعهد له بسلطة

فتح بلاد الغال

دحول قيصر الى غاليا — اتفق قيصر مع بومبي وكراسوس ان يتولى كل منهم القيادة في احدى الولايات العظمى على ان يكون له الحق في ان يحيش جيشاً فوضع كراسوس يده على سورية و بومبي على اسبانيا وقيصر على الثلاث ولايات المجاورة لغاليا وذلك لمدة خمس سنين . وقد ذهب قيصر لما انقضت سنة حكمه بصفته والياً الى مقر ولايته ليثشي فيها جيشاً يكون هو قائده ودخل في الحال في عدة حروب وظل عشر سنين بعيداً عن رومية (ولم يدم حكمه اكثر من خمس سنين الى سنة ٥٣ ولكنه جرده دفعة ثانية الى سنة ٤٨) وكانت رومية الى ذاك العهد لم تخضع غير حرء من البلاد التي مر لها الشعوب العالية بل لم يكن لها سوى ولايتين عاليتين : غاليا سيراالين وهي مؤلفة من البلاد الواقعة بين جبال انين . الالب (وهي اليوم ايطاليا الشمالية) . والروفاسيا وهي عبارة عن سواطيء البحر المتوسط وبلاد الرون من جبال الالب الى جبال البيريه . وكانت هذه البلاد مع افليم ابلدريا (الجبال الواقعة في شرقي الادرياتيك) هي الثلاث ولايات التي تولاها قيصر . اما باقي بلاد فرنسا الحالية التي دعاها الرومانيون غاليا فكانت مستقلة بعد يسكنها ثلاثة عناصر من الناس . أحدها الغاليون وهم يتغلون القسم الاعظم من البلاد اي جميع فرنسا الواقعة بين نهر العارون ونهر السين ويصفهم اليونان والرومان بان هؤلاء السكان من الرجال العظام بيض البشرة سقر التعور زرق العيون طوال السبلات يأكلون اللحوم ويسكرون نبيد السرفواز (ضرب من الخعة) او بشراب الايدر وملهم أشدتها بالجرمانيين منهم الرئيس اليوم . وكان السواد الاعظم من هذه الامة يعيش شقياً في الاكواخ لاشأن لهم في ادارة شؤون بلادهم يحصعون لكبار ارباب الاملاك الذين يقاتلون راكبين صهوات خيولهم ويدعوهم قيصر بالفرسان ويذكرهم كما يذكر نحرار بين سجعمانا للعبة ولا يهد

ان يكون هؤلاء الفرسان العاليون سميهم الجرمانيين هم من الفاتحين نزلوا وسط شعب اصغر منهم أجساماً اشقر اصب يتبعه الشعب النازل اليوم في البلاد الغربية أي فرنسا واولادها وبلاد الغال

والقسم الثاني من تلك العناصر الثلاثة هم البلجيكيون نزلوا البلاد الواقعة في شمالي السين الى نهر الرين وهم يشبهون كما كان يقول الرومان الجرمانيين النازلين في الشاطيء الآحرم نهر الرين والظاهر انهم كانوا أقل اختلاطاً بالشعب القديم من الغاليين واحسن الفرسان فيهم كانوا يقاتلون راكبين

والقسم الثالث من تلك العناصر هم الاكينيون نزلوا في جنوبي نهر الغارون وهم ضئلا الاحسام تتحان يشبهون الايرييين في اسبانيا ويتكلمون بلغة ايريه وبعديون سائر شعوب غاليا كأنهم غرباء وهؤلاء حضعو لقيصر اول الامر وبعد فلم يكن الغاليون والبلجيكيون والاكتيون أمماً معدودة بل لم يكن ثمة غير شعوب صغيرة يستولي أقدرها على نحو ثلاث أو اربع من مقاطعاتنا اليوم وكل مقاطعة تؤلف حكومة مستقلة ودعاها قيصر سيفيتا أي التي يحكمها كإشياء وتخابر غيرها . وكان لبعض تلك الحكومات ملك ويحكم معظمها مجلس من الاشراف (الفرسان) وكان للكهنة عند الغاليين سلطة كبرى

لم تدرج تلك الشعوب على حالة من التوحش بعد تعيش بما يتجه لها مائيتها وما مدنها الا اسوار صغيرة محصنة يجعلون فيها مواشيتهم وعيالهم انان الحرب ولئن كان معظم البلاد غابات وحرا فأقد بدؤا يرعون حنطة ليتيسر ان تطعم جيشاً رومانياً بأسره

جاء قيصر بوي فتح غاليا في جيش اختاره من سكان الولايتين الغاليتين الخاضعتين لرومية خاصة وكان مؤلفاً بحسب العادة الرومانية من متساة عظمين كثرائ وعلميه اسلحتهم وهم مدر بون أكثر من جيوش الشعب العالي ولقد عني قيصر بذكر خبر الفتح في مفكراته فاوهم القاريء بان الغاليين ساقوا عليه جيوشاً أكثر عدداً من جيشه ومن المحتمل بانه لم يقل الحقيقة اذ لم يكن في استطاعة عاليا ان تطعم غير عدد قليل من الناس ومعظم سكانها ليسوا محاربين

غارة الهيلفتيين والسوفييين - عند ما وصل قيصر الى بلاد الغال كان الايدوانيون النازلون في جبال مورفان اشد شعوب اواسط عاليا بأساً وعاصمتهم بيبراكت بالقرب من أوتون وبلادهم واقعة بين نهر السون والوار . ومن اشداء البأس الارفونيون النازلون في البلاد الجبلية التي أطلق عليها اسمهم (اورنيا) وكانوا حاكمين على الامم النازلة في البلاد الصخرية الوسطى

فحارب الابدواونيون السكيثيين النازلين في جبال جورا لاختلاف طراً بينهم على الملاحاة في نهرسون فاستدع السكيثانيون من المانيا رعيماً سوفيئاً وهو الملك (ار يوفيست) فأثى بعصابة من حيرة المحاربين مؤلفة من العامه خاصة وهم السوفيونيون . وبعد ان تغلب الابدوايين طلب الملك ار يوفيست الى السكيثيين جزءاً من ارضهم ليرل فيها جيشه . وكان السكيثانيون صالحوا الابدوايين لقتال ار يوفيست الذين زلوا عليهم وعددها استجد الابدواونيون برومية ولما قاد قيصر جيشه الى بلاد سون تقدم على انه حليف شعب عالي المقاومة عارة جرومانية وفي غضون ذلك اخذ الهيلفتيون وهم شعب عالي يسكن سويسرا بالهجرة من بلادهم فانقلبوا منها يحملون أسرارهم ومواسيهم وامتعهم محمولة على مركبات قائلين انهم يريدون مهاجمة بلاد العال ليستوطنوا سواطيء المحيط . وربما كان ذلك حيلة منهم ليذهبوا للنصرة الابدوايين على ار يوفيست ونقدموا الى قيصر ان يسمح لهم باجتياز تلك الولاية الرومانية فاني عليهم ذلك فلم يبق امام الهيلفتيين الا ان يقطعوا وادي سون فداهمهم قيصر بالقرب من مهرسون وحمل اولاً على ساقه جيشهم ثم هاجم مجموعهم فذبح منهم جزءاً عظيماً واضطر من افلتوا من القتل الى الرجوع الى بلادهم . ثم ارتد على اعقابه لقتال ار يوفيست واسرع حتى بلغ في جيشه الى فيرونوسيمو (بزانسون) وحاذر جنده من هول هذه الحرب وهم في بلاد جبلية معساة بالعبات يهاجمون برايرة اشداء على اهبه تامة فجمع قيصر قواد المئة من جنده (يوز باسية) وقال لهم على من يوجسون حيفة ان يسافروا مع الفرقة العاترة فاجابه قواد المئة بانهم يتبعونه حيثما ذهب

وقطع الجيش الروماني مجاز جبال الفوسج ونزل الى سهل الارلاس وجاء بعسكر امام الحدود . والف ار يوفيست معسكره من مركباته وتحصن وراها وكان قيصر يربط جيشه في السهل ويعبئه للقتال ثم صحت عريمة ار يوفيست على الخروج من المعسكر فداهم الجيش الروماني في ورسانه فخرج وفر جنده فطارده العدو حتى نهر الرين . وكان المهاجرون الجرمان يطردون الى خارج غاليا ولكن قيصر لم يأت مع جيشه الى ولايته بل رابط معه في وادي سون حيث قضى الشتاء وقد اخذ يعامل بلاد غاليا كالبلاد المغلوبة فاضطرت الشعوب الغالية ان تحالف رومية .

فتح شمال غاليا — ابى البلجيكيون النازلون بين نهري السين والرين وهم اتيج شعوب غاليا كافة ان يدخلوا في محالفة رومية فتعاهدوا بينهم وتحالفوا وجمعوا جميع المحاربين من ابناءهم في بلاد لاون . فجاء قيصر في الربيع في ثمانين فرق من الجند وعقد محالفة مع احد هذه الشعوب وهم الريسيون ورل في معسكر حصين على رابية يفضلها عن معسكر البلجيكيين

واد ذوبطائح وظل الجيستان زمناً احدهما قبالة الآخر واذ كان الجيش الروماني منظماً كانت تأتية النجدات من الطعام تباعاً اما البلجيكيون فشق عليهم ان يتغذوا في تلك الادعال والحراج فانفذ قيصر الایدوانيين احلافه يجرنون بلاد البيلوفاكيين اهم تلك الشعوب المتحالفة ولما بلغ البلجيكيون ذلك انقضت جموعهم ليذهبوا للدفاع عن بلادهم فتخلص قيصر من جيش العدو ودون قتال وراح يطوف بلاد البلجيكيين ويهاجم مدنهم الواحدة بعد الاخرى مكرهاً كل امة ان تكون حليفة لرومية وان تعطيهما علي سبيل الرهن رجالاً من الاسر النبيلة في بلادها .

وقد دام النيرفيون (اهل بلاد السامر) احد هذه الشعوب الجيش الروماني في عابة على شاطيء نهر السامر بينما كان يبني معسكره وهرم الفرسان الغاليين احلاف الرومان وعساكر الرجال الخفيفة الا ان الكتائب حمت المؤخرة ونحالت دون الهزيمة فاخذ قيصر يحارب النيرفين حرباً يريد بها امدتهم عن آخرهم . ولما احضع الجيش الروماني الشعوب البلجيكية قضى الشتاء في وسط بلاد غاليا على شاطيء اللوار .

فتح العرب — قبلت الشعوب النازلة على ضفاف البحر المحيط ان تحالف رومية وتقدم لها رهائن وما جاء الشتاء حتى تحالفوا بهم وابوا ان يرسلوا حنطة لاطعام الجيش الروماني واسروا عندهم مندوبي الرومان الذين حاولهم في طلب ذلك ليكرهوا قيصر على ان يعيد اليهم من استبقاهم عنده من رجالهم رهينة . وكان للفنتين (سكان فار) وهم من الشعوب الخطيرة في داك الحلف سفن حربية صنعوها من تخر البلوط وجعلت بحيث تسير على ارادة ربابها ولها مقدم مرتفع يقاوم فعل الامواج وطبقات سفلى منبسطة تستطيع ان تبحر على قيعان الشاطيء وفي البحار الصغيرة فانسأ قيصر سمماً دات قلع في مصب نهر اللوارهاحم بها اسطول الفنتين . وصعب عليه ان يحطمه لان سفنه لم يكن لها من العلوما يكفي للوصول الى مساماة تلك السفن القيسية وكانت مراكبه داخله في الماء كثيراً بحيث لا يتسى لها ان تطارد مراكب عدوه في وسط العصور والقيعان وبعد اللتيا والتي صنع الرومان مابل دات مقابض وعصي طويلة قطعوا بها الحبال الي كانت تمسك قلع سفن الفنتين فلما سقطت القلع من هذه السفن ولم يكن عندها مجاديف نقذف بها وقفت لا تبدي حراكاً فداهمها الجيش الروماني واخذها عنوة فطلب الفنتيون الصلح الا ان قيصر امر باسترافهم فضربت اعناقهم وباع سائر الشعب ببع العبيد . وفي تلك المدة ابضاً كان اقتطع قيصر فرقة صغيرة من جيشه لتخضع لسلطان رومية جميع اشروب النازلة في الاقليم المعروف اليوم باقليم نورمانديا وهناك فرقة اخرى له تحارب شعوب الاكتيين في جنوب نهر الغارون

وعلى هذا فقد اخضع قيصر في ثلاث حملات (٥٨ — ٥٦) عامة بلاد غاليا واغتنم فرصة الشتاء للعودة الى ولايته في ايطاليا المعروفة بسيزالين

وفي العام التالي (٥٦) ضرب موعداً للقائدين الآخرين اللذين كانا يقاسمانه الحكم وهما بومبي وكراسوس فاجتمع ثلاثتهم على تحريم ولايته سيفي ولاية لوكس وقرروا تجديد حكمهم لخمس سنين اخرى

حملات الى خارج غاليا — حارب قيصر خارج غاليا دلالة على سطوته واشغالا لحيشته وكان شعبان جرمانيان اجتازا نهر الرين وهاجما بلاد الجلييك فسار قيصر في جيشه وفرسان شعوب عاليا على نهر الرين بالقرب من ملتقى نهر المور وهاجم الحمرات وذبحهم مع نساءهم واولادهم ثم بنى على الرين جسرا من جذوع الاشجار وذهب لتخريب الشاطيء الاين ولما عاد الى غاليا ركب الجرمع ورفقين (٥٥) واجتاز بحر الماش ونزل الى بريطانيا (اكلترا) ولما استأفى السنة التالية سفناً منسعة قليلا لقل الانتقال والخيول عاد الى بريطانيا في جيش كبير واحتاز الغابات التي دافع عنها المحاربون البريطانيون حتى لغهر التمس (٥٤)

قيام الغالين — كان الاشرف في معظم الشعوب الغالية من اسياخ رومية يقاثلون في الجيش الروماني على انهم رديء من الفرسان وبعاشرون الضباط الرومانيين وكان بعضهم من اصحاب قيصر الا ان السواد الاعظم من تلك الامم كانوا يتبرمون باولئك الجنود الغراء الذين يسرون سير السادة فانشق بعض الزعاء عن حرب الاشرف وانفقوا بينهم سرا على تعييج الشعب . وكان قيصر قد وزع جيشه على شعوب كثيرة لقضاء فصل الشتاء وذلك لان القمح كان نادراً في تلك السنة . فقرر زعاء الغالين ان يغنموا هذه الفرصة لمهاجمة الفرق المنعولة وقطع مواصلاتهم فانظروا ريثا يبتعد قيصر الى ولاية سيزالين حيث ذهب لقضاء الشتاء .

الا ان شعب الكارلوت (شارتر) ابدى نواخذ العصيان قبل ان يتم ما دبروه مستشيطاً غضباً من ملكه الذي نصبه قيصر وحاكمه فحكم عليه بالاعدام وقتل . فباغ قيصر هذا النبا فاستعد للحرب ولما ازعمت الفرقة الرابطة في بلاد السامبر الخروج من معسكرها داهما الايبورون وذبحوها . ورأت فرقة رومانية اخرى ان تبقى في معسكرها فاحاط بها الغاليون فاسرع قيصر وتمكن من انتقاذها وعند ذلك استراحت الجنود الرومانية الى آخر الشتاء . ولما طلع الربيع ابى عدة شعوب غالية من الشمال ان يعثوا بوفودهم الى قيصر فجمع جيشه برمته وسحقهم واحداً بعد واحد فانقم من الايبورين بقرب زروعهم وحرق قراهم وذبح

السكان وطارد المنهزمين الى غابات آردن وما جاء الحريف الا وقد خضعت غايا الشمالية باسرها .

الفارس فرسختور بكس -- اجمع شعوب اواسط البلاد في خلال الشتاء امرهم بينهم على العصيان ثانية وبدأ الكارثيون اولاً فداهموا مدينة سابوم على نهر اللوار فقتلوا فيها تجار الطليان كافة . وفي هذه المرة تسلم عامة الشعوب النازلين بين نهر السين والعارون لقتال الرومان وبني الاكتيون على الحياض . وبدأت الشعوب المحالفة لرومية تنزع السلطة من يد الاشراف اشباع قيصر واقاموا زعماً جديداً ودخل هؤلاء في التحالف الغالي

وكان زعيم الثورة سانا من اشراف ارفونا اسمه فرسختور بكس وهو فارس يحسن الفروسية خدم في الجيش الروماني وكان صديق قيصر وحدث ثورة في بلاده اولاً وما حاج سكان القرى حتى نزع السلطة من ايدي الاشراف واصبح منكراً على ارفونا . تم بعت برسل الى الشعوب الاخرى وجمع جيشاً وجعل من نظامه ان يحرق الحائنين ويصلم اذان الاقيين ويحمل عيونهم . فداهم الغاليون الرومانيين في آن واحد في الجنوب من ولاية بروفنسيا (من اقليم لانكدوك) وفي الشمال من البلاد الواقعة بين نهري السين والسون حيث كانت ترابط الفرق الرومانية واضطر قيصر ان يجتاز جبال سيفن وهي مكللة بالتلوج واكره فرسختور بكس من رجاله ان يعود للدفاع عن بلاده فاتسع الوقت لقيصر ان يجمع جيشه بالقرب من سانس ويذهب فيه الى اقليم اللوار لحرب فرسختور بكس جميع البلاد وجعل المدن قاعاً صفصفاً لتكون قفراً لا يجد فيها العدو شيئاً يطعمه بيد ان البيطور يجيبين لم يقبلوا بتخريب مدينتهم افار يكوم ودافعوا قيصر عنها زمناً

بعت قيصر في الربيع (٥٢) فيلقاً لمباغثة شعوب السين وذهب بنفسه في معظم جيشه للهجوم على جركونيا قلعة الارفرنيين فرد على اعقبه وخرج موقفه اذ لم يكن لديه طعام (لحراب مخازن ذخائره في رفر) وهو محصور بين شعوب الارفرنيين والابدوانيين الذين ذهبوا التجار الطليان ومع ذلك اصر على عدم اخلاء عاليا وتمكن من الوصول الى سانس . وفي خلال ذلك عين المجلس المؤلف من مندوبي جميع الشعوب العالية الزعيم فرسختور بكس قائداً عاماً على الجيوش العالية

فاستدعى قيصر من جرمانيا فرساناً اخذهم لحساب رومية وقاد جيشه من ناحية سون واعلمه فعل ذلك لتمكن من مراسلة بروفنسيا فنبهه فرسختور بكس في جيشه وحاول ان يقطع عنه مواد الطعام ورمى الجيش الروماني وهو في مسيره بفرسانه الغاليين فهزمهم فرسان الجيش الغالي ورجع فرسختور بكس على اعقبه الى مدينة البزيا الحصينة في بلاد

الآكام بين نهر السون ومصب نهر السين فنبعه قيصر وحاصره فيها جاعلاً حول اليربا سوراً تعلوه دائرة مجنحة ذات ابراج يحميها مخندق .

وصل جيش من الغاليين لرفع الحصار عن حيش فرسختوريكس ودام الرومانيون ولكن حال دون الوصول اليه ذلك السور الذي اقامه قيصر من ناحية الحلاء . وبعد اشتباك القنال بين الجيشتين رُدَّ الجيش العالي على اعقابه وفرق شذر مذرم فلم يبق عند الجيش المحاصر في اليزيا شيء من الراد فسلم فرسختوريكس (٥٢) فبعث به قيصر الى رومية حيث قضى ست سنين سجيناً ثم شهد حفلة انصار قيصر وصرب عنقه .

وهكذا انتهى العصفان العام . وقضى قيصر سنة اخرى في احصاء الشعوب التي كانت تقاوم واحداً بعد الآخر فابادها . وكان بفاحر بانه دبح في ثمانين مليوناً من السكان وانه اسر منهم مليوناً آخر بانه بيع العبيد وقضى سنة اخرى لتنظيم شؤون حكومة االيا وبعد ذلك صفا الجو لرومية مهلاك اعدائها . وقد وسد قيصر الحكم الى الاستراش اشياغ الرومان والاف فرقة من العاليين لقبوها بالنونو وكان حيشه المدرب يحبه محدته نفسه ان يستخذه في الاستيلاء على المملكة الرومانية ناسرها . فخصعت االيا لرومة ممترة وانقسمت ولايات ولكن سطمها لم يتم الا على عهد اعسطس .

عاقبة الجمهورية

كانتون الاوتيكي — فيما كل القواد يتنازعون بينهم فحين يستأثر بالسلطان على العالم الروماني استهز رجل تعلقه بالدستور الجمهوري القديم الذي احدى يمزق ولما رآه آخذاً في التداعي لم يلبث ان انخر وكان كاتون هذا هو الملقب بعد كاتون الاوتيكي باسم المدينة التي انخر فيها .

كان هذا الرجل من أسرة شريفة من احلاف كاتون ورير الاحصاء الشهير والمدافع عن الاحلاق الرومانية القديمة كتب له ان يكون صاحب ثروة طائلة وهو شاب بعد . وكان قد تعلم فلسفة الرواقيين وجرى عليها فاستأ بعيش عيش الرهاد يأكل قليلاً ويشرب قليلاً ولا يتطيب وعود نفسه احتمال الحر والبرد الشديد يسافر ماشياً في كل فصل من فصول السنة حتى مع اصحابه الراكبين خيولهم ولا يلبس الا بياضاً بسيطة رثة وقد وقع له ان خرج بدون حذاء .

ولما أرسل قائداً لاحد الحيوش الى احدى الحروب (بموجب امتياز فنيان الاشراش) احبه حده واحترموه اذ رأوه بعيش متلهم عيشاً بسيطاً ولما وسدت اليه نظارة المالبية عي بالنظر في الحسابات بنفسه على العكس فحين كان قبله من الاشراش يتولون هذه النظارة

فأبهم كانوا يتركون الكتاب ينظرون في شؤون المالية وحدهم وبذلك اكتشف تروبرات
الكتبة وحاكم المرتكبين واستهزئ به وكن لا يأحر عن جلسة من جلسات مجلس التيوخ
أو مجلس الامة فصار يضرب المثل لسرفه واصبح القوم يقولون عن الامر المتعذر « لا يمكن
تصديق هذا ولو قاله كاتون »

وكان كاتون يقوم بما يفتقد انه واجب عليه دون ان تأخذه رافة أو ثاله رهبة .
وحاول ان يحكم على مرر بما لانه انتاع اصوات الامة حتى اتخته قمصلاً فراه شيسرون
وكان اذ داك قمصلاً بخطاب سحر فيه من فلسفة الرواقيين فقال كاتون « حقاً ان لنا
قمصلاً ممتحكاً » واقترح قيصر في مسألة المشتريين في قتل كاتالينا ان يتأخر اعدامهم
لاهم رفعوا قضية واشتد كاتون على قيصر واثار الى مجلس التيوخ ان يأمر باعدام الجناة
في الحال فلم يسع المجلس الا ان يقرر قتلهم .

ولما اقترح بومبي سن قانون يسمح له باحلال حيشته الى رومية حلاً لما رسمه الدستور
استنماط كاتون عضباً في حدة مجلس التيوخ من الحامي متلوس الذي اقترح وضع
القانون وصرح بانه ما دام حياً لا يدخل بومبي الى المدينة مسلحاً ولما جاء متلوس الى الساحة
في جيش من العبيد المسلحين للموافقة على القانون احترق كاتون صفوف الجماعة وقعد
بالقرب من متلوس ومعه من قراءه متبرعه لواء العبيد اذ صارحين برمون بالحجارة
ويصرنون بالعصي فهرب الشعب وبقي كاتون فاقذه مورينا بان جره الى احد المعابد وعاد
الشعب وضعد كاتون على المدر وحطب في سينات هذا القانون فابى متلوس ان يعرضه وذهب
الى آسيا ليحقق بومبي

ولما اذق قيصر وبومبي وكان قيصر قمصلاً اقترح سن قانون فلم يجرأ غير كاتون على
قباله فانزله قيصر من المدر بواسطة رجال الشرطة وبعث به الى السجن وظل كاتون يتكلم
في الطريق وقد تبعه جمهور من اعضاء مجلس التيوخ وعزم قيصر ان يجلي سبيله وللخلاص
معه ارسلته الحكومة الى قبرص ليطرده منها الملك ليطلوس دون ان يعطوه جيتماً واد كان
هذا الملك انحر لم يبق على كاتون الا ان ينظم قنة باحلف الملك من الكنوز فاتي الى رومية
بمبلغ كبير واستقبله مجلس التيوخ احسن استقبال وتقدم للانتخاب قاضياً وكانت القبيلة
الاولى وافقت على انتخابه واد كان بومبي رئيس المجلس لم يربداً من ان يدعي ان السماء
ترعد واعل بانفضاض الجلسة (والرعد طالع شؤم كما عرفت في بعض الفصول السابقة)
وعند ما اقترحوا ان يعطوا لقيصر جيشاً تقدم كاتون الى بومبي ولطالما شغل الاول قتال
الثاني وحضه على الحذر من قيصر فبقي بومبي عدواً لهذا . وهذا لم يمنع كاتون عند ما رأى

المنافسين في الحكومة يقتتلون في المدينة من معارضة اقتراح المقترحين ان يعينوا بومبي وحده قنصلاً عند ما انترب احدهما من صاحبه ولما زحف قيصر على رومية بحيته لفتح كاتون لمجلس التسويح ان يابي الى بومبي بتقاليد الحكم باسمه قائلاً على من عمل الشر ان يتلاوه . وتبع بومبي الى خارج ايطاليا ومنذ ذلك العهد اطلق شعره ولحيته علامة على الحزن واثار باطالة زمن الحرب وكان يحاف من عاقبة قتال يقتل فيه الرومانيون بعضهم بعضاً ولما نالهم هزيمة فارسل سافر الى مصر يريد الالتحاق ببومبي ووقف في افر بقية حيث كان لاحد اتباع بومبي جيش وتولى الدفاع عن مدينة اونيكييا

واد هرم قيصر جيش افر بقية اقترح كاتون على الرومانيين المازنين في اونيكييا ان يحاصروا وابوا فاطلق كاتون جميع اعضاء التسويح الذين لحقوا اليه تم استقم وتعسى مع اصحابه واحذ يحوض في المباحث الفلسفية ولما حان وقت الموم طالع محاورة لافلاطون في حلولد النفس والتمس سيفه الذي كان رعه انه عه معاصباً فاحمروه اليه فجعله على مقربة منه وبام فاستيقظ عند الفجر تم طعن نفسه في صدره وكان عمره ٤٨ سنة .

فارسل - لم يبق في الملاد بعد وفاة كراسوس عبر بومبي وقيصر وكلاهما يودا الاستئثار بالسلطة وكان من تقدم بومبي على صاحبه انه كان في رومية . متولياً على ارملة مجلس التسويح وكان مع قيصر جيش عاليا المدرب على الحروب منذ تلامي سمين قصاها في الحملات . فاتخذ بومبي خطة المحوم واستصدر من مجلس التسويح امراً بان يترك قيصر حيته ويحيى الى رومية فعقد قيصر اذ دال عزمه على اختيار حدود ولايته (وكان الحد هو نهر رويكون) وزحف على رومية . ولم يكن عند بومبي جيش في ايطاليا للدفع فركن الى الفرار مع اكبر التسويح من الشاطيء الآخر من بحر الادرياتيك وكان له عدة جوش في اسبانيا واليونان وافر بقية شنت قيصر شملهم واحداً بعد الآخر فهرم جيش اسبانيا سنة ٤٨ تم جيش اليونان في فارسل سنة ٤٨ فحيت افر بقية سنة ٤٦ ولما علت بومبي في فارسل لحاً الى مصر فقله ملكها .

حكم قيصر - ولما رجع قيصر الى رومية عهد اليه بالامر لمدة عشر سمين فصار الحاكم المطلق تم حارب جيوش اتباع بومبي في افر بقية وساد جميع البلاد الخاضعة للرومان واحتل في رومية نظره باربعة اعداء العالين والمصريين وملك بحر الحرفي آسيا الصغرى وملك النوميديين حليف البومبيين في افر بقية (لم يكن من الياقة بان يهاجر لتعلمه على جيش روماني) .

فقام مجلس الشيوخ لقيصر بالشريفات الدينية فاعطاه اولاً كرسياً اعلى من مقام

القنصل ولقبه بالاول تم حوله الحق ان يحمل تاجاً من العار (وكان ذلك من حق الارباب) ومخه لقب «ابو الوطن» واندع احتفالات والاعايا اكراماً له واقام له تمثالاً حطوا فيه الفاظ التعظيم وعهدوا الى الكهنة للاحتفال لعبادة رب يوليوس قيصر . ومن الممكن ان يكون قيصر طمع في لقب ملك ومع هذا دعا نفسه بالامبراطور وقبل ان يلبس تاجاً ارجوانيا وان يجلس على عرش من ذهب ويرسم خوذته على النقود .

واحتفظ قيصر بمجلس الشيوخ وجميع المناصب وهو الذي كان يعين المرشحين الدين يقضى على الشعب الغنابهم وهو الذي وضع قائمة لمجلس الشيوخ وكان هلك كسرون من الشيوخ فبالغ عدد الاعضاء الى تسعمائة ومعظمهم من الغنابهم وكثيرون منهم من الغاليين ولم يقض في رومية غير خمسة عشر شهراً من حيث المجموع فما اتسع له الوقت ان يقوم بالاصلاحات التي كان بنوياً (ما عدا تقويم السنين) تم قتله ندماءوه الذين كانوا يربعون في اعادة حكومة مجلس الشيوخ (٤٤)

احد المحاكم الملائمة --- اضطر الشعب الروماني وكان يحب قيصر رعيي قتله وهما بروتوس وكاسيوس ان يهربا فلجأ الى الشرق حيث حيثاً عطيماً وضلّ العرب تحت حكم الطونيوس الذي اعتمد على جيش قيصر حكم رومية حكماً استبدادياً وكان قيصر تبنى ابن اخته اوكتاف وعمره ثمانية عشرة سنة نوصية اوصى بها فسمي بحسب العادة الرومانية باسم متبنيه ودعا نفسه يوليوس قيصر الاوكتافي . فضم الى حربه جند قيصر وعهد اليه مجلس الشيوخ ان يحارب الطونيوس وبعد ان تعلب عليه آثر الاشتراك معه لاقسام السلطة فاجتمع مع بييدوس ودحلا لابلهم الى رومية واستولوا على الامر استيلاء مطلقاً مدة خمس سنين تحت اسم الحكام الثلاثة المعهود اليهم تنظيم المسائل العامة . وترعوا في حصومهم واعداثهم الخاصة (فامر الطونيوس بضرب عمق شيشرون) (٤٣) تم ذهبوا الى الشرق لتشتيت جيوش التحالفين وبعد ذلك انقسموا للمملكة بينهم . ولم يدم الوفاق بينهم طويلاً بل قاتل بعضهم بعضاً في ايطاليا حتى توسط جندهم في الامر واضطروهم الى العودة لما كانوا عليه من الانفاق تم جرى تقسيم المملكة من جديد فاصبح الطونيوس ملك الشرق واوكتاف ملك الغرب (٣٩)

حرب الاكتيوم - دام السلم بضع سنين فاحد الطونيوس بعبس عيش ملك تترقي مصاحباً لكلوطةرة ملكة مصر وشغل اوكتاف قتال ابن بومبي الذي كان تحت امره اسطوله يحرب به سواطي ايطاليا . وانتهت الحال بهدين الملكين باقطاع علائقهما فنشبت آخر حرب بينهما وكانت حراً بين الشرق والغرب تمت بحرب الاكتيوم البحرية واسلم اسطول

كلوبا طرة انطونيوس صاحبها فلما الى مصر وانحروني اوكتاف وحده صاحب الممكة المطلق (٢١) وكان قد انتهى امر حكومة مجلس السيوخ .

تقرير السلطة المطلقة — شكك الناس كلهم من هذه الحروب وكان سكان الولايات يؤحدون قداً ويسبي الجنود معاماتهم ويقتلهم تقتيلاً يضطرونهم كل فريق من الحكام ان يحازوا اليه ويعاقبهم العالب على انتمائهم الى المملوك . وكان القواد يعدون الحند نان يكافئهم باعطائهم اراضي يستعملونها فيطردون منها عامة سكان مدينة ليجل محلهم قدماء الاجناد . وكان اغنياء الرومان يحاطرون بترواتهم وحياتهم ومتي غلب حرمهم يصبحون العوبة في يد العالب يتصرف فيهم بما يشاء . فقد وضع سيلا مثلاً من المذايح المدبرة (٨١) وبعد اربعين سنة (٤٣) جدد انطونيوس اوكتاف امر القتل بدون محاكمة

ولقد كان شعب رومية نفسه يتسكو من سوء هذه الحالة فلا تصل الى رومية الحبوب التي هي مادة عدائه على طريقة مطردة بل كانت تقع في يد قرصان البحر او يهبها اسطول العدو فبعد ان مضى قرن على طريقة هذا الحكم لم يعد للجميع من الروما وسكان الولايات والاعنياء والقراء رغبة في غير السلام وعددها تقدم الى داك الشعب المنهوك بالفتن الاهلية وارت قيصر ابن اخته اوكتاف احد الحكام الثلاثة — تقدم اليهم بعد ان غلب على رصيفيه قال المؤرخ تاسيت وقبض بيده على جميع سلطات الامة ومجلس السيوخ والحكام . ولم تمض صاع سنين الا وقد اصبح سيداً على رومية وليس بعد هذا من لقب فلم يعد يفكر احد في مقاومته وقد اعلق معبد حانوس وشرف في العالم الوية السلام وهذا كان ما يطلبه العالم باجمعه وذلك لان حكومة الجمهورية بواسطة مجلس السيوخ لم تكن تمثل غير الشعب والحروب المدنية فكانت النفوس تظفع في رجل يكون من القوة بحيث يحول دون الحروب والصورات وعلى هذا الوجه أسست الامبراطورية الرومانية .

اغسطس

نظم الحكومة الملكية — يقضي نظام الحكم الحديد الذي وضعه وريت قيصر ان يكون الحكم المطلق بيد واحد يدعى الامبراطور اي الرجل المدر الامر وله الحق ان يتولى السلطات اسرها التي كانت مورعة بين الحكام القدماء في رأس مجلس السيوخ ويجمع الجيوش كلها ويقودها ويضع قائمة بائع السيوخ والفرسان والوزنيين ويحجب الصرائب وهو القاضي الاكبر والمهر الاعظم وله سلطة القضاة . ولبيان ان هذه السلطة قد جعلته رجلاً فوق الرجال من البشر لقبوه بالثدي وهو اوطس او اعست ومعناه المحترم لم تنتظم شؤون المملكة بتورة انت على كل اصطلاح قديم ولم يبلغ اسم « جمهورية »

واقعت ثلاثة قرون واعلام الحدود لا يزال يكتب عليها اربعة حروف من اول اربع كلمات S P. Q R ومعناها مجلس السيوخ والشعب الروماني ولكن اجتمعت السلطة التي كان يقاسمها انتخاب كنديرون في يد واحد وبدلاً من ان يتولاها ستة فقط اصبح يتولاها طول حياته فالامبراطور هو الحاكم الفرد مدى حياته في الجمهورية وفيه يتجسد الشعب الروماني ولذلك كان مطلق التصرف .

مجلس السيوخ والشعب — بقي مجلس الشيوخ الروماني على ما كان عليه قديماً مجلس اعيان الاعنياء واكثر الوحوه حرمة في المملكة فكانت عضوية المجلس تعد من الشرف المرعوب فيه فادا ارادوا ان يقولوا الاسرة الغلانية كبيرة يقولون هي اسرة سيوخ ولكن مجلس الشيوخ على حرمة لم تعد له سلطة لانه لا ينأى الامبراطور ان يستغني عنه ولم يرح مع هذا اول قوة حاكمة في الحكومة وان لم يكن المسيطر عليها ولكن يتظاهر الامبراطور احيانا بانه يريد احد رأيه ولكنه لا يعمل بمشوراته .

فقد الشعب كل سلطة اد اُلغيت محاسبه مد عهد تير . واصبح جمهور الامة المردحم في رومية لا يتألف الا من اصعة الوف من كبار السادة مع عبيدهم ومن حليط من السحادين وكانت الحكومة قد تعهدت باطعامهم ودام الامبراطرة يوزعون عليهم الحطة ويرضون لهم شيء من القود واعطى اعسطس سبعائة فرنك عن كل رأس تسع مرات واعطى ديرون ٢٥٠ فرنكاً ثلاث مرات عن كل رأس .

ثم ان الحكومة كانت تقيم متاهد لتسلية هذا العواء . وكان عدد المتاهد الطامية ٦٦ يوماً في السنة على عهد الجمهورية فبلعت بعد قرن ونصف على عهد مارك اوريل ١٣٥ يوماً وفي القرن الخامس وصلت الى ١٢٥ يوماً دغ عنك الايام الاضافية

وتدوم هذه المتاهد مد شروق الشمس الى غروبها فيتناول المتفرجون طعامهم في الساحات . وهذا ما كان الامبراطرة يتحدثون منه طريقة امينة لاشغال العامة . قال احد الملوك لاعسطس . لئلا تدنك يا قيصر يعتي الشعب بما . بل كانت هذه المتاهد واسطة لاستمالة قلوب الامة للامبراطور فكثر ما كان افصح الامبراطرة اكثرهم حظوة عند العامة فكان ديرون الظالم يعبد لانه قام بالغالب لطيفة فلم يصدق العامة انه مات وكان ينظر قدومه بعد ثلاثين سنة من موته .

وما كان العامة في رومية يجتثون عن تولي الامور بل عاية ما تطل اليهم نفوسهم ان يتسلوا اويأكلوا كما قال جوفينال في عبارة له « خبر والغاب الميدان »
التأليه — الامبراطور وحده سيد المملكة ما دام حياً لان الشعب الروماني يتعجل له

عن كل سلطة ومتى مات يجت مجلس الشيوخ فيما اتاه في حياته ويحاكمه باسم الشعب فاذا حكم عليه تبطل جميع اعماله وتخطم تمثله ويمحى اسمه من المصانع والآثار (١) واذا اقر على اعماله (وهو ما يحدث غالباً) يقرر مجلس الشيوخ بان الامبراطور مات وقد ارتقى الى مصاف الارباب .

وقد عدا معظم الامبراطرة ارباباً معد موتهم على هذه الصورة فكانت تقام لهم معابد وعهد الى كهان ان يقيم لهم الشعائر الدينية وقد كان في جميع اجراء المملكة معابد رسمت باسم الرب اغسطس والربة رومية واستتر عن اتخاص انهم قاموا بوظائف كهان للالهى كلود ولللهى فيرازين وهذه العادة في تأليه الامبراطور المتوفى كانت تسمى « التأليه » والسكبة يونانية وانتقلت عاداتها من يونان الشرق على ما يظهر

ادارة الولايات - كان ثلثائة او اربعمائة اسرة شريفة في رومية تحكم البلاد وتستتر باقي المعمور منذ الفتح الروماني لواء الامبراطور يذرع منهم الحكومة ويحكمهم لسلطان ظله . حتى اصبح كتاب الرومان يشنون من فقد حريتهم المسلوقة ولم يكن لسكان الولايات ما يأمنون عليه بل طلوا رعايا ولكن بدلاً من ان يرأسهم عدة مئات من الرؤساء يتناوبون الحكومة على الدوام ويحيثونهم بنهمين للعى اصبح لهم رئيس واحد وهو الامبراطور يهتم بالنظر في امهم . واقد اوجرتير السياسة الامبراطورية بما يأتي « الراعي الصالح يجبر صوف عتمه ولا يتمتع » فمضى زهاء قرنين وقد اكتفى الامبراطرة بحز سكان مملكتهم يسلبون منهم كثيراً من الاموال ولكمهم مجموعهم من العدو الخارجي بل من عمالهم انفسهم . وعند ما كان سكان الولايات يتكون من الفطائع ومن سرقات حكامهم كانوا يستعدون الامبراطور فيعديهم . وكان من المعروف عند القوم ان الامبراطور يقبل الشكوى على صاظه وهذا كان يكفي لادخال الرعب على قلوب الولاة الفاسدين وادخال الطمانينة على رعاياهم

الولايات كلها ملك للامبراطور (٢) . لانه يمثل الشعب الروماني فهو قائد جميع الحنود وسيد الناس طراً ومالك الاراضي كافة (قال الفقيه كايوس ليس لنا في اراضي الولايات الا التمتع بها والامبراطور وحده مالك لها) واذا كان من المتعذر ان يصب الامبراطور في كل ولاية عنه الوكلاء الذين يختارهم نفسه يرسل الى كل ولاية بصايط (يستمونه مندوب اغسطس لتولي بظيفه القضاء) وهذا المندوب يحكم البلاد ويقود الجيش ويطوف في

(١) عثر على كتابات محي منها اسم دوميتسين على هذه الصورة

(٢) ترك اغسطس لمجلس الشيوخ بعض ولايات من اقل ولاياته مبرلة ولكن ظل

فيها حاكماً مختكماً مثل ولاياته الخاصة كانه صاحبها

ولايته ليفض المصالح المهمة ويده الحياة والموت كالامبراطور . ويبيع الامبراطور ايضا بحفاظ لحجي الحراج وادخال المال في صندوق الامبراطور (ويسمونه نائب اغسطس)

والصباط والمحافظ يتلان الامبراطور ويحكمان على رعاياه ويقودان جنده ويثبتان ملكيته . ويختارهم الامبراطور اندامن الطبقتين الشريعتين في رومية يختار الصباط من مجلس التيوخ والمحافظين من الفرسان وهو لاء العمال مراتب للسرف على نحو ما كان الحكام في رومية القديمة يتدرجون من ولاية الى اخرى ذاهبين من طرف المملكة الى طرفها (١) فن سورية الى اسبانيا ومن انكترا الى افريقية . واذك لنقرأ في الكتابات المكتوبة على قبور رجال ذاك العهد جميع المناصب التي شغلها مينة احسن سان . وكتابة قمرهم تكتب ليان تراجمهم . ما تولد من اعمالهم

الحياة البلدية - وكان تحت هو لاء العمال الكبار الذين يملون الامبراطور وهم لايسألون عما يفعلون اناس من العامة الخاضعين يديرون شؤون انفسهم بانفسهم وللامبراطور الحق في ان يتدخل في شؤونهم الداخلية الا انه لايسي في العادة استعمال هذا الحق . فيطلب اليهم فقط ان لايجاروا وان يدفعوا على وتيرة واحدة ما يفرض عليهم من الاموال وان يحاكموا امام محكمة الوالي . وكان في كل ولاية كبير من الحكام المحكومين ويسمون اهل المدينة او البلديون ومن هنا حلت كلمة الحكم البلدي والمجلس البلدي تحري كل مدينة خاضعة للامبراطورية في ترتيباتها على مثال رومية نفسها فيكون لها مجلس الشعب وتتح حكماها اسنة ويقسمون الى فرق في كل فرقة عصوان ومجلس التيوخ مؤلف من كبار ارباب الاملاك والاعياء وارباب الاسر القديمة وفي الولايات كما في رومية لا يكون مجلس الامة الا صورة والحكم لمجلس التيوخ اي للاتراف

من العادة ان يكون مقر الولاية مدينة اي مثل مدينة رومية مصغرة ولها معانها واقواس نصرها وحماتها العامة واحواضها ودور تنميتها وميادين قتالها والعيثة فيها عيثة مصغرة من عيس رومية فتوزع الحنط . والدرهم على الفقراء وتولم الولايات العامة وتقام الحفلات الدينية الكرى والالعب الدموية . الا ان رومية تقوم بما يجب لذلك من المقات تأخذ من مال الولايات اما في الولايات فان الاشراف يقومون بالاتفاق على حكومتهم واعياها . والحراج الذي يجبي لحساب الامبراطور يحمل كله اليه ولذلك

(١) قال الفيلسوف ابيكيت لا بقدر كبار الرجال ان يتأصلوا في الارض كالنباتات بل عليهم ان يسيموا كسيرا لاطاعة اوامر الامبراطور

يقضى على اغنياء كل مدينة ان يقوموا بما يقنضي من النفقات للاحتفال، بالالعب واما حمامات وتبليط الشوارع وبناء الجسور والمجاري والساحات . قاموا بذلك مدة تزيد عن قرنين وانفقوا عن سعة شهدت بذلك المصانع المنبئة في ارض المملكة وألوف من المكتوبات على الاحجار

المستعمرات - تقيم رومية في البلاد التي تشك في خضوعها لها حيشاً صغيراً تسكنه فيها فيبني مدينة تكون حصناً حصيناً وتبعث اليه بأناس من الوطنيين الرومانيين يكونون حنذا وفلاحين في آن واحد ويجري الخيش الاراضي المجاورة الى حصص متساوية توزعها عليهم وهذا ما يسمونه مستعمرة

ويبقى المستعمرون وطنيين رومانيين ويحضون لجميع ما تأمر به رومية . وتحتل المستعمرة الرومانية عن المستعمرة اليونانية - التي كانت كثيراً ما تشق عصا الطاعة حتى انها لتحارب آتينة نفسها - بان تكون ابنة حاضعة لامها فليست المستعمرة الاحامية رومانية مرابطة بين الاعداء . وكانت اكثر هذه المحطات العسكرية في ايطاليا ولكن كان منها في مكان آخر مثل مستعمرة فاربون وليون وآرل فاما كانت مستعمرات رومانية .

حيس التجوم - لم يكن في المدن الداخلية جيش روماني لان سكان المملكة لا يرون الانقراض على الحكومة فلم يكن للمملكة اعداء الا على الحدود وكان الاجانب ابدأ على استعداد من مهاجمتها فالجرمان وراء هيري الرين والطونة ورحالة الصحراء وراء رمال افريقية ووراء الفرات جيوش المملكة الفارسية

ولدا كان من اللازم اللازم اقامة حند يكون على قدم الاستعداد على تلك التجوم المعرضة ابدأ للتهديد ادرك اعسطس ذلك فاتأ جيساً دائماً فلم يكن جنود الامبراطورية من اصحاب الاراضي يؤخذون من حقوقهم ليخدموا في الجندية بعض حملات بل كانوا اناسا من الفقراء جعلوا الحرب صناعة لهم فيدخلون الجندية ليخدموا فيها ست عشرة سنة او عشرين سنة وربما جددوا هذه المدة

وعلى هذا كان للامبراطورية في رومية ثلاثون فرقة من الوطنيين اي ١٨٠ الفاولهم بموجب العادة الرومانية مساعدون فيبلغ مجموعهم نحو ٤٠٠ الف رجل على التقريب وكان هذا الخيش قليلا بالنسبة لعظم تلك المملكة

ولكل ولاية على الحدود جيش صغير بعيد في معسكر دائم يتسه قلعة يجيى الباعة ينزلون بقرىها فلا يعم المعسكر ان يصبح مدينة وهكذا يعسكر الجند نازاء العدو فيحفظون

شجاعتهم ودربتهم . مضت ثلاثة قرون والجند الروماني يدخل في كل حرب زون مع
الرابرة المتوحشين ولا سيما على ضفاف الرين والطونة في بلاد ندية قاحلة مفتاة بالغات
والمستنقعات . وربما بذل الجند الروماني في هذه الحروب التي لانيجة لها من الشجاعة
والشهامة اكثر مما بذل قدماء اليونان في فتح العالم

الآداب - لم يكن الرومان بالطبع امة فنون وقد أصبحوا كذلك فيما بعد مقتفين فيها
أثر اليونان . فمن يوان أخذوا نمودجاً من فاجعاتهم وقصصهم الهلالية وملاحمهم وانشيدهم
وأشعارهم الفلسفية والعامية والتاريخية . واقتصر بعضهم على ترجمة الاصل اليوناني (كفعل
هوراس في أناشيده) وكلهم اقتبسوا من اليونان افكارهم ومناحيهم ومزجوها عند ما احتدوا
مثالها بما عرف فيهم من صفات الصبر والشهامة حتى صارت بعض آثارهم غريبة الغرائب
في أسلوبها

وانفق الرومان على ان العهد الذي أزهرت فيه الآداب اللاتينية حقيقة كانت الحسين
سنة التي قضاها اغسطس في الحكومة وهو الوقت الذي نبغ فيه فرجيل وهوراس واوفيد
وتيبول وبروبرس وتيت ليف ولكن عصراء طس (كما يسمونه) قد سبقه ولحقه قرنان
ربما عادلاه في اخراج النوايع في الحيل الاول (القرن الاول قبل المسيح) ظهر الشاعر العربي
المدش لوكريس وقيصرانيز ناتر وتيشرون اخطب حطيب وفي الجيل اللاحق كتب
سيبيك ولوكين وتاسيت وبلين وجوفنال ما كتبوا

وبعض هؤلاء المؤلفين العظماء فقط من أسرة رومانية ومعظمهم ايطاليون وكثيرون
من الولايات مثل فرجيل من مانتو وتيت ليف من بادو (في االيا) وسيبيك اسباني .
وكان الفصاحة هي الفن الوطني حقاً في رومية فكان الرومان كالطليان في ابامنا يمحون
الكلام علناً . وكان الخطباء يأتون الى ساحات الاجتماع حيث تلتئم مجالس الامة في
أواخر عهد الجمهورية يخطبون ويكثرون من الحركات وسط دوي القوم وتيسرون اعظم
أولئك الخطباء وهو الوحيد الذي بقيت بعض قطع من خطبه

ولما سقطت الجمهورية انقضت أيام المجالس ففقدت الفصاحة لقلة المادة

اللغة اللاتينية - انتفعت آداب اللغة اللاتينية بفتوحات رومية فنقلها الرومان مع
لغتهم الى رعاياهم المتوحشين في الغرب فتناسى جميع شعوب ايطاليا وغاليا واسبانيا وافريقية
وضفاف الطونة لغاتهم الخاصة وتعلموا اللغة اللاتينية . ولما لم يكن لهم آداب وطنية خاصة
اقتبسوا آداب حاكميهم فتكلم اهل الامبراطورية اذ ذاك بلغتي الشعبين الكبيرين القديمين
فظل الشرق يتكلم باليونانية واخذ العرب باجمعه يتكلم باللغة اللاتينية

فلم تكن اللاتينية اللغة الرسمية للوطنيين وكبار الرجال فقط كما هي الانكليزية لعهودنا في الهند بل ان الامة نفسها تتكلم بها ما امكن من الصحة بحيث ان القوم في اوربا بعد انقضاء ثمانية عشر قرناً ما برحوا يشكون الى اليوم بحمس لغات مستقاة من اللاتينية وهي الايطالية والاسبانية والبرتغالية والفرنسوية والرومانية

وانتشرت الآداب اللاتينية مع اللغة اللاتينية في عامة احواء الغرب لما كانت تدرس في القرن الرابع في مدارس بوردو واورتون عبر شعراء اللاتين وخطبائهم وظل الاساقفة والقسيسون بعد هجوم البرابرة يكتبون باللغة اللاتينية ونقلوا هذه العادة ايضاً الى شعوب اسكتلندا والمانيا الذين احتفظوا بلغتهم الجرمانية . فباللاتينية كتبت في القرون الوسطى السجلات والعقود والشرائع والتواريخ والكتب العلمية . وفي الادبار والمدارس لانقرض ولا نسخ ولا تعتبر غير الكتب اللاتينية وما عدا كتب العبادة لم يعرف غير مؤلفي اللاتين امثال فرجيل وهوراس وشيسرون وبلين لجون وما كانت الهضة العصرية الاورية الا عبارة عن احياء ما فقد من آثار اقلام كتاب اللاتين واصبح التسرع على منوالهم اكثر من ذي قبل . فكما ان الرومان انتشروا لانفسهم آداباً خاصة لتقليدهم اليونان هكذا صار المحدثون من الاوربيين يسبحون على مثال كتاب اللاتين . وليت شعري هل عاد ذلك بحيرام بسر؟ ومن يجزم ان يفوه بذلك؟ فما لاجدال فيه اذ ان لعائنا الرومانية الاصل هي بات اللاتينية وان آدانا طامحة بالافكار والمنازع الادبية الرومانية وان العالم العربي باسره مصبوع بصيغة الآداب اللاتينية .

الصناعات - عثر الباحثون بكثرة على تماثيل وصور بارزة رومانية اقتتها الايام من عهد تلك الحكومة منها ما نقل عن الآثار المصرية ويكاد يكون معظمها تقليداً لها ولكنها اقل من الاصل لطفاً ودوقاً . ومن اغرب الامودجات الباقية النقوش البارزة والصور النسخية فلقوش البارزة كانت تزدان بها المصانع (كالمعابد والعمد واقواس النصر) والقبور والدوايس تمثل بها احسن تماثيل مشاهد حقيقية وحفلات ونذوراً وحروراً واثاماً وكل ما يجتبطا علماً بالحياة السالفة . وان النقوش البارزة التي جعلت حول اعمدة تراجان ومارك اوريل لتعائنا كأننا نشاهد مشاهد حر وهما العظيمة بتلك الرسوم لتمثل لك الجنود تقاتل البرابرة ويحاصرون فلاعهم ويأتون بالاسرى كما تشهد النذور العامة والامبراطور يحطب شعبه والصور النصفية هي في الاكثر صور الامبراطرة وسائهم واولادهم واذ كثرت تماثيلهم في اطراف المملكة باسرها عثر على كثير منها . حتى ان عند جميع المتاحف اليوم مجموعة من الصور النصفية الامبراطورية وهي صور حقيقية وربما كانت شبيهة باصحابها كل

السبب اذ يرى فيها سياء كل امبراطور واضحة اي وضوح وكثيراً ما تكون بشعة مستكرهة بحيث لم يحاول النقاشون ان يربنوها ويحفوا من سحنات المصورين
فعلم البناء هو الفن الروماني الحقيقي لانه يقوم بحاجة عملية وفيه ايضاً قلد الرومان اليونان تأخذ الاروقة والعمد ولكن كانت لهم طريقة لا يستعملها اليونان وهي العقود (الاقبية) اي فن وضع الاحجار المنحوتة تدعم بعضها بعضاً على شكل قوس مربع . فبالعقود نسي لهم ان ينشئوا ابنية اوسع واكثر نفثاً من ابنية اليونان

المصانع - اليك اهم انواع المصانع الرومانية منها «المعبد» وهو كثيراً ما يتسمبه المعبد اليوناني وله دهليز متسع ويكون احياناً اكثر سعة تعلوه قبة . ومن هذا النوع معبد البانثيون الذي بني في رومية على عهد اغسطس . ومنها «الكنيسة الكبرى» وهي بناء مستطيل طويل يعالوه سقف وتحيط بها اروقة وفيها ينصدر الحاكم يحيط به نوايه وفيها يجتمع التجار ليتجادلوا في ثمن البضائع والكنيسة هي «بورصة» محكمة مما . وفي الكنائس الكبرى اقيمت بعد ذلك مجالس السيميين وظلت الكنائس النصرانية قروناً محتفظة باسماء الكنائس الرومانية واشكالها

ومنها المرازح (المراسيح) ذات الدرجات «البنياتر» والملاعب وهي مؤلفة من عدة طبقات واروقة وضعت بعضها فوق بعض تحيط بالملاعب وكل طبقة من هذه الاروقة يعالوه عدة صفوف من الدريجات وذلك مثل الكوليرة في رومية وميادين ارل ويم . ومنها قوس النصر وهو باب شرف له بعض سعة بحيث يكفي لمرور مركبة منه وهو مزين بعمد ومرحرف نقوش كثيرة ومن هذا النوع قوس النصر في اوراج . ومنها الجسر وهو يبنى على صف من الحيايا وسط النهر . ومنها المجاري التي تجلب فيها المياه وكثيراً ما تكون على شكل جسر لتر فوق دار ومن هذا الضرب من المجاري القطعة من الجسر المسماة كارد

وقد كان الامبراطور اغسطس يفاحر بانه افتتح في رومية رهاء تمازين معبداً قال «لقد وجدت مدينة من القرى وهاءنذا اترك مدينة من الرعام» وعمل احلافه كلهم على زحرفة رومية وقد ازدحمت المصانع حوالى الفوروم (الميدان) خاصة واصبح الكاثول مع معبده المعروف بمعبد المنتري اشبه شيء بالاكروبول في آينة . وفي داك الحى ايضاً اشوا عدة ساحات ذات مصانع مثل ساحة قيصر وساحة اغسطس وساحة ريفنا ساحة تراجان وهي ازهاهن

استخدم الرومان (١) في ابنيتهم الحجارة التي وقعت تحت ايديهم في البلاد يرففوها بابلات

(١) لا ينبغي ان يعرب عن الاذهان ان الصناعات الرومانية هي كالأدب الرومانية

متين صنع بالكس والرمل، بحيث أتت عليه الف وثمانمائة سنة وهو لم تحت بما اصابه من الرطوبة . ولا نقرأ في مصانع الرومان تلك البهجة التي نجلى على المصانع اليونانية بل انها متسعة متينة راسخة القواعد شأن افنح الروماني . وما زالت ارض البلاد الى يومنا هذا طالحة بانقراض تلك المصانع ولم يرح الباحثون يعثرون حتى في ففار افرقية والدهسة آخذة منهم على مصانع رومانية محفوظة سالمة . ولما أريد جلب الماء الى توس لم يعملوا الا ان اصلحوا مجرى النهر الذي أنشئ في العهد الروماني .

التجارة — أصبحت رومية اعظم مدينة في العالم (ويذهبون الى انه حاء عليها زمن كان فيها مليون نسمة) فكانت بالطبع مركز تجارة المملكة . ولقد هضت العصور القديمة والمتاجر تنقل في الماء اي في البحار وفي الانهار اكثر من الطرق التي يقضي لها عجلات ثقيلة لنقل تلك المتاجر . فكانت المتاجر تنقل الى رومية من طريق البحر خاصة ونقلها السفن الى مرفأ اوستي عند مصب نهر التيبر ومنها توسق في قوارب تصعد النهر حتى تصل الى سفح جبل افنتين وتنزل تنحها في مرفأ رومية . وكانت البصائع الخاصة ببقية ايطاليا تخرج في مرفأ نوزول في خليج نابولي ومن هناك يرسلونها في الطرق وادا تيسر لم يرسلوها في قوارب تسير على الشاطئ او تجري صعداً في الانهار تجرها الخيول

وكانت رومية وايطاليا تصرفان اكثر مما يتحاجن تجارتها خاصة تجارة واردات وكان تجار من الطليان يدرلون في اهم مرافيء العالم يجمعون فيها حاصلات كل بلد ليعتوا بها الى رومية . وكنت تجدد في كل بلد مركزاً للتجارة مثل لومة في صقلية وقرطاجنة في افرقية والاسكندرية في مصر ومن هذه البلاد كانت تجلب الى رومية الحبوب والريث والفاكهة والبقول الناشفة ومن المراكز التجارية افير في آسيا الصغرى وانطاكية في سورية ومنها كانوا يرسلون الاصواف والافسة والخنطة التي تخرجها البلاد الداخلية . ومن هذه المراكز اوبيا على شاطئ البحر الاسود واليهما كانت تأتي خنطة روسيا . ومنها قادس في اسبانيا كانت ترسل الى رومية فضة الماسح واوانار تنكيا (في الاندلس) ومن هذه المراكز نارون وارل في االيا كان يجلب اليهما في نهر الرون حلود بلاد العال واحسابها (اما مارسيليا فكانت سقطت منزلتها القديمة ومرسى فريجيوس اصبح ميناء حرية) .

وكان الرومانيون يجلبون ايضاً لصانع من خارج فيبعث اليهم الترق بادوات الربة والرفاهية كالعطور والابازير (الفلفل وجوز الطيب والرنجيل) والنيلة والعاج والاحجار لم نشأ بيد صناع من الرومان بل بيد اناس من سكان الولايات ربما كانوا من العبيد ولم يكن تمت روماني الا الرجل الذي يعملون له اعمالهم

الكرمية واقشة الصوف والحزير والعبيد السود والحيوانات النادرة (ولاسيما القردة) وكانت تجلب الى الاسكندرية من طريق البحر الاحمر او في النيل وتأتي الى انطاكية من طريق الخليج الفارسي وبادية الشام (مع القوافل) والى اولبيا من طريق بلاد فارس وبحر الخزر وكان الرومان يستخرجون من بلاد الشمال المواد التي لم تهذبها يد الصناعة مثل عذير البليطيق وقصدير انكلترا وكان يأتي من طريق غاليا الجلود والادبم والشمع وشعور النساء والعبيد أغسطس — مات أغسطس ولم يحالف ورثته مباشرة خلفه ابن زوجته تيبس وهو الذي تبناه ومضى نصف قرن والامبراطور ابدأ رجل من أسرة أغسطس وادرك الرومان مذاك فساد هذه الطريقة

وكان للامبراطور مدة حياته سلطة مناهية لاحد لها فهو الحاكم على هواه في الاتخاص والاموال يحكم بالقتل و يسادر الاموال ويهلك من يريد اهلاكه بدون رقيب لا يقف امام ارادته حاجر من نظام ولا قانون . حتى قال المتشرعون الرومان : ان لامر الامبراطور قوة القانون . وبذلك عرفت رومية الاستبداد الذي لاهاية له على نحو الاستبداد الذي كان يجري في المدن اليونانية استبداد لم ينحصر في سور ضيق من مدينة بل كان عظيماً كالمملكة . وكما كان في يونان ظالمون اهل حشمة ووقار كان في رومية امبراطرة حكماء محتشمون ولكن قل في هؤلاء من لم يستهونهم دوار السلطة عند ما يرون اهم بلغوا ارق رتبة يصل اليها انسان . ومن امبراطرة رومية من لم يستخدموا سلطتهم التي لم يسمع بمنزلها الا لترسل اسماؤهم كالامثال فصرب المثل لنديرون وطله بكلود حليفة تيبس وسخافته وكليجولا وجوبه المطبق وتقليده حصانه رتبة قتصل وتطاوله الى ان يعبد كالارباب . فكان الامبراطرة يصطهدون الاتراف حاصة ليحولهم عن كيد المسكايد ويضغطون على الاعنياء ليصادروا أموالهم

وكانت هذه السلطة المتناهية سيئة النظام وهي تمتل كلها في شخص الامبراطور ومتى هلك بجمت يماتاه من الاعمال . كان القوم عارفين بان العالم لا يستغني عن سيد ولكن ليس في شريعة ولا عادة ما يستدل به على ماهية ذلك السيد . فكان من حق مجلس السيوخ وحده ان يعين الامبراطور ولكنه يختار ابدأ بالقوة من اختاره الامبراطور السالف أو رضي عنه الخلد . واقد عتر حراس القصر الامراطوري بنا كانوا يجثون فيه عقيب وفاة الامراطور كاليجولا على رجل احتباً وراء الفرش وهو ترتعد فرائضه فراءوا انه من انسباء كاليجولا فعينه الحرس امبراطوراً وكان هو الامبراطور كلود

الحرس الامراطوري — كان يحنل زمن الجمهوري على القائد ان يأتي في جيشه الى المدينة فاصبح الامراطور رئيس الجيوش كلها وله في رومية حرس عسكري مؤلف من نحو

عشرة آلاف رجل أقاموا منذ عهد تير في تكتنة حصينة بالقرب من المدينة . وبتنخب هذا الحرس من قدماء الاجناد وتدر عليه الرواتب الكثيرة وتوالى عليه الاحسانات وبهؤلاء الجنود يعتز الامبراطور فلا يخاف باثقة تصيبه من الناقمين عليه من أهل رومية . بيدان الخطر كان يأتي من الحرس نفسه واذا كانت المودة معهم اعتقدوا بانه يحل لهم ان يأكلوا كل شيء وكان زعيمهم أوسع سلطة من الامبراطور

الثورات والحروب — استشاط أشراف الرومان عصباً مما أناه نيرون من الفظائع وضروب الجنون فخذوا يستخطهم ببعض الولاة الى الانتفاض وحلحط الطاعة فتعراذ ذلك مجلس الشيوخ بقوة يستند اليها فأعلن بان نيرون عدو عام فلم يسعه الا الحرب ثم الانتحار .

وبعد موته (٦٨) وقع اختيار مجلس الشيوخ على والي اسبانيا المدعو غالبا فعينوه امبراطوراً ولكن الحرس الامبراطوري لم يره كريماً جواداً فذبحه ونصب مكانه أحد ندماء نيرون واسمه أتون . تم ان الجنود المرائضة في تحوم جرمانيا ارادت ان تنصب بنفسها امبراطوراً فدخلت فرق ههر الرين الى ايطاليا فصادفوا الحرس الامبراطوري بالقرب من كريكون فقتلوا منهم مقتلة عظيمة في وقعة شعواء أحدث بطرفي الليل تم نصبوا الامبراطور الذي اختاره مجلس الشيوخ وهذا القائد فينليوس

وفي داك الحين التخب جيش سورية زعيمه فسباسين الذي قاتل فيتليوس وعين مكانه (٦٩) وهكذا نصبت رومية ثلاثة امبراطرة في ستين وأرل الجند ثلاثة امبراطرة عن عروشهم . وفي خلال هذه الحروب نهب جنود جرمانيا مدينة وحرقت معبد الكاثول . الغالافيون — نصب فسباسين امبراطوراً فوطد أركان السلم وكان ايطالياً وهو حفيد أحد الفلاحين حافظ على عادات له في الاقتصاد والاذاجة في عيشه . فرأى القسم الاعظم من مجلس الشيوخ قد تمرق تعلمهم والاسرار القديمة قد بادت أو هلكت فاستعاض عنها بأسرار ايطالية أو من اهل الولايات ولما تجدد مجلس الشيوخ على هذه الصورة كف عن ابداء العداء للامبراطور تخلف فسباسين أولاً (٧٩) انه تينوس الذي مات للحال تم ابنه دومنين (٨١) الذي كان قاسياً عادراً مثل ظلمة اليونان

الانطونيون — اشتهر الخمسة الامبراطرة الآتون وهم زفاونترا جان وادريان وانطونين ومارل أوربل (٩٦ — ١٨٠) بالحسنة والحكمة وبدعوتهم الانطونيين (وهذا الاسم لا يوافق في الحقيقة الا الآخرين منهم) ولم يكونوا من نسل البيوت القديمة في رومية بل كان تراجان وادرين اسبانيين وولد انطونين في نيم ولم يكونوا أمراء من أسرات امبراطورية حلقت لتولي رقاب الناس منذ ولادتها . وقد تولى الحكم اربعة امبراطرة وهم عقيمون فلم

يتسنى نقل الحكم بالوراثه . وكان الامبراطور يختار كل مرة من قواده وولائه أقدر رجل يحلفه ويتبناه ويعينه باختيار مجلس الشيوخ له وهكذا لم يبلغ عرش الامبراطورية الا اناس مخنكون يحلفون آباءهم في مركزهم بدون قال وقيل .

ولقد كان عصر الانطونيين اهدأ العصور التي عرفها العالم القديم والحروب تنتسب بعيدة عن تحوم المملكة ولم يحدث في الداخلية تنغب عسكري ثباتاً ولا مظلة ولا أحكام جائرة . فكبح الانطونيون حماح الجند بتدريهم على النظام ونظموا المحاكم ومجلس الامبراطورية وهو مؤلف من الفقهاء والمشرعين واستعاضوا عمن حرروهم من العبيد الذين ظالما سخط الرومانيون عليهم على عهد الاتي عشر قيصرآ ناس من الموظفين النظاميين احتار وهم من أشرف الطبقة الثانية (يعني الفرسان) وما عاد الامبراطور ظالما يحدهم جند بل كان حقاً الحاكم الاول في الجمهورية لا يستعمل سلطته الا لما فيه نفع شعبه

حارب الانطونيون حرواً كثيرة ليدفعوا الشعوب المخاربة التي كانت تحاول مهاجمة الامبراطور من ناحيتين . حاربوا في أسفل نهر الطونة الداسيين وهم شعب ربري سكن البلاد الجبلية ذات العابات التي تسمى الآن ترانسلفانيا كما حاربوا على الفرات حكومة البارتيين العسكرية الكبرى التي كانت جعلت المدائن عاصمتها قرب بابل وكانت مملكتهم تمتد على طول بلاد فارس .

ولقد حمل تراجان على الداسيين عدة حملات واجتاز الطونة ورجح في ثلاثة مواقع واستولى على عاصمة ملك الداسيين (١٠١ - ١٠٢) وتفضل عليهم بالصلح ولما عاود الداسيون الحرب عمد تراجان ان يأتي عليهم فاستأ على نهر الطونة جسراً من حجر وهاجم ولايتهم فضمها الى المملكة الرومانية (١٠٦) وأرسل فيها طواريء ومستعمرين أسسوا فيها مدناً وأصبحت ولاية داسيا بلاداً رومانية تكلم اهلها باللاتينية وتحلقوا بالاخلاق الرومانية .

ولما انجلت الحيوش الرومانية في اواخر القرن الثالث كانت قد استحكمت اللغة اللاتينية من الداسيين وظلت سائعة في بلادهم خلال القرون الوسطى على الرغم من عارات برارة الصقالبة . وقد اطلق على الشعب الذي يسكن اليوم السهول في شمالي الدانوب اسم رومية فيدعى الروماني وبتكلم بلغة مشتقة من اللاتينية كالفرنسية والاسبانية

حارب تراجان الباربيين ايضاً فحاز الفرات واستولى على « المدائن » وهي عاصمتهم وتوغل في احتساء البلاد الى فارس ودخل الى سوس واحذر منها عرش ملوك فارس المعمول من الذهب الاصم . وانشأ اسطولاً على دجلة ونزل في النهر حتى مصبه واجرى في خليج فارس

واستخلص من البارتيين البلاد الواقعة بين بلاد المرات ودجلة وجعلها ولايتين روميتين
بيد ان هاتين الولايتين انتقضتا بعد سفر الجيش الروماني .

اما الانطونيان الاحبران وهما الطوبين ومارك اوريل فقد تفرقا الامبراطورية بنضالهما
وكان كلاهما يعيش ببساطة كما يعيش الافراد على غناها دون ان يكون لهما ما يتبته قصرًا
او سرايا وان يتعرا نانه كانت لهما سلطة وسيادة

ولقد لقب مارك اوريل على العرش بالحكيم وكان يحكم البلاد مدفوعاً بعامل الواجب
على غير ارادته ومع انه كان يؤثر العزلة قصى حياته في الحكم وقيادة الحيوس .
وانك اترى فيما حطه في ذكرته البتية من افكاره صورة الفيلسوف الروافي الصالح الزاهد
العاظ عن العالم وهو على جانب من اللطف والحلم قال . « أحسن الاساليب في الانتقام
من الاشقياء هو ان لا يعمل المرء عملهم والارباب انفسهم يعطفون على الاشقياء فلك ان
نقندي بالارباب »

ولقد كان مارك اوريل يأخذ برأي مجلس الشيوخ في عامة المسائل ويحصر جلساته
بدون انقطاع . ولقد وقف في وجه كثير من الشعوب البربرية الجرمانية يرد عاراتها
ويدفع عاداتها تلك القبائل التي اجتازت الطونة على الحليد ودخل الى شمالي ايطاليا واقتضى
له ان يؤلف جيشاً لجند عبيدًا وبرابرة (١٧٣) فاسحب الجرمانيون ولكن بينا كان مارك
اوريل متعولاً في سورية بقتال أحد القواد المتمردين عادوا على اعتاقهم وهاجموا الامبراطورية
ومات مارك اوريل على ضفاف الطونة (١٨٠)

ولما وقفت الفتوح (بعد تراجان) كانت الامبراطورية تمتد على طول جنوبي اوربا
كلها وعلى طول الشمال من افريقية والغرب من آسيا ولا يقف في سبيلها الا الحدود الطبيعية
من العرب البحر المحيط ومن الشمال جبال ايكوسيا ونهر الرين والطونة وفاقاسيا ومن الشرق
بوادي المرات وبلاد العرب ومن الجنوب تلالات الليل والصحراء الكبيرة . فكانت
الامبراطورية الرومانية عبارة عن البلاد التي تتألف منها اليوم كل من ايكاترا واسبانيا
وايطاليا وفرنسا والبلجيك وسويسرا وبافيا والنمسا والمجر والبلاد العثمانية في اوربا ومراكش
والخزار وتونس ومصر وسورية وفلسطين والاناطول أي انها ضعفا مملكة الاسكندر .

السلم الروماني - ابطال الرومان الحروب في داخلية بلادهم باخضاع جميع الشعوب
لسلطتهم . فتوطد السلم الروماني الذي وصفه احد كتّاب اليونان بما يأتي: « لكل فرد ان
يذهب حيث شاء فالمرافي غاصة بالسفن والجبال أمينة على سالكيها أمن المدن لساكنيها

ولم يبق دافع للخوف وقد طرحت الارض سلاحيها الحديدى القديم، نُجِلَتْ في نياح الاعياد .
وها انتم أولاء قد حققتم قول هوميروس بان الارض ملك للجميع»

فاصبح الداس في العرب للمرة الاولى في حلّ من استاء بيوتهم وزرع حقولهم والاستمتاع
باموالهم واوقاتهم دون ان يكونوا كل ساعة عرضة لمهدد يتهددهم باستلابها منهم او ان
يذبحوا او يقادوا كالاسرى والعبيد . وهذا امان قلما نقدره قدره اذ قد تمتعنا به كلما منذ
الصعر ولكن الطائر انه كان بعد من حسنات الامور البائرة عند القدماء

• سهلت الرحلة في تلك الامبراطورية المسالمة وأتسأ الرومان طرقاً في كل مكان مع
محطات ومواقف وصنعوا مصورات (خراائط) لطرق المملكة وكان كثير من ارباب
الصاعات والتجار يرحلون من طرف الى طرف آخر من المملكة . ويرحل علماء البيان
والفلسفة في بلاد الامبراطورية داهبين من مملكة الى أخرى . هم يلقون المحاصرات .
وكان ينزل في كل ولاية أناس من اهل الولايات القاصية فقد دلت انكشافات على
الاحجار انه كان في اسبانيا اساتدة ومصورون ونقاشون من اليونان وفي االيا صياغ وصناع
آسيايون

وجميع هؤلاء كانوا ينقلون عاداتهم وصناعاتهم واديانهم ويمزجونها بما يرونه عند الامم
التي يزولون عليها ثم يعتادون بالتدريج على التكلم باللغة الرومانية وما ابلج بحر القرن
الثالث عشر حتى عدت اللاتينية لغة بلاد الغرب المشتركة كما صبحت اليونانية لغة الشرق منذ
قام حلفاء الاسكندر . فنشأت في رومية كما نشأت في الاسكندرية حضارة مشتركة
سموها الحضارة الرومانية ولم تكن كذلك الا باسمها ولعنها واجتمعت حضارة العالم القديم في
قبضة الامراطور

الامبراطورية الرومانية في القرن الثالث

السييفيريون — بدأت الفتن الاهلية بعد عهد الامبراطورة الاطونيين فذبح الحرس
الامبراطوري سنة ٩٣ : الامبراطور يرتيناكس ورأوا ان يضعوا المملكة في المراد فتقدم
طالبان يبدان ابتياعيا احدهما سولسبين تقدم على ان يعطي كل جندي خمسة آلاف فرنك
والثاني ديدايوس رفع ما يدفعه لكل جندي الى ستة آلاف فرنك فحمله الحرس الى مجلس
السيوخ وعينوه امراطوراً ثم لم يستطع القيام بما تعهد به فذبحوه

وفي حلال ذلك بوبع بالملك ثلاثة قواد ثلاثة جيوس كبيرة وهما قائد برتانيا وقائد
ايليريا وقائد سورية وسار هؤلاء الثلاثة المتنافسون الى رومية فوصلت فرق ايليريا قبل
غيرها فعين مجلس الشيوخ القائد سبتيم سيفير امراطوراً على رومية فنشبت عندئذ حر بان

سالت فيهما الدماء انهاراً احدهما المدافعة جيش سورية والاخرى المدافعة جيش برتانيا وظلت لسيفير الكلمة النافذة مدة سنتين وهو الذي اوجز سياسته في كلمتين فقال : « ايها الابناء ارضوا الجند واهروا بن بقي »

الفوضى والغارة — مضى قرن ولم يكن قاعدة في الحكومة عبر ارادة الحند وكان في الامبراطورية ماخلا جيش الحرس الصغير في رومية عدة جيوش كبيرة على مهر الرين والطونة والشرق والكترا . وكل جيش بود ان يجعل قائده امبراطوراً والمتناسون يتقاتلون حتى كتبت العلة لواحد تحكم لصع سنتين تم قتل (١) واذا اسعده الحط بنقل السلطة الى ابيه من بعده فالجيش يتحرك على انه ذاته وتعود ناز الحرب تستمر .

وفي ذاك الحين نشأ امبراطرة عرائ في اطوارهم فكان ايلاجابال كاهناً سورياً لبس ثياب امرأة وترك امه توألف مجلس شيوخ من السماء (مجلس شيوخ وعشار) ومنهم الامبراطور ماكسيميان وهو حندي بالعرض وحبار قاس وسفاك كان يأكل على مايقال ٣٠ ليرة من اللحم ويترب عشرون ليرة من الحمر . وجاء رمن على هذه المملكة والدين بدعون الامبراطورية ثلاثون امبراطوراً انقطع كل منهم الى ناحية من المملكة (٢٧٨-٣٦٠) وسمى نفسه امبراطوراً فدعي هؤلاء الثلاثون بالثلاثين ظالماً .

وبنا جند البلاد مستولون يقتل بعضهم بعضاً كان يرى البرارة ان تخوم حالية من الحماية فيجنازون ارض الامبراطورية ويحربونها . وكان اقليم عالياً حصواً هو الذي يقاسي الامر من هذه العارات في القرن الثالث فتجنازها عصامات من الحاربين الجرمان كالالمان والفرنك واذا لم يحدوا فيها مدناً حصينة ولا حيوشاً هبوا المدن وحرقوها واحذوا ماشأوا من اهلها اسرى معهم ودبحوا الباقين . وقرصان السكسون يحربون شواطئ بحر المانش كان هذا القرن الذي انقضى في حروب قرن حرافات مكنت تجدي كل مكان اناساً يبدون ارباب المشتري مثل الرب ايزيس واوزيريس والرة الكبرى ولكن ميترا وهو رب فارسي رب عام اكثر من الارباب قاطبة في الامبراطورية . وميترا الشمس وهي مصورة في المصانع التي انتشت اكراماً لها وهي تصرع توراً وقد كتبت عليه ما يأتي : « للشمس التي تغلب الرب ميترا » وقد عثر على مثل هذه الرسوم في جميع اجزاء الامبراطورية . وعبادة الشمس ملبسة مبهمة وهي احياناً اشبه بالتمعار المصرية فيكون فيها عماد وولاء مقدسة ومسحة وتوبة وشموع ولا حل ان يقبل المرء في جملة اهل هذه العبادة يجب القيام باعمال من صوم ومحن وخوفه

(١) قدروا ان عدد الامبراطرة من القرن الاول الى الثالث ٤٥ مات منهم ٢٩ قتلاً

وقد كان دين ميترا في اواخر القرن الثالث الدين الرسمي في المملكة . ودان الامبراطرة والحيش بهذا الرب القهار ولهذا الرب في كل مكان معابد على شكل مغاور ذات مذابح ونقوش بارزة وكان في رومية ايضاً معبد حميم انتسأه الامبراطور اورليان . وكان من اشد الحاجات الماسة في ذلك العهد البقاء مع الارباب على صلح ووثام فاخترعوا حفلات لتزكية النفس فلبس المؤمن توناً ابيض مربنا بالذهب ويقعد في اسفل هوة فيطبقونها على رأسه بلوح من الحشب متقوب وبأتون بشور يقفونه على هذا اللوح فينخره النكاهن فيجري دمه من الثقب على انواب المؤمن ووجهه وتسعره . وكانوا يتقدمون ان هذا التعمد بالدم يطهر المرء من السيئات كافة ومن يجري له يكون كيوم ولدته أمه في حياة جديدة ويخرج من الحفرة شمع الصورة ولكنه سعيداً مغبوطاً .

احتلاط الاديان — احدثت الاديان كلها في هذا القرن الذي تقدم فيه فوز النصرانية على غيرها بالاحتلاط فنعبد الشمس تحت اسماء متنوعة (وهي التريسة وهليوس وعمل وايلكبال وميترا) وجميع هذه العبادات منسوخة بعضها عن بعض وكثيراً ما تجري على مثال العبادات النصرانية ومن اعظم الامثلة في هذا الاحتلاط الديني ما كان يتوفر عليه اسكندر سيفير الامبراطور المحتتم الطيب ذو الدمة فقد كان في قصره مصلى يعبد فيه المحسنين للانسانية وهم ابراهيم واورفيه ويسوع واولونيوس دي تيان .

ديوكسين — بعد مرور زمن في الحروب الاهلية قام امبراطرة تمكنوا من وضع حد للتعبد وكانوا قساة عاملين وجنداً ترقوا في درجات الجندية حتى اصبحوا زعماء وقواداً ثم صاروا امبراطرة . ويكاد يكون مستأً معظم اولئك الامبراطرة من ولايات نصف متوحشة كولايات الطوبة وابلدريا وبعضهم كانوا في طفولتهم رعاة او مرارعين . وكانوا في سذاجة اخلاقهم على مثال قدماء قواد الرومان ولما ظلمت وفود ملك فارس ان يروا الامبراطور ربوبس رأوه شبحاً اصلع يلبس عباءة صوف ويضطجع على الارض وبنناول حمصاً وتستم حنريز وكانت هذه سيرة كوربوس دانه توس قبل خمسة قرون

ولقد كان هؤلاء الامبراطرة اشداء على الحند فاحدثوا في الحيش نظاماً وفي البلاد اماناً ولكنه نشأت بحكم الضرورة ثورة اصرم نيرانها الامبراطور ديوكسين الذي تدرج من الجندية الى تولي مقام الامبراطورية (٢٨٥) ونازل عن الملك بعد ان نظم شؤون الامبراطورية .

ولم يعد يكفي رجل واحد لتولي الحكم في تلك البلاد المتسعة والدفاع عنها فاتخذ كل امبراطور له كما اتخذ ديوكسين من انسيائه واصحابه اثنين او ثلاثة يوازرونه

وعهد الى كل واحد النظر في جزء من مملكته . وفي العادة ان يُدعوا باسم « قيصر »
 ومجدت أحياناً ان يتولى امبراطوران متكافئان يدعى كلاهما باسم اعسطس ومتى هلك
 احدهما يحمله احد القياصرة اما الجيوش فلا تدفع ان تُنصب امبراطورة .
 واتسعت الولايات اي اتساع حتى ادى ذلك بدبوكسين الى تقسيمها فكان عددها
 ٤٨ ولاية في القرن الثاني فاصحت زهاء ٩٠ ولاية (وعدت غالباً سبع عشرة ولاية بعدان
 كانت سبعاً) وامسى الحرس الامبراطوري في رومية خطراً على البلاد فاستعاض
 الامبراطور دبوكسين عنه بفرقتين سماها فرقتي القصر .

المدينة الرومانية على عهد الامبراطورية

مدينة بومبي — ذكر بلين الفتي في كتاب له قصة توران بركان فروف (سنة ٧٩)
 الذي هلك فيه حاله بلين القديم . وكان المعلوم ان هذا البركان اخرج مدينتين صغيرتين
 ريتين وهما هركولانوم وبومبي ولكن لم يعرف احد موقعهما . واكتشفت في القرن الثامن
 عشر بالعرض مدينة هركولانوم معتاة طبقة من الحم تم كسفت مدينة بومبي مدفونة تحت
 طبقة من الرماد وحجر الكداس . وبديء بالبحث في هركولانوم فحفر فيها على تماثيل صغيرة
 جميلة ومدارج مخطوطة محروقة توصل العلماء الى حل بعضها ولكن حالت صعوبة
 العمل في الحم فوق الباحثون عن التوفر على ما كانوا يدوئوا به . وآثروا ان يحتوا في بومبي
 حيث يسهل برع الرماد وقد مضى القرن التاسع عشر باجمعه والهم متوفرة على برع الرماد
 عن المدينة حتى كادت تظهر بأسرها الآن كما كانت .

ظهرت بومبي للاظهار على ما كانت عليه قديماً وقد سقطت السقوف من ثقل الرماد
 وفر السكّان من كثير من البيوت عند وقوع هذا البلاء ثم عادوا يفتشون عن امم الاعلاق
 وانفس النفاس . وما رححت الحيطان قنمة ولم تمنع منها الاعلانات المكتوبة بالحجارة بل ما
 زلت ترى فيها الخطوط التي حطها المارة بالتمتع وسمت التوارع وبلاطها المحفور بسير المركبات
 والمجلات . وقد وجدوا ايضا على الرماد ما تركته تحت الدين هلكوا احتقاً من الرسوم
 وقد توصلوا بان جعلوا جبساً مائلاً في تلك الرسوم واحرجوها فكانت قوالب لتلك
 الاجساد الميتة .

العيثة الرومانية — تصور بومبي للفكر كيف كانت العيشة في المدينة رومانية صغيرة
 فتد كانت هذه المدينة حديثة البناء ذات شوارع مصفوفة مقطوعة الى زوايا قائمة ومبلطة
 ببلاط محكم الاجزاء ولها ارضنة الا ان الشارع الاعظم كان معوجاً ولمع من ضيقه ان
 كان يتمذر على مركبتين ان تلتقيا في وسطه .

ولم يكن للمساكن غير نوافذ صغيرة وقليلة تطلُّ على الشارع بل كانت للغرفة كلها نوافذ من وسط الدور يدخل إليها النور . وهذا عرفت ان الشوارع كانت محاطة بمحيطان ما عدا الشوارع الرئيسة وعلى طولها صفوف من الحوانيت يستأجرها السوق والباعة . وساحة المدينة متوسطة الحجم تحيط بها المباني والمصانع مثل ديوان مجلس شيوخ المدينة ومعابد صغيرة ومماكم وسوق مستوف ورواق ذو عمد وفيه كان يجتمع اهل البطالة وفيها داران للتمثيل حفر القسم الاعظم من الكبير منهما في أكمة وهو يسع خمسة آلاف منفرج والصغير يسع الما وحسمائة وفيها مشهد ذو درجات على شكل نصف دائرة « انفيتياتر » نقام فيه الالاعاب ويتصارع فيه المصارعون . وفيها ثلاثة حمامات عامة (على الاقل) لاصغرها وهو الذي حفظ اكثر من غيره مقصورة للاستحمام واخرى للحمام السفن وثلاثة للبارد وصوان (محل التياب) وليس في الدور غير احونة ومقاعد ومناديق وسرر وتعمدانات وكثير من المصاييح اد لم يكن القدماء بكثرون من الاتات . اما العرف فصغيرة ويجعلون الرينة كلها في قاعة الاستقبال الكبرى الا ان مصاييف اعنى اعياء السكان مبلطة بالفسيساء والحدران معتاة بصور جميلة فيها متاهد اساطير وتزيينات من الكاليل وازهار اما الحوانيت فخالتها تسعر بضعف التجارة والحوانيت ناعة المتشروبات اشارات مصورة وقد صورت في احداها صورة ناحوس (رب الكرمة) يعصر عنقوداً . وكتب على حانوت آخر : « هنا فندق يؤجر عرفة ذات ثلاثة سرر » وقد عتروا في تلك المدينة على مخبر فيه رحيان تداران باليد وعلى معمل لقصر التياب ودكان حلاق وبیت جراح وادواته من القلر (الخماس الاصفر) ومعمل نقش ودباعة .

المتشاهد — كان للمشاهد في حياة هذا الشعب العطل من الاعمال في رومية شأن يصعب علينا تصويره فكانت المشاهد كما في يونان عبارة عن العاب اي حفلات دينية وتعاقب المشاهد طول النهار وتعود من الايام التالية مدة اسبوع على الاقل . والمشاهد عبارة عن موعد لتواعد اليه الامة الحرة بأسرها وهما كانت تقام المظاهرات في حلال الحروب المدنية سنة ١٩٦ احذ المتفرجون بلسان واحد يهتفون : السلم . والمشاهد (الفرجة) كان بحسب ما تميل اليه النفوس في ذلك الزمن فقد مثل فيه ثلاثة امبراطرة فمثل كاليجولا في هيئة حودي ونبرون مثلاً وكومود مصارعاً . وللمشاهد ثلاثة اصرب وهي المرحز او المسرح (المرحم) والملاعب وشكل نصف الدائرة (انفيتياتر)

وكان المرحز على الاسلوب اليوناني والممثلون في المرحز قد جعلوا اوجها مستعارة على وجوههم يتخضون قصصاً احذوها من اللغة اليونانية . ولما كان الرومان يقدررون مثل

هذه الروايات قدرها لانها تعلق عن عقولهم وكانوا يؤثرون الروايات المضحكة الجافة المعروفة بالميم ولا سيما «البانتوميم» التي يستخصها الشخص دون ان يتكلم ويظهر عواطف الالتخاخص الذين يمثلهم بحركاته وسكناته . تمتد بين اكميتين من جبل افانين وبالاتين ساحه للسباق تحيط بها اروقة علتها مراق وادراج . وهذا المكان هو الملعب الاعظم اصبح يسع منذ وسعه نيزون ٢٥٠ الف متفرج . ثم وسع في القرن الرابع حتى صار صالحاً لاجلاس ٣٨٥ الف شخص وهناك كانوا يمثلون الفرحة التي يجيها السعب الروماني وهي سباق المركبات دات الاربعة الخيول فالركبة الواحدة تطوف الملعب من اقصاه الى اقصاه ثلاث مرات وعليها ان تقطع ٢٥ شوطاً في اليوم الواحد . وسائقو المركبات تبع لشركات تراحم كل منها الاخرى ويلبسون لواناً من الالبسة خاصاً لشركتهم فكانت الشركات اربعاً باديء بدء تم استحداث تسخين وهما الرقاه والخصر ولكليهما مشهورة في تاريخ التمرد . ولقد اولع القوم في رومية بسباق المركبات كما يولع الناس اليوم سباق الخيل حتى كان موضوع حديث النساء والاولاد ايضاً وكثيراً ما يتعصب الامبراطور لعريق دون آخر في السباق وتكون من النزاع بين الزرق والحضر مسألة سياسية

انتماً الامبراطور فسبازين على ابواب رومية بناء الكوليزة وهي عمارة ضخمة ذات طبقتين تسع سبعين الف متفرج كانت عبارة عن ملعب مستدير حول ميدان يصطادون فيه ويتقاتلون فاذا ارادوا الصيد يجعلون الميدان غابة يطلقون فيها الوحوش الكاسرة فيجني رجال مسلحون محراب يصيدونها . وكانوا ينوعون المشهد بجعل الحيوانات الكثيرة في هذا المكان ولا سيما النادر منها كالاسود والفهود والفيلة والديبة والجواميس والكركدن والزرافة والتمور والتامسيح . وظهر في الالعب التي احتفل بها الامبراطور يومى ١٧ فيلاً ٥٠٠ اسد في الميدان وكانت لبعض الامبراطرة دار لعرائب الوحوش . تم رأى القوم بدلاً من ان يجعلوا الرجال المسلحين امام الحيوانات ان يطلقوا الحيوانات على الرجال وهم عراة مقيدون . وشاعت العادة في جميع مدن الامبراطورية باستخدام المحكوم عليهم بالاعدام في هذه التسلية فافتربت الحيوانات ألوفاً من الناس من كل جنس وسن ومنهم كثير من شهداء المسيحيين على مرأى من الحضور .

المصارعون — كان قتال المصارعين (رجال بأيديهم السيوف) من اجل المشاهد الوطنية عند الرومانيين فينزل رجال مسلحون الى الميدان يتبارزون حتى يقتل بعضهم بعضاً وبلغ الحال بالرومانيين على عهد قيصر ان صاروا يقتلون ٣٢٠ زوجاً من المصارعين في آن

واحد وقد قتل اغسطس في حياته كلها عشرة آلاف رجل وقتل تراجان مثل ذلك سيف اربعة اشهر . وكان المغلوب يذبح في الحال الا اذا عفا الشعب عنه

وكثيراً ما ياتون باناس من المحكوم عليهم في ميدان الصراع ولكن المتصارعين يكونون في الغالب من العبيد واسرى الحرب وكل انتصار يجلب الى ميدان الصراع عصابات من البرابرة يقتل بعضهم بعضاً ليتلدد المتفرجون (١) وكان في رومية مصارعون من كل بلد فمنهم العاليون والجرمان والتراسيون وربما كان منهم الرنوج فيقتتلون بأسلحة مختلفة عن اسلحتهم الوطنية عادة . وكان يجب الرومان ان يروا هذه المقاتلات في صور مصغرة .

وكنت ترى بين هؤلاء القتلتين في الملعب اناساً من المتطوعة الاحرار حدا بهم حبهم للخطر ان يقدموا انفسهم للصراع وقواعد الفاسية وان يقسموا لرعائهم بانهم يقدمون ليصربوا بالمعدي ويحرقوا بالحديد المحمي ويقتلوا نقتيلاً . وقد تجدد غير واحد من اعضاء مجلس الشيوخ من هذه العصابات من العبيد والمشردين بل تجدد في زمرتهم الامبراطور كومود وبل الى الميدان بذاته . ولا نقام هذه الالاب الحطرة في رومية فقط بل في جميع مدن ايطاليا وعاليا وافريقية (اما اليونان فقد استنكفوا من قبول هذه الالاب) واليك صورة كتبت على تمثال اقيم لاحد اعيان لدة منتورن : « قد اظهر في اربعة ايام احد عشر زوجاً من المصارعين ما برحوا يقتتلون حتى بعد ان سقط نصفهم في الميدان وصاد عشرة دبة هائلة ولا شك انكم تذكرونه ايها الوطنيون الاشراف »

وكان التعب يهوى اهراق الدماء على نحو ما يجري اليوم باسبانيا في سباق الثيران . وبنبغي للامبراطور كما ينبغي للملك اسبانيا ان يحضر هذه المجازر . ولقد فقد الامبراطور مارك اوريل ثقة العامة في رومية لانه اظهر مملاً من مشاهدة تلك الالاب فكان يقرأ ويتكلم ويقابل الناس بدلاً من ان ينفرج . ولما صعب معه المصارعين لستخدامهم في قتال الدابة الذين هاجموا ايطاليا اوشكت الغوءاء ان تنرد وصرخوا قائلين : « انه يريد ان يسلبنا تسليةتنا ليضطرنا الى التفلسف »

المدارس = لم يخطر للقدماء قط ان يعلموا الاولاد كلهم فليس العبيد وحدهم بل السواد الاعظم من سكان الامبراطورية لم يعلموا القراءة . على انه لم يكن في المملكة (١) شكر احد الخطباء الامبراطور قسطنطين في خطاب رسمي القاها لانه قدم جيشاً برمته من الدابة الاسرى ليتصارع امام الجمهور ولانه استعمل قتل الناس لتسلية الناس . قال وليت شعري اي ظفر اجمل من هذا ؟

غير مدارس للاغنياء والوطنيين الرومانيين . وقلما نعرف المدارس التي يتعلم فيها أبناء الوطنيين والاجناد القراءة والكتابة . وقد كانت راتب معلم المدرسة قليلاً جداً وآباء الاولاد هم الذين يؤدون اليه راتبه . وطريقة التعليم عبارة عن ضرب الاولاد بقرعة او بالعصي . وقد مثّلوا في صورة وجدت في مدينة نوميدي ولداً يمسكه اترانه بينما كان المعلم يضربه بالسوط .

وتعلم الأسرار الغنية اولادها على مؤدب عبد يكون رومياً في الغالب فيعلمهم النحو واللغة اليونانية . والمدارس العامة تقبل التبان الاغنياء خاصة يرسلهم آباؤهم اليها يتعلموا فيها الخطابة . والعلماء المناير لم ينزع من الناس دوقهم في الخطابة ومراهم عليها . وعلى ذاك العهد بدأ المفوهون او الخطباء يكتبون ويعلمون الناس كيفية الاداء فافتخروا منذ القرن الاول في رومية مدارس يقبلون فيها الفتيان الاغنياء . وكان بعضهم يبرن تلاميذه على استاء المرافعات في موضوعات خيالية في الخطابة وقد حفظ لنا الخطيب سيميون عدة من هذه الدروس الخطابية وموضوعها اولاد مخطوفون ولصوص ومتشردون على اماليب مختلفة أسست على الولاء مدارس من هذا الطراز في جميع اقطار المملكة فكان في االيا مدرسة قديمة في مدينة مارسيليا اليونانية يقصدها الطلاب من ايطاليا . واصبحت مدرسة اوتون منذ زمن اعسطس عامرة اكثر من غيرها بالطلاب وهي التي بقيت عامرة الى آخر ايام الامبراطورية .

ثم أنشئت مدارس من هذا النوع في الشمال منها مدرسة في ريس واهرى في تريف . وكانت في الجنوب لعدة مدن مدارس من مثل هذه واشهرها هي التي اصبحت مدرسة بوردو بعد ذلك .

تنفق المدن على هذه المدارس فتعين لها الاساتذة وتدفع لهم اجورهم والمقصد الاول منها تعليم ابناء الاسرات الغنية التكلم باللاتينية واليونانية وان يكتبوا فيهما ليتمكنوا من ان يكونوا موظفين . ويعلم فيها النحو والبيان خاصة . وكان اشتهر استاذ في مدرسة اوتون في القرن الرابع الخطيب اومين ارسله الامبراطور قسطنطين وكان مدحه . واعظم رجل في مدرسة بوردو هو اوزون مربي ابن الامبراطور (٣٦٩) ومؤلف عدة مقاطيع شعرية لاتينية متكلفة .

الاشراف — دثرت الأسرات القديمة الغنية في رومية الا قليلاً ولكن قام غيرهم من الأسر الحديثة التي اغتنت بالصيرفة والتجارة والتزام الجباية واستئثار الاراضي المفتوحة . وكلما تمكن غني من ارباب الاملاك من ان يعينه الامبراطور حاكماً تشرف أسرته وبذلك شرفت

جميع الأسرات العبية في إيطاليا والولايات (حتى لم يبق في اواخر القرن الثالث اناس من الفرسان العاديين) وكان كل عظيم من كراء هؤلاء الملوك يعيش بين عبيده ملكاً صغيراً لا عمل له الا اتباع الشهوات وداره في رومية اشبه بقصر تنص غرفة التشريفات (الانزوم) كل صباح ناس من الرين (الرنات) وهم اناس من الوطنيين يحتفلون اليه لامورطفيفة صباح كل يوم يسلمون عليه بالسيادة ويسارون موكبه في الشارع . لان الاصطلاح يطلب ان لا يظهر العبيد امام الجمهور الا ويحيط به جماعة . وقد ضحك هوراس من احد القضاة لمروره بتوارع تيبور في خمسة من العبيد فقط . وللكبراء خارج رومية مصايف هجة على سواطيء المجر او في الجبال ينقلون فيها لا عمل لهم والضجر آخذ منهم

ولم تكن واجبات لبيوت هؤلاء الاغنياء من الرومانيين على العكس من بيوتنا الحديثة بل كانت كلها دائرة من داخل اما من الخارج فلم تكن سوى حيطان عارية لا شيء فيها والغرف صغيرة وفرشها قليل وهي مظلمة لا يدخلها الضوء الا من قاعة التشريفات وهي في وسط البيت وفيها نصبت تماثيل الاجداد وفيها يستقبل الروار ويدخل اليها النور من شق في السقف ووراءها البير يستبد وهي حديقة محاطة بصفوف من العمد وعليها تطل عرف الطعام مزينة انحرزينة وفيها سرر لخلوس الضيوف ويتناولون فيها الطعام لان ذلك كان من عادة اغنياء الرومان كما كان من عادة اليونان في آسيا . وكثيراً ما يكون بلاط الدار معمولاً بالفسيفساء .

الاخلاق — وصف سينيك في رسائله وجوفنال في اهاجيه الرجال والنساء في عهدها وصفاً مزعجاً حتى اصبح فساد رومية القياصرة مثلاً سائراً في الغابرين . على ان هذا ناشيء من دوام اضطرابات القرون الاخيرة للجمهورية مثل بذر الاغنياء الغليظ وقسوة السادة مع عبيدهم وطيش النساء المزوج بمنون . فلم يأت الشر من طريقة الحكم الامبراطورية بل من الافراط في جمع ثروات العالم اجمع بيد بضعة الوف من الاشراف او ادعياء الشرف وتحتهم بضع مئات من الاحرار يعيشون عيشاً سافلاً وملايين من العبيد يظلمون ظلماً هائلاً وكانت الاسرة الكبرى تندثر بسرعة حتى هال الامبراطور اعسطس ما رأى من نقص عدد الرجال الاحرار فسن قوانين لجل الناس على الزواج والعقاب على العزوبة واذ كان تأثير هذه القوانين يحتاج الى زمن لم تنجح اصلاً . واقد كثر عدد الاعزاب من الاغنياء حتى غدت مداهنتم من الصناعات الراجحة وذلك ليوصي لهم من يدهنون لهم بشيء من المال يأخذونه بعدهم . ومن حسن التدبير ان لا يرزق الغني ولداً فيكون محاطاً بالمرائين والمترين . قال احد القصصيين الروحانيين : « ينقسم الناس في هذه المدينة الى طبقتين

منهم من يصطاد ومنهم من يصاد» وقال سينيك : « ان في جرمان الاولاد زيادة نفوذ المرء » .

الطبقات النازلة — فقد اتميز بين الوطنيين الرومانيين والغرباء موقعه ومكانته اذ لم يعد في رومية انتخابات وشمل حق التملك على التدريج سكان الولايات . وجاء زمن على عهد كاراكالا (سنة ٢١٢) صدر فيه امر بمنح حق الوطنية لجميع سكان الامبراطورية ولم يشعر بهذا الامر كثيراً لان العمل كان جارياً عليه من قبل بالفعل

و يمتاز الرجل امتيازاً خاصاً بتروته التي يملكها ويقسم الناس الى طبقتين : الاغنياء ويدعون اشرف الشرفاء وهم اعضاء مجلس الشيوخ والفرسان واطباء مجالس الشيوخ في المدن وتأتلف منهم طبقة قواد العشرة اما بقية الشعب وهم العامة فيتألف منهم الفقراء المدفون والسوقة الحقيرون .

فاتصرف الاتراف وحدهم يحسبون في المجتمع وهم يقومون بعامة الوظائف المدنية وجميع موظفي الامبراطور من طبقة اعضاء الشيوخ او طبقة الفرسان وجميع حكام المدن من قواد العشرة . ولهم كلهم امتيازات رسمية ومحال خاصة بهم في دور التمثيل وحضور الحفلات واذا حكم عليهم بالاعدام لا يصابون ولا يلقى بهم للوحوش في المالب لان هذه العقوبات الخزية كانت خاصة بالغواة والعامة

ولقد عاش الفقراء في هذا المجتمع الارستوكراسي عيشة ضئلاً يعيش فقراء رومية من الصدقات العامة او بالاحتلاف الى الاغنياء ومداهنتهم وهذه العيشة كانت صراً مسنوراً من الاستحادة . ويصبح الفقراء في القرى مستعمرين في اراضي كبار ارباب الاملاك الذين يعاملونهم معاملة تقرب من معاملة العبيد وترى الفقراء في المدن صناعات او مرتقة ومنزلتهم منزلة المعنفين من العبيد . واذا حسنت حال المدينة يكون لهم نصيب في بوزعه الحكام من الصدقات ويدخلون بدور احرى الى مشاهد التمثيل والالاب والحمامات العمومية وكنت ترى في جميع المدن حمامات حارة مؤلفة من مقاصير للاستحمام ذات احواض تأتياها الحرارة من موقد جعل تحت الارض . والحمامات في مدينة رومانية كبحال الرياضة في المدينة اليونانية هي مكمل اجتماع من لا عمل لهم . بل كانت الحمامات في مدن الرومان اعظم من محال الرياضة عند جيرانهم اليونان مئات من المقاصير على اختلاف اجناسها من مقصورة باردة الى فاترة الى حارة الى صوان للثياب ومقصورة لذلك البدن بالزيت ومحل للحدادة ومقاصير للرياضة وحدائق يحيط بكل ذلك سور عظيم . وقد تغلت حرائب حمامات كاراكالا بالقرب من رومية مساحة عظيمة من الارض .

العبيد - وتأتي تحت طبقة الاحرار الفقراء الطبقة الاخيرة وهي طبقة العبيد الذين هم في بعض البلاد معظم السكان . والسادة من الرومانيين كالترقيين لهدنا كانوا يحبون ان يحيط بهم جمهور من العبيد . في البيت الكبير الروماني يعيش مئات من العبيد ينقسمون بحسب الخدم التي يتولونها منهم الموكلون بالفرس وتعد الاواني الفضية والاعلاق والتحف ومنهم حفظة للتياج ومنهم وصائف ووصيفات ومنهم القيمون على المطبخ والحمام ومنهم رؤيس المتكلم ومعاونوه ومنهم عبيد الموكب الذي يرافق سيد البيت وسيدته في التسارع ومنهم حملة الحففة (الحجارة) ومنهم الخوذيون والسواس ومنهم أمناء السر والقرناء والنساخ والاطباء والمرون والممثلون والموسيقيون وارباب الصناعات من كل صنف لانهم في كل بيت كبير يطحنون الدقيق ويحيكون الصوف وينسجون التياج . ومن هؤلاء العبيد من حبسوا انفسهم في المعامل يصنعون اشياء يبيعها سادتهم ويكون ربحها لهم ومنهم من يؤجرهم اصحابهم الى الخارج على انهم يذاؤون او بحارة فقد كان لكراسوس خمسمائة عبد من المهندسين . وكل هؤلاء يدعون عبيد المدن .

عبيد الريف - كل ملك (نفتيش) كبير يتوفر على زراعته عصاة من العبيد فهم الحرايون والرعاة وانكرايون والبسانثيون والصيداؤون يجعلون شراذم تؤلف كل شرذمة من عشرة اشخاص . ويلاحظهم وكيل منهم يهين عليهم . ويرى صاحب الملك ان من دواعي اعجابه ان تخرج ارضه كل شيء فهو لا يبتاع شيئاً وكل حاجياته تنبت في ارضه وهذا مما يجعلونه من جملة التناء على الاعنياء فصاحب الارض يؤوي اليه عدداً عظيماً من عبيد الريف كما يسموهم والملك الروماني اتبه قرية ويسمى مصيفاً (فيلا) وقد بقي اسمها مطلق عليه اسم مدينة (فيل) مد القرون الوسطى وهو الملك الروماني القديم مكبراً

معاملة العبيد - يعامل العبيد بحسب اخلاق سيدهم من السادة النورين الدين اشتهروا بالانسانية تسيرون وسييلك وبلين فقد كانوا يطعمون عبيدهم طعاماً جيداً او يحدونهم وربما اجلسوهم معهم على موائدهم ويسمحون ان يكون لهم اسرة وثروة صغيرة . وهناك سادة على العكس من هؤلاء عاملوا عبيدهم معاملة الحيوانات وعاقبهم اشد العقوبات بل ربما قتلهم لهوى في النفس . والامثلة على ذلك كثيرة . فقد كان مويوس بوليون عتيق اغسطس يطم السور البحري (سمك مريضة) في بركته فكسر له احد عبيده انية على غير قصد فما هو الا ان القاه في البركة ليكبر طعاماً لسمكه

وصف الفيلسوف سنيك فظائع السادات بهذه العبارة : « اذا سعل أحد العبيد أو عطس خلال المأدبة أو طرد الذباب متهاوناً أو رمى مفتاحاً وسمع له صوت نكلب في

الاقتصاص منه وأي كلب فادا اجاب رافعاً صوته قليلاً ودلت تلاييح وجهه على سوء خلق أبحق لنا ان نصر به بالسياط؟ وكثيراً ما نبالغ في الصرب ونقطع له عصواً ونقطع سنناً» وهكذا رأينا الفيلسوف ايبكتيت وكان عبداً أكسر مولاه سافه . اما النساء فلم يكن أيضاً على شيء من الشفقة واليك كيف امتدح ادفيد احدى العقائل قال . «مشطوا رأسها امامي مرات وماقط غرزت الابرة في ذراع العبد الذي يمتطها»

وما كان الرأي العام ليحول دون هذه الفظائع فقد مثل جوفال عقيلة غضبي على أحد عبيدها وهي تقول أصلوه - وأي جريمة أتاها العبد حتى استحق هذا العذاب؟ وما انحسه ودل العبد من البشر؟ وسواء أأتى امراً اذاً ام لم يأت فاني أريد عنابه وأمر به وارادتي هي الحجة في هذا الباب

اما الشريعة فلم تكن الطف من الاحلاق فكانت في القرن الاول قبل المسيح توجب بان صاحب البيت اذا ذبحان بقتل عبيده كلهم به . ولما أريد الغاء هذا القانون خطب ترازيا أحد معتبري الفلاسفة في مجلس الشيوخ مطالباً ببقاء هذا القانون .

وللعبيد مطبق تحت الارض يدخله النور من نوافذ ضيقة بعيدة بحيث لا يتيسر الوصول اليها فاذا اتوا ما يغضب ساداتهم يسجنونهم فيه بالليل وفي النهار يبعثونهم ليستغلوا مقيدين بسلاسل من حديد ثقيلة . وكثير منهم من وسمت وجوههم بحديدة محماة

لم يعرف القدماء المطاحن الميكانيكية بل كانوا يطحنون الخنطة بمطاحن باليد يديرها العبيد وكان ذلك من اسق الاعمال يُبدون اليها عقوبة لهم في العادة . وكانت المطحنة قديماً مثل محبس (لومان) وقال بلوت «كان يبكي اسقياء العبيد الدين يطعمون البولانتا (سويق من دقيق الدرة) وهناك يرن دوي الاسواط وقعقة السلاسل والاعلال» وبعد ثلاثة قرون أي في القرن الثاني بعد المسيح وصف القصصي اوليه داخل مطحنة بقوله: «ايها الارباب ما اتعس هؤلاء المساكين من البستر فقد اسودت جلودهم وتبرقتت من ضرب السياط ولا تستر ابدانهم غير خرق من قميص مدموعة جباههم مخلوقة رؤوسهم مقيدة ارجلهم مشوهة ابدانهم من النيران مقروضة جفونهم من الدخان وقد علام غبار الدقيق»

ولم يكن العبيد يكتبون ولذلك لانعرف ما هو رأيهم انفسهم في معاملتهم ساداتهم لهم . الا ان الموالي انفسهم كانوا يشعرون بحقد عبيدهم عليهم . ولما انتهى الى بلين لجون ما اصاب احد ارباب الاملاك من ذبحه في حمام بيد عبيده قال ملاحظاً : «هو ذا الخطر الذي يتهددنا كلنا» . وقال كاتب آخر: «اصبح كثير من الرومان عرضة لحقد عبيدهم أكثر من حقد الظالمين»

الشركات — كان في جميع بلاد الامبراطورية في الشرق اليوناني أكثر من الغرب اللاتيني عدد كبير من الشركات مختلفة الضروب والاشكال . فمنها شركات لارباب الصناعة الواحدة وشركات للممثلين والمصارعين وشركات ادبية وشركات لاجتماع السكيرين على الشراب ولبعض هذه الشركات أعضاء من الرجال الاغنياء مثل جمعيات الجبابة وكان اعضاؤها يلتزمون الاموال الاميرية . ومثل جمعيات التجار الذين يتجرون بين ايطاليا وعليا ولكن معظم تلك الجمعيات كان مؤلفاً من صعايلك القوم .

ولقد طال منع الحكومة الرومانية لهذه الجمعيات والشركات ثم تسامحت بها حتى اذا كان القرن الثالث اخذت تمد اليها يد مساعدتها ولكن الحكومة لم تمنع قط الجمعيات لدفن الموتى وكانت هذه الجمعيات ثنائف من اناس مساكين لا يستطيعون ان يقتنوا ارضاً لتكون لهم قبرا فكانوا يشتركون ويدفعون اقساطا للحصول على سرب يكون مشتركاً بينهم ليدفنوا فيه امواتهم . فالمغارة او السرب المعد لدفن الموتى هو عبارة عن بناء مقبب وفيه صفوف كثيرة من المقاصير يجعل في كل واحدة منها رفات ميت ويسمون بها برج الحمام بسبب شكلها .

وعلى هذا كان اعضاء جمعية الموتى على ثقة من الحصول على مدفن لائق بعد موتهم وقبر دائم لهم على الدهر وهو ما كانت القدماء يحرصون عليه كل الحرص ويسمون هذه الشركات لا بأسماء حرن لئلا تكون شؤماً بل يسمونها باعماء ارباب ويسمونهم اشركات الصفار وكان يدخل فيها كثير من العبيد وتجعل جميع الشركات الا قليلا تحت حماية احد الارباب ليحميها (مثل جمعيات الاطباء التي اطلقوا عليها امم اسكولاب) وما كان لكثير من هذه الشركات من اية الا ان يتعبدوا كلهم جماعة . والحكومة لاتدر الارزاق الا على المعابد والكنهة وبعض التعمائر الرسمية . وجميع الاديان الاخرى كانت منظمة على هيئة جمعيات . ولاهله صندوقهم وكنهنهم ومصلاهم ومذبحهم وحفلاتهم . وكانت الكنائس النصرانية اولاً شركات من هذا النوع .

واهم الشركات شركات ارباب الصناعات فكان منها في عامة المدن حتى ان العواصم كان فيها عدة شركات من نوعها واعضاؤها في العادة من ارباب الصناعة الواحدة وتسمى كل شركة باسماء صناعات اعضائها فقد كان في افيز شركة حلاجي الصوف وفي جنيف شركة الملاحين وفي ليون شركة عملة البناء . ونقبل كل شركة في اعضائها اناساً من اهل صناعة اخرى . ومن العادة ان يكون لكل شركة عبادة فتعبد رباً وتقيم عيداً للاحتفال به يحملون فيه علمه (ودامت هذه العادة في القرون الوسطى في شركات الصناع المسيحيين) وهذه

الشركة تقوم بدفن أعضائها متى ماتوا في مدافن لائقة . ولكل شركة مديران يختاران من المعلمين ويكونان في العادة وكبلا وامين صندوق لاختيها الاعضاء كلهم الا انه لم يكن لها ادنى سلطة على ارباب الصناعة وما كان يكره احد على الدخول معهم

الحقوق الرومانية

دين البيوت — يعبد اعضاء كل امرة باجمعهم اجدادهم ويحتمعون حول مزار واحد فار بابهم واحدة ولم وحدهم ان ينظروا اليها ولا يحق لاحد ان يعبد اجداد أسرة الا اذا كان من فرع اولئك الحدود . ويقام المزار الذي يجعل فيه ارباب البيت في مكان منفرد من الدار لا يقترب منه غريب . والاسرة الرومانية اتبه بكيسة صغيرة لها دينها وعبادتها لا يقبل فيهما احد غير اعضاءها ولذلك تختلف كثيراً عن الاسرة الحديثة لان نظامها ديني .

الزواج — اخذ الزواج الروماني يصير احقلاً دينياً فيسلم الاب انته المخطوبة الى خارج الدار فتحمل في موكب الى دار زوجها والناس يرددون كلمة مقدسة وهي : « العرس ايتها العروس » حتى اذا جاؤا بها الى دار زوجها يقدمون لها الماء والنار وهناك يقسم الزوجان بحضور ارباب الاسرة قطعة من الحلواء معمولة من الحواري وكان يسمى الزواج اذ ذاك شركة الحلواء .

وتد اترع الرومان منذ الزمن الاطول ضرباً من الزواج يسوغ للطبقة الوسطى فقط وهو اما ان يبيع المخطوبة احد اوليائها واقربائها بحضور شهود من قبل زوجها ويصرح هذا بانه ابتاعها على ان تكون زوجته وهذا زواج البيع واما ان تنجب الزوج فتساكن زوجها ومتى قضيا سنة معاً يعتبران متزوجين وهذا الزواج بالعادة

الرومان كاليونان يرون الزواج فرضاً دينياً والدين يأمر بان لا تندتر الاسرة . وعند ما يتزوج الروماني يصرح بانه اتخذ زوجته ليكون له منها اولاد . وقد طلق احد اشراف الاعنياء زوجته وكان يحبها حباً جماً لانه لم يرزق منها اولاداً .

المرأة — ليست المرأة الرومانية حرة اصلاً فهي في سبيتها ملك ابائها يختار لها زوجاً واذا تزوجت يصير امرها بيد بعلمها ويقول الفقهاء انها في يده وانها مثل انتة . وبالجملة فللمرأة سيد على الدوام بيده موتها وحياتها .

ومع هذا لم يعاملوا المرأة قط معاملة الرقيق بل هي مساوية في المكانة لزوجها ويدعونها أم الاسرة كما يدعون الرجل أباً الاسرة فهي سيدة في البيت كزوجها تسيطر على الساء الرقيقات فتكلفهن بجميع الاعمال الشاقة كطحن الحب وخبز الخبز وعجنه . وتجلس في قاعة الشرقيات من الدار لتسج وتحيك وتوزع الاعمال بين الاماء وتلاحظ الاولاد وتدير

سوثون البيت . وليست المرأة الرومانية كالمرأة اليونانية بميدة عن الرجال بل لتناول الطعام على المائدة مع زوجها وتستقبل الزائر وتذهب لتناول الطعام في المدينة وتظهر امام الناس في الحفلات وفي دور التمثيل وامام المحكمة . الا انها في العادة تكون جاهلة امية وذلك لان الرومانيين لا يهتمون بتعليم بناتهم . واهم صفة يعتبرونها في المرأة ان تكون زاهدة فاذا ماتت يكتبون على قبرها اشارة الى مدحها : « انها التزمت بيتها ولم تخرج منه وعرات الصوف » الاولاد — الولد الروماني لا ييه بمثابة ملك له وللوالد الحق في ان يعرضه في الشارع فاذا اخذه يربيه في بيته اولاً والبنات يقين في البيت ريثا يتزوجن وهن يغزلن ويحكن تحت ملاحظة امهاتهن والبنون يعملون في الحقول مع آبائهم ويتبرنون على استعمال السلاح ليس الرومان شعباً مفسداً في الصناعات وغاية امانيتهم ان يعرف ابناؤهم القراءة والكتابة والحساب وهم لا يطلبون على ذلك مزيداً فلا يعلمونهم الموسيقى ولا الشعر وبلقونهم القناعة والصمت والحشمة في ما تلبسهم والطاعة في منازلهم .

ابوالعائلة — ان من يطلق عليه اسم سيد البيت بدعوه الرومان ابا الاسرة . فابو الاسرة مالك للاملاك وكاهن في عبادة الاجداد وسultan الاسرة فهو الحاكم المتحكم في بيته يحق له ان يطلق زوجته ويطرد ابنائه وان يبيعهم ويزوجهم بدون ان يأخذ رأيهم . ويحق له ان يستأثر بما يملكونه لنفسه بل وكل ما تحمله اليه زوجه وكل ما يكسبه اولاده . اذ لا يدوخ للمرأة ولا لاولادها ان يملكو شيئاً وبالجملة فيبيده حياتهم ومماتهم اي انه قاضيتهم الوحيد . ان ارتكبوا جريمة قرب الاسرة يحكم عليهم لا الحاكم .

اصدر مجلس الشيوخ (١٨٦) الروماني امره ذات يوم باعدام جميع من اشتركوا في الاحتفال بعبادة باحوس فنفذ الحكم على الرجال . اما النساء اللاتي اشتركن في الحفلة مع المجرمين فعمد المجلس الى آباء الاسرات في امرهن وهم الذين اعدوا نساءهم وبناتهم . كان الشيخ كاتون يقول « ان الزوج قاضي امرأته له ان يعمل بها ما يشاء فاذا ارتكبت غلطاً يعاقبها واذا ثاولت خيراً يحكم عليها بالاعدام واذا حانت يقاتلها » ولما كان كاتالينا يكيده المكاييد لمجلس الشيوخ لاحظ احدهم ان ابنه اشترك في المكيدة فوقفه وحاكمه فحكم عليه بالموت . وتدوم سلطة ابي الاسرة بدوام حياته والاين لا يخلص من عبوديته له حتى انه اذا اصبح قنصلاً بظلاً خاضعاً لسلطة ابيه . ومتى مات الاب يصبح الاولاد اصحاب بيوت اما امرأته فلا تكون حرة اصلاً بل تكون تحت سيطرة ورث زوجها بل تخضع لابنها نفسه المثلث == كانت الثروة في القرون الاولى لرومية عبارة عن ماشية وعبيد خصوصاً واللفظ الذي دلّ بعد على الدراهم معناه قطع . ويسمى المالك رب الاسرة . ومن المحتمل

ان الارض لم تكن تنتقل بالارث لان لفظة ارض عندهم تدل على ارض مساحتها فدانان وهو المكان الذي يكفي لانشاء بيت وحديقة . ولم يلبث الرومانيون ان قبلوا عادة اعتبار المالك لحقل صاحباً له . وعندئذ وضع حق التملك للماشية والعبيد والاراضي والبيوت وكانوا يعرفونه بانه حق الانتفاع والتخريب (الاستعمال وسوء الاستعمال)

تم صار لهذا الحق ان يتناول كل شيء من الحاجات والالات والدرهم والعقود والديون وحقوق الاستمتاع . ويجب على من اراد ان يملك شيئاً ان يملكه على الصورة التي عينتها العادة . واليك ملامك كيف تحري صفقة المبيع : يضع البائع امام خمسة من الوطنيين ينوبون عن مجمع ومعهم سادس يسد الميزان بديه قطعة من الحاس في هذا الميزان تعادل ثمن المبيع . فاذا اكل هذا حيواناً او عبداً يسكه البائع بيده ويقول . هذا لي بموجب القانون الروماني ابتعته بهذا الحاس الموزون وزناً حسناً .

ثم ابتدعوا طرقاً اسهل لقل الملك من يد الى يد فصاروا يكتفون بدفع المبيع الى المتنازع . وهذه الطرق لا تملك تملكاً رسمياً بل يكون المقتني للملك متمتعاً به ولكن هذا التمتع يحوله نفس الحقوق كما لو كان مالكا رسمياً له .

ولصاحب الملك الحق في ان يعطي املاكه بعده لمن يشاء واذا لم يوص بشيء من هذا القبيل يقسم اولاده تروته واذا اراد ان يغير نظام الوراثة يكتب وصيته . وكان يجري ذلك بمجلس امام مجلس الامة زمناً طويلاً ثم اصطلحوا على صورة متكلفة في البيع كأن يبيع المالك ماله لمن يريد ان يجعله وريثاً له وانتهت الحال بان اصبحوا يكتفون بوصية مسطورة وكان يحق لصاحب الملك خلال القرون الاولى ان يوصي لمن يشاء وان لا يترك شيئاً لاولاده ثم اكره القضاة آباء الاسر بالتدريج على ان يوصوا لكل واحد من اولادهم بقسم من تروته فآخذ ينال كل ولد قسماً من الارث .

الواح الوصايا الانتا عشرة = لم يكن عند الرومان في مبداء امرهم كسائر الشعوب القديمة شرائع مكتوبة بل كانوا يجرون على عادات الاحداد اي ان كل جيل يجري في كل شأن من شؤونه كما جرى الجيل السالف . وقد سنَّ حوالي سنة ٤٥٠ عشرة احكام متخفين شرائع كتبوها في اثني عشرة لوحة من الحجر . وكانت هذه شريعة الاتني عشرة لوحة أنشئت احكاماً موجزة شديدة قطعية وما هي الا ثقتين جاف قاس مثل الشعب النصف البربري الذي وضع له . فموجب هذه الشريعة يعاقب الساحر اذا تلا كلمات سحرية ومزعى حقله بغلة جاره . واليك حكم هذا القانون في المدين الذي لم يؤد ما عليه من دين : « اذا لم يدفع يرفع امره الى القضاء واذا عاقه المرض او السن عن الحضور يركب حصاناً او

محفة ويمهل ثلاثين يوماً فإذا لم يوف ما عليه يربطه الدائن بسبور او سلاسل وزنها ١٥ لبرة و بعد ستين يوماً يبيعه فيما وراء نهر التير وللدائنين اذا تعددوا ان يقطعوا المدين ارباً ارباً ولا غبن اذا قطعوا منه قليلاً او كثيراً قال شيشرون كانت شريعة الاثني عشرة لوحة منبع التقنين الروماني باسره وكان الاولاد في المدارس يستظهرونها بعد اربعة قرون من وضعها .

الاشارات في الدعاوي — لا يكفي بموجب هذا القانون الروماني القديم اتفاق الانتخاب في مسائل البيع والشراء والارت فلا يكفي لاجل احد حكم المحكمة الرومانية ان يعرض الانسان قضية بل يجب عليه ان يلفظ عدة كلمات ويقوم ببعض اشارات تقضي بها العادة وكل قضية تقام امام المحكمة يجري تمثيلها بالاشارات . فللطالب بشيء يسكه المدعي يده والاحتجاج على حار رفع حائطه على جاره يرمون بحجر على هذا الحائط . وهالك مايجري اذا اختلف اثنان في ملكية حقل . يأخذ الحصان بايديهما كأنهما يريدان ان يتضاربا ثم يفترقان ويقول كل منهما : « اصرح بان هذا الحقل لي بموجب حقوق الرومانيين فانا ادعوك باسم محكمة القاضي الى مكان الحقل ليفصل فيه بيننا » فيأمرهما القاضي ان يذهبا الى الحقل قائلاً لهما : اذهبا فهذا طريقكما امام الشهود الحاضرين . فيخطو المتخاصمان بضع خطوات كأنهما ذهبا وفي ذلك رمز الى ذهابهما . فيقول لهما احد الشهود : ارجعا . وبذلك اشارة الى اهمها ذهبا الى الحقل فيقدم كل من الحصين مدرة من التراب وهي اشارة للحقل . وهكذا تبدأ الدعوى وعندئذ يستمع القاضي للمتخاصمين . والرومانيون كسائر الشعوب القديمة لا يحسنون فهم غير ما يقع تحت انظارهم فبالمداريات يتتلون الحق الذي لا يرى .

ولقد كان الرومان يحترمون هذه الاشكال القديمة من الاحكام من وراء الغاية فكانوا في القضاء كما هم في الدين يطيعون نص القانون دون ان يهتموا بالبحث عن معناه وعندهم ان كل دستور مقدس تجب المبالغة في تنفيذه ومن الحكم الجارية في قضاياهم ان كل مايفوه به اللسان يكون حقاً . فاذا غلط صاحب الدعوى في ايراد مدعاه يخسر قضيته واذا اقام رجل قضيته على جاره لانه قطع له كرمه يجب ان تكون الصورة التي يوردها امام المحكمة حاوية لكلمة « شجرة » فاذا استعاض عنها بكلمة « كرم » لا يحكم له .

واحترام هذه المراسم على اطلاقها فتح للرومانيين سبيل الوفاق الغريب في امور كثيرة فالشريعة تقول ان الاب اذا اباع ابنه ثلاث مرات يحرر الولد من سلطة ابيه ومتى اراد روماني تحرير ابنه يبيعه ثلاث مرات متوالية وهذا العمل المضحك في بيعه يكفي لتحريره .

وكانت الشريعة تقضي قبل البداءة بحرب ان يرسل مناد ينادي بها على تخوم العدو . ولما أرادت رومية اعلان الحرب على بيروس ملك ابير الذي كانت مملكته في عبرالادرياتيک رأّت الحكومة الرومانية للقيام بهذه المصطلحات ان يبتاع احد رعايا بيروس . وربما كان من الأبقين من الجندية حقلاً من رومية واوهموا بان هذا الحقل اصبح ارضاً من بلاد ابير وراح المنادي بلقي فيها حرباً ويدعو فيها للحرب علناً . وكان الرومانيون مثل جميع الامم الفتية يعتقدون بطلاً ان للراسيم المقدسة فضيلة سحرية

الفقه — كانت شريعة الاثنتي عشرة لوحة والشرائع التي وضعت بعد موجرة نائفة فكانت تعرض مسائل كثيرة لاحل لها في قانون من القوانين الموضوعة . ففي مثل هذه الاحوال الصعبة كانت العادة متبعة ان يعتمد الى الاحد برأي بعض استخاص استهروا بمعرفتهم في مسائل الحقوق . وكانوا من اهل الاعتبار ومنهم قناصل قدماء او احبار فيكتبون آراءهم كتابة وتسمى فتاويهم اجوبة العقلاء . ومن العادة ان يكون لهذه الاجوبة شأن وقيمة لان استجابها للحكماء على جانب من الاعتبار والحرمة . وقد زاد الامبراطور اغسطس بان عين بعض هؤلاء الحكماء وقرر ان تكون اجوبتهم قانوناً يعمل به . وعلى هذا صار الحقوق علماً وعلماء الحقوق او الفقهاء المشرعون يضعون القواعد الجديدة التي أصبحت سارية فنتاً بذلك علم الفقه

أمر القاضي — دعت الحال في رومية الى نصب حاكم اعلى لينفذ قواعد الحقوق المقدسة وللتنصل أو القاضي فقط ان يدير شؤون محكمة او يحققان الحقوق . واذ كان القناصل يعنون بقيادة الحيوس فهم يعمدون في العادة بالنظر في الحقوق الى القضاة . وكان في رومية قاضيان حاكمان على الاقل يفصل احدهما في المسائل التي تحدث بين الوطنيين ويسمى قاضي المدينة وينظر الآخر في الدعاوي التي تنشأ بين الوطنيين والاجانب ويسمى قاضي الاجانب وهناك محكمتان لان الغريب لا يحاكم امام محكمة الوطنيين .

وهذان القاضيان بالنظر لما لهما من السلطة المطلقة بفصلان القضايا على ما يترأى لهما . بل ان قاضي الاجانب لم يكن مقيداً بقانون لان الشرائع الرومانية لم توضع الا للوطنيين الرومانيين . ولما كان كل قاض يتولى منصبه في القضاء سنة واحدة فهو يكتب عند دخوله امراً يبين فيه القواعد التي ينوي اتباعها في الاحكام ويسمون هذا الامر امر القاضي . وبعد سنة عند ما تنتهي مدة القاضي يسقط قانونه فيبقى خلفه ان يسن قانوناً مخالفاً لقانون سلفه جملة واحدة ولكن جرت العادة ان يحتفظ كل قاض بما صدر عن اسلافه من الاوامر فيدخل فيها بعض التبديلات ويضيف اليها بعض زيادات . وهكذا تجتمعت أوامر القاضي

قروناً . ثم انتأ الامبراطور هاردن في القرن الثاني « براءة القاضي » وجعلها قانوناً مرعي الاجراء .

واذ كان هناك محكمتان منفصلتان احدهما عن الاخرى وضعت قاعدتان متباينتان وقانونان مختلفان فتتألف من القواعد المتبعة التي يجري عليها قاضي المدينة في مسائل الوطنيين الحقوق المدنية أي حقوق المدينة ومن القواعد التي يجري عليها قاضي الاجانب ثنائياً حقوق الناس اي الشعوب (العربية عن رومية) فادرك القوم اذ ذاك ان عدل هذه القواعد في الحقوق وابسطها واعقلها وبالاجمال افضلها الحقوق الاجنبية وان حقوق الوطنيين المأخوذة ضمن قواعد محصورة عن قدماء الرومان كان فيها خسونة وقواعد بربرية . اما حقوق الناس (الاجانب) فكان اساسها على العكس عادات التجار وعادات أناس من بلاد مختلفة زلوا رومية وهي عادات سالمة من كل سائبة وهم وطني أخذت بكرور الايام وافرها الاحتبار قروناً كثيرة . ورأى القوم كيف كانت الحقوق القديمة مخالفة للعقل . فقد جاء في بعض الامثال الرومانية «ان الحق الناصع هو الذي نضه سلطنة عليا ظالمة» وعلى هذا أنشأ قصاة الوطنيين يصححون القانون القديم ويمكنون باحكام العدل حتى بلغوا بالتدريج ان يعمدوا في الوطنيين نفس القواعد التي كان قاضي الاجانب يجري عليها في محكمته .

متال ذلك ان القانون الروماني يقضي ان يرت الاقارب من الذكور فقط الا ان الفاخي دعا الاقارب من النساء ان يشتركن في الارث . ويقضي القانون القديم بان لا يكون المرء صاحب ملك الا اذا قام بالاحتفال في المبيع فاعترف القاضي بانه يكدى المبيع ان ينفذ البائع بمن مالباعه وان يصع يده على الملك حتى يعد مالكا - وانت ترى ان حقوق الاجانب تعلبت على الحقوق المدنية وأبطلتها

القانون المسطر - أنشئت الحقوق الرومانية على عهد الامبراطرة خاصة فاصدر الامبراطرة الاطونيون كثير من الاوامر والالواح وكانت هذه رسائل تصدر عن الامبراطور جواباً عن الموظفين الذين يستظلمون طلع آرائهم فيساعدهم على القيام بهذا الاصلاح القضائي اناس من المتشرعين عندهم وظل بعض المشرعين في أوائل القرن الثالث زمن من حسنت سيرتهم او ساءت من الامبراطرة يضعون القوانين الجديدة في الحقوق ويصلحون ما وجدوه منها قديماً . ومن أشهرهم بانين واولبين ومودستين وولس فان تأليفهم هي التي كانت أساساً للحقوق الرومانية بعد

وهذه الحقوق التي نظمت في القرن الثالث لاشبه بينها وبين الحقوق الرومانية القديمة بحال من الاحوال اذ القديمة لم تكن ترحم الضعفاء فاقبلس المتشرعون افكار فلاسفة اليونان

ولا سيما الرواقين منهم وذهبوا الى ان الحرية حق طبيعي لكل من يولد حراً أي ان العبودية مخالفة للطبيعة ولذلك رأوا انه يحق للعبد ان يطالب انصافه حتى من سيده وان هذا اذا قتل عبده يجب ان يعاقب عقاب القاتل وكذلك حموا الولد من ظلم ابيه وهذا القانون الجديد هو الذي سموه بعد بالقانون المـسـطور وهو في الحقيقة قانون جروافيه مع الفلسفة على نحو ما يأمر به العقل الباس كافة ولدا لم يبق فيه اثر للقانون الخائر المعروف بقانون الاسخي عشرة لوحة . فليس القانون الروماني الذي حكمت به بلاد الامبراطورية باسرها زمناً طويلاً ذلك القانون الذي لم يبرح بعضه داخلياً في قوانيننا بل هو قانون قدماء الرومان وضع بحسب عادات جميع الشعوب القديمة ونسخ فيه على مثال الحكم الماثورة عن حكماء اليونان ثم مزج كل ذلك مزيجاً واحداً وكتبه اناس من الحكماء والفقهاء الرومانيين قروناً طويلة

النصرانية

تعاليم المسيح (عليه السلام) = كان الاسرائيليون ينتظرون المسيح من نسل داود ملكاً لهم ومخلصاً فظهر عيسى في الناصرة في ولاية صغرى من الشمال اسمها الجليل لاتكاد تعرف بانها يهودية . ولد من اسرة وضعية تحترف بالتجارة . فسماه اتباعه من الروم المسيح اي الممسوح يعنون الملك الممسوح بالرب المقدس كما دعي السيد والرب والمخلص . كلنا نعرف الديانة المسيحية . فيكني اداً ان بين ماهي التعاليم الجديدة التي نشرتها في العالم . فقد اوصى المسيح اولاً بالحبة فقال « انك تحب الرب الهك من كل جوارحك وفكرك وستحب قريبك كما تحب نفسك فجميع الشريعة وتعاليم الانبياء داخلة في هاتين الوصيتين » فمن الواجب محبة الغير واسعادهم ومتى قضى الله بين عباده يجعل على يمينه من اطعموا الجياع وسقوا العطاس وكسوا العراة . ويقول المسيح لمن يريد اتباعه اولاً : « اذهب فبيع مالك وادفعه للفقراء ولقد كان القدماء يعتبرون للشريف والغني والشجاع هو الرجل الصالح الا ان هذا الاسم تغير معناه منذ جاء المسيح فاصبح الرجل الصالح هو الذي يحب غيره . فعمل الخير هو محبة الغير والسعي في نفعهم . والاحسان (وهو باللاتينية مرادف للحب) اساس التقوى . وغدت لفظة محب مرادفة للفتة محسن . وضع المسيح تعليمه في الاحسان بدلاً من التعليم الاسرائيلي القديم في الانتقام فقال « عرفتم بانه قيل العين بالعين والسن بالسن اما الآن فاقول لكم اذا ضربكم احد على خدكم الايمن فقدمو له الايسر . وقيل احبوا قريبكم وانفضوا عدوكم اما انا فاقول لكم احبوا اعداءكم وافعلوا الخير مع من يفضونكم وباركوا لمن يضطهدونكم لتكونوا ابناء ابيكم الذي في السماء الذي ينزل المطر على العادلين والظالمين

حتى ان المسيح وهو على الصليب استغفر لجلاديه فقال : اعف عنهم يارب فانهم لا يعرفون ما هم فاعلون .

احب المسيح الناس قاطبة . ومات لا من اجل شعب واحد بل من اجل الانسانية كلها . وما قط ميز بين الاتحاص فكلهم سواء امام الله . ولقد كانت الاديان القديمة حتى دين اسرائيل دين شعب يحتفظ به ويكتمه بعناية احتفاظه بكنز تمين دون ان تحده نفسه في تبليغه شعباً آخر فقال المسيح لتلاميذه اذهبوا اذاً وعلّموا جميع الامم .

وبعد ذلك قام بولس احد الحواريين وقرر تعليم المساواة النصرانية بقوله : « لم يبق اولون ولا آخرون كما لم يبق روم ولا يهود ولا مطهرون ولا قلوب ولا برايرة ولا عبيد ولا احرار فقد اصبح المسيح هو الكل في الكل . »

كان القدماء يذهبون الى ان الثروة تعلي شأن الانسان و ينظرون الى ان الكبر عاطفة شريفة فقال المسيح : « طوبى للفقراء فان لهم ملكوت السموات » « من لم يتنازل عما يملكه لا يكون تلميذاً لي » حتى انه هو ايضاً كان ينتقل من مدينة الى مدينة ولا سبيل له ولا لبد وعند ما كان تلاميذه يهتمون للمستقبل كان يقول لهم « لا تقلقوا لما تأكلون ولا لما تلبسون والقوا بانظاركم الى الطيور في السماء فهي لا تزرع ولا تحصد ومع هذا فان اناكم السماوي متكفل برزقها »

وعلى المسيحي ان يحقر الثروة وان يشتد في الازدراء بالعظمة . كان تلاميذه يتنازعون ذات يوم فيمن يكون له المقام الاول في السماء فقال . « ان اعظمكم هو الذي يخدم غيره لان من يرتفع يسقط ومن يسقط يرتفع » وما زال البابا الى اليوم وهو خليفة القديس بولس يدعى بمحادم خدمة المولى . كان المسيح يؤثر ان يجتذب اليه المساكين والمرضى والنساء والاولاد بلي والضعاف والمحرمين واحترار حواريه من عامة الناس وكان يكرر على مسامعهم « تلطفوا واينوا قلوبكم »

ملكوت الله — كان المسيح يقول انه جاء الى الارض ليؤسس ملكوت الله . فظن اعداؤه انه طامع في ملك وعند ما صلب كُتبت على صليبه هذه العبارة : « يسوع الناصرة ملك اليهود » وهذا كان خلاف ما يقصده . فقد صرح المسيح نفسه بان ملكوتي ليس في هذا الارض . فلم يجيء ليقالب الحكومات ولا ليصلح المجتمع واجاب من سأله فيما اذا كان يجب اداء الجزية للرومانيين بقوله : « ادفع ما لقيصر لقيصر واد ما لله لله . ولذا رضي المسيح بما رآه موجوداً وعمل على تهذيب نفسه وتكميلها لا على اصلاح المجتمع ولا لاجل ان يفوز المسيحي بمرضاة الله ويكون اهلاً لبلوغ ملكوته لا يقتضي له ان يقدم

النذور ويقف عند حد ما رسمته الشريعة كما فعل الفريسيون اليهود او عبدة الارباب القديمة « فان المتعبدين الحقيقيين يعبدون اباهم بالفكر وبالْحَقِيقَةُ » وكلمة المسيح هي جماع آدابهم وهي : « كونوا كاملين مثل ابيكم الذي في السموات فانه كامل »

الحواريون — عهد الى الاثني عشر حوارياً الذين كانوا ملتفين حول المسيح ان يبشروا بتعاليمه في الامم باسرها . فدعوا بالحواريين (المرسلين) سكن معظمهم القدس ودعوا الى دينهم في ارض اليهودية . وكان المنتصرة الاول من الاسرائيليين .

وكان شاول اول من دان بالنصرانية وحف يحمل تعاليم هذا الدين الى امم الشرق فقضى بولس (هو الاسم الذي اتخذه) حياته يطوف المدن اليونانية في آسيا الصغرى وبلاد اليونان ومكدونية داعياً الى الدين الجديد لا الاسرائيليين فقط بل ابناء الامم الاخرى قائلاً كنتم فيما سبق بدون المسيح بعيدين عن المحالقات والوعود وها قد التأم تنحلم بدم المسيح لانه هو لا يميز بين السبعين وينظر اليهما كأنهما شعب واحد . ولم يعد من حاجة ان يكون المرء اسرائيلياً حتى ينتحل النصرانية فان الامم الاخرى التي نبذتها شريعة موسى قد تقاربت فيما بينها بفضل شريعة المسيح . وهذا الامتزاج هو بصنع القديس بولس ولدا سمي رسول الامم .

كان المنتحولون للنصرانية باديء بدء من يونان آسيا الصغرى ثم نصصر كثيرين في جميع المدن الكبرى واتى زمن طويل والطائفة المسيحية في رومية ايضاً مؤلفة من ابناء يونان . فانتشر دين المسيح اولاً ببطء على نحو ما ستر بذلك المسيح بقوله : « يتبهم ملكوت الله حبة من الخردل فهي اصغر الحبوب ومع هذا ينبت منها نبات اطول من جميع البقول فتؤذي طيور السماء الى ظلمها » .

الكنيسة الاصلية — كان المسيحيون في جميع البلاد التي زلواها يجتمعون للصلاة جماعة وانشاد امداح المولى وللاحتفال بالامساء السري وهي اكلة يتناولونها بالاشتراك تذكراً لآخر اكلة للمسيح وتسمى اجتماعاتهم الكنيسة (المجلس)

ومن العادة ان يعامل المسيحيون في كنيسة واحدة بعضهم بعضاً معاملة الاخوة ويأتون بالعطايا لينفقوها على الارامل والفتراء والمرضى . واكثر رجالهم احتراماً بينهم الرهبان ومعنى ذلك القدماء يدبرون شؤون الطائفة ويقومون بالفروض الدينية . ويتولى آخرون النظر في املاك الطائفة وكانوا يدعون الشماسة (الملاحظون) تم كثرت اعمال الكنيسة حتى انقسم سواد المسيحيين الى فرقتين احدهما جماعة المكلفين بالنظر في وظائف الطائفة وسموهم رجال الكهنوت (اي خدمة الرب) والباقيون هم جمهور المؤمنين وسموهم العامة (العلمانيين)

كان لكل مدينة كنيسة مستقلة فيقولون كنيسة اطاكية وكنيسة كورنت وكنيسة رومية وكلها في الحقيقة كنيسة واحدة وهي كنيسة المسيح حيث كان يربط الجميع الاعتقاد بايمان واحد . فالاعتقاد العام او الكاتوليكي كان هو المعمول عليه دون سواء اما الاراء الخاصة (الهرطقات والاحاد) فكان يحكم عليها بانها اوهام واعلاط .

وبقي الكتاب المقدس عند اليهود اي العهد القديم مقدساً عند المسيحيين وصار لهؤلاء كتب اخرى جمعها الكنيسة في مصحف واحد وسمتها العهد الجديد . فالانجيل الاربعة نقص حياة المسيح والبشارة بما حمله من السلام . واعمال المرسل تذكر كيف انتشرت هذه البشارة في العالم . ورسائل الرسل هي رسائل ارسلها الخواريون الى مسيحيي العهد الاول والابوكاليبسيس (رؤيا القديس يوحنا الانجيلي او الخليلان) هو ما اوحاه القديس يوحنا الى السبع كنائس في آسيا . كتبت جميع كتابات العهد الجديد باليونانية وهي اللغة التي كانت لغة المسيحيين الى اواخر القرن الثاني وقد انتشر بين المسيحيين كثير من الكتب زعموا انها مقدسة فرفضتها الكنيسة كلها وسموها المزورة

الاضطهادات — اضطهدت الديانة المسيحية منذ ظهورها فكان اليهود اعداءها الاول اضطروا الحاكم الروماني في بلادهم الى صلب المسيح ورجعوا القديس اتين (التهيد الاول) واستدوا في طلب القديس بولس وكانوا يقتلونه ثم وقع الاضطهاد على النصرانية من الرومان فان هؤلاء كانوا ينساحمون مع جميع اديان الشرق لان عبدة اوزيريس وميترا والربة الصالحة كانوا يعترفون بالاديان الرومانية مع اربابهم الا ان المسيحيين عبدة الله الحي كانوا يزدرون بالمعبودات الصغيرة القديمة بل ان الحرمة الكرى التي تعد على المسيحيين في نظر الرومانيين انهم كانوا يابون عبادة الامراطور كما يعبد رب وان يحرقوا بالجور على مذبح ربة رومية

وقد اصدر كثير من الامبراطرة أوامراً الى ولايتهم بأمر ونهم بالقبض على المسيحيين واعدامهم . وقد كتب بلين وكان والياً في آسيا الى الامبراطور نرجان كتاباً يدل على الطريقة التي كان يعامل بها المسيحيون قال : «جريت الآن مع من اتهموا بانهم نصارى على الطريقة الآتية وهو اني أسألهم عما اذا كانوا مسيحيين فاذا افروا أُعيد عليهم السؤال ثانية وبالثلة مهدداً اياهم بالقتل فان اصرروا أنفذ عقوبة الاعدام عليهم مقتنعاً بان عطلهم الذي يعترفون به مهما كانت فظاعته وان عنادهم الشديد وعدم طاعتهم يستحقان العقوبة . وقد وجهت الشكوى الى كثيرين بكتب لم تذيل باسماء اصحابها فانكروا بانهم نصارى وكرروا الصلاة على الارباب الذين ذكرت اسماءها امامهم وقدموا الخمر والجور لتثال

اتيت به عمدًا مع تمائيل الارباب بل انهم شتموا المسيح . ويقال ان من الصعب اكرامه
النصارى الحقيقيين . ومنهم من اعترفوا باهم نصارى ولكنهم كانوا يبتنون بان حريتهم
وحطائهم معصوران في انهم اجتمعوا بعض ايام قبل طلوع الشمس على عبادة المسيح على انه
رب . وعلى استاد الاناشيد اكرامًا له وتعاهدوا بينهم مقسمين الايمانات لاعلى ارنكاب حرمة
بل على ان لا يسرقوا ولا يقتلوا ولا يرنوا ويوفوا عهودهم . ورأيت من الصرورة للوقوف على
الحقيقة ان أعذب امرأتين أمتين دعوها حادمتي الكنيسة بيد اني لم اقف على شيء اللهم
الاما كان من خرافة سخيفة مبالغ فيها »

وعلى هذا فقد كانت الحكومة هي المصطهدة (١) الا ان العامة في المدن الكبرى كانوا
أكثر اضطهاداً للمسيحيين فلم يكونوا يتسامحون مع هؤلاء الذين يعبدون الها آخر غيرار باهم
ويحتقر هذه الارباب ويرون ان انكار المسيحيين لما يعبد الرومان يجلب على العالم غضب
هذه الارباب . وكنت تسمع القوم اذا وقع قحط ومجاعة ووباء يهتفون هتافهم الذي اشتهر
امره «النصارى للاسود» والتعب يكره الحكماء على المحت عن المسيحيين ومطاردتهم .

التهداء — هلك الوف من المسيحيين في حلال قرنين ونصف بالهه فيها الاضطهاد في
طول المملكة الرومانية وعرضها وكان الها الكون من كل سن وجس وطبقة . فالودنيون
الرومايون تضرب اعناقهم كما جرى للقدس بولس والباقيون يصلبون ويحرقون وكثيراً ما
يلقون للوحوش الكاسرة نهشهم . وادا ابقوا عليهم يبعثون بهم الى الاعمال الشاقة في المناجم
وكثيراً ما كانوا يبالعون في عقاب النصارى بايجاد وسائل لاهلاكهم من كل نوع . وفي
المقتلة العظمى التي وقعت في ليون سنة ١٧٧ احذ المسيحيون بعد ان تدوا وسبحوا في مطبق
ضيق الى الملعب فاحذت الحيوانات الكاسرة تمزق اوصالهم ولا تقتلهم ثم اجلسوهم على كراسي
من حديد محماة بالنار . واذ قاومت فتاة من الإماء اسمها بلاندين ان تعذب على هذه
الصورة جعلوها في شبكة ووضعوها امام تور عضبان .

وكان المسيحيون يتلقون بسرور هذا التعذيب الذي يفتح لهم ابواب السموات ويرون
فيه وسيلة الى الاستشهاد علناً في حب المسيح ولذلك كانوا يسمون انفسهم بالتهداء (اي
الشهود) لا بالمتكوبين وعقوباتهم شهادة . بل انهم كانوا ينظرون الى تعذيبهم نظراً الى
قتال الالعب الاوليبيية ويرون انهم كالمصارع الظاهر يذلون الفجار والتاج . وما رحوا حتى
اليوم يحتفلون بعيد الشهداء واعيادهم موافقة للايام التي قتلوا فيها وكثيراً ما كان احد من

(١) نقول اكنيسة ان المسيحيين اضطهدوا مرات الاولى على عهد ديون (٦٤) والثانية

على عهد ديوكلايين (٣٠٣)

يحضرون تعذيب احد الشهداء يكتب قصته وكيفية توقيفه واستنطاقه وتعذيبه وعقوبته وهذه الكتابات على احتصارها طائفة بالعبارة وكانت تسمى اعمال الشهداء ونشرت حتى بين الطوائف البعيدة من اقصى المملكة الى اقصاها وما هي الا مرددة للمجد الذي احرزه المعترفون بالامان الصحيح وداعية الى التعريب في الحري على مثالهم

وافقد حدا حب الشهادة بالوف من المسيحيين ان يعلنوا امرهم بانفسهم ويطلبوا بالحكم عليهم وامر احد حكام آسيادات يوم بالقاء القبض على بعض المسيحيين فجاء جميع متنصرة المدينة يتقدمون للمحكمة طالبين اليها محاكمتهم . فاستشاط الوالي غضباً فقتل بعضهم وطرده الآخرين قائلاً : « ارحموا اليها الاسافل ان كنتم تحرصون كثيراً على الموت فهل عندكم قبور تسعكم وحبال تقيدكم » وكان بعض المسيحيين يدخلون المعابد وبقلمون فيها اصنام الارباب ليكونوا على ثقة من انهم يستنقون حتى قضت الحال ان تمنع الكنيسة مرات تعرض النصارى لليل الشهادة

الدياميس — كان المسيحيون ينكرون العادة القديمة في احراق الموتى فاحذوا يدينون موتاهم كاليهود في نواويس بعد ان بكفنوه في اكفان واحتاجوا الى قبور . واذ كانت الارض غالية الثمن حداً رل المسيحيون الى تحت الارض وحفروا في الارض الرحوة التي كانت رومية قائمة عليها دهاليز طويلة وعرفاً ارضية وهناك كان المسيحيون في مقاصير احتفروها على طول الحواجز يدينون موتاهم واد احد كل حيل يحتفل لنفسه دهاليز جديدة صارت تحت الارض مع الرمن مدينة ارضية سموها الدياميس . ومثل هذه الدياميس كان في نابولي وميلان والاسكندرية الا ان اشهرها دياميس رومية . وقد فحمت في ايامنا فرأوا فيها الوفاً من القبور والكتابات المصرية و ماكتشاف هذا العالم المدفون تحت الارض شأ فرع جديد من فروع العلوم التاريخية وهو علم الكتابات والآثار المصرية . وقد شوهد ان قاعات المدافن في الدياميس منقوشة برسوم بسيطة وصور ولكنها تمثل مشاهد واحدة الاقليات وهي اما ان تصور المؤمنين من المسيحيين في الصلاة او الراعي الصالح وهو رمز للمسيح . وكانت بعض هذه القاعات اشبه بالمعابد وفيها دفنوا جثث القديسين الشهداء والمؤمنين الذين رغبوا في ان يدفنوا في جوارهم وكانوا يأتون كل سنة لتناول الاسرار . وكثيراً ما التجأ المسيحيين في رومية خلال اضطهادات القرن الثالث الى هذه الكنائس الارضية للقيام بصلواتهم او للفرار من الطلب عليهم .

قسطنطين

تغلب النصرانية — مضي القرنان الاولان لليلاد والمسيحيون ضعاف الشأن في

الامبراطورية الرومانية وجمهورهم من السوقة والعملة والعبيد المعتمدين والعبيد من بضيعون في عمار الناس بالمدن الكبرى وقد مضى زمن والطبقة العالية لنكر وجودهم حتى ان سويتون في القرن الثاني لما تكلم في تاريخ القياصرة على المسيح قال انه رجل اسمه كريستوس يلبي الاضطراب بين سكان رومية . ولما اخذ الاعنياء والادباء ينون بامر الدين الجديد لم يكن ذلك منهم الا ليهروا انه ولا يدكرونه الا انه دين فقراء وجهلة . واذ حانت النصرانية لمساكين هذا العالم بان وعدتهم الحراء عن هذه الحياة في الآخرة كتر اشباعها والقائلون بالدين بها ولم تحل الاضطهادات دون انتشارها بل قوتها وبعثت كتبها فقد كان المسيحيون يقولون ان دم الشهيد نذر للمسيحيين ولقد ظل الاهداء الى النصرانية ينتشر خلال القرن الثالث كله بين رجال الاسرات الكبرى لا بين الفقراء فقط وما جاءت اوائل القرن الرابع الا وقد اصبح الشرق كله ابي البلاد التي تنكمم الملة اليونانية مسيحياً باسمه وكانت هيلانة ام الامبراطور قسطنطين مسيحية فجعلتها الكنيسة في مصاف القديسات ولما زحف هذا الامبراطور على امراجه ملك رومية وضع على علمه سارة الصليب وسعار المسيح وكانت اللعبة التي كتبت له علبة للنصرانية فسمح للنصارى ان يقوموا بشعائر دينهم دون ان يعارضهم احد (امره الصادر سنة ٣١٣) ثم اخذ يعطف عليهم حجاراً . ومع هذا لم يتخل عن الدين القديم (الوثنية) . فبينما كنت تراه يرأس مجلس اساقفة المسيحيين الاعلى كان بلقب بلقب الحار الا عظم ويحمل على حودته مسجراً من الصليب الحقيقي ونقوده منقوش عليها صورة رب الشمس . وقد انشأ في مدينة القسطنطينية كنيسة نصرانية كما انشأ معبداً تذكراً لهذه اللعبة . ومعنى نصف قرن كان فيه من الصعب معرفة دين المملكة الرسمي في الامبراطورية .

نظم الكنيسة -- لم يحظر في نال المسيحيين حتي في الارمان التي بالم فيها الاضطهاد ان يقبلوا كيان الامبراطورية . ومنذ لطل اضطهادهم اصبح اساقفتهم حلفاء الامبراطور وعندها انتظمت حالة الكنيسة المسيحية بصورة قطعية على الصورة التي بقيت عليها الى يومنا هذا . فصار لكل مدينة اسقف يقيم في الحاضرة ويحكم على المسيحيين التابعين لها وتسمى الارض الخاضعة لاسقف ابرشية . وكان في اقطار الامبراطورية الرومانية ابرشيات واساقفة على قدر ما فيها من مدن وهذا هو السبب الذي من اجله كان الاساقفة كثيرين والابرشيات صغيرة في الشرق وفي ايطاليا حيث كثر عدد المدن . وعلى العكس في مدن غالبا فانه لم يكن بين الرين والبيريه سوى ١٢٠ ابرشية ومعظمها ما عدا ابرشيات الجنوب في الامانة كلاً .

اصبحت كل ولاية مقاطعة كنائسية وسمي اسقف العاصمة اسقف المركز بعد رئيس الاساقفة . وكثيراً ما ينظر الى اسقف اعظم مدينة في بقعة باه ارقى الاساقفة في تلك الارحاء وكان اساقفة المدن الرئيسة بالشرق في القدس واطاكية والاسكندرية والاستانة يدعون بالبطاركة وموقعهم كلهم البابا اسقف رومية وهو الرئيس الاعظم في الكنيسة . وفي هذا القرن انشئت المجامع الدينية الكبرى فكان في آسيا الصغرى اولاً مجامع خاصة يجتمع فيها اساقفة ناحية من النواحي وكنيتها . وفي سنة ٣٢٤ دعا قسطنطين للمرة الاولى مجمعاً دينياً عاماً من اهل الارض الى مدينة بيقية في آسيا الصغرى حضره ٣١٨ رجلاً من رجال الكنيسة فتساقطوا في المسائل اللاهوتية واتسوا الاعتراف بايمان الكاثوليك الذي سموه قانون نيقية وما زال المسيحيون يتدونه الى اليوم في قداس كل احد . تم كتب الامبراطور الى عامة الكنائس ان تمتثل ارادة المولى التي تجلت فيما اجمع عليه المجمع العام وكان هذا هو المجمع المسكوني الاول . واصبحت القرارات التي تقررها المجامع شريعة يجب على المسيحيين قاطبة ان يعملوا بها وسموها القوانين او القواعد . ويتألف من مجموع هذه القواعد القوانين الكنائسية .

الملاحدة (المراقبة) - نشأ منذ القرن الثاني بين المسيحيين ملاحدة يحالفون في آرائهم السواد الاعظم من ابناء الكنيسة . وكثيراً ما اجتمع الاساقفة في بلد ليعلنوا للمؤمنين بان المذهب الحديد باطل ويكرهوا مبتدعه على الرجوع عنه وادا ابى يخرجونه من الوحدة المسيحية . وقد يستحي صاحب البدعة اعواناً يقتنعون بصحة دعوته فلا يرون الرجوع عما وافقره عليه ويظلمون يدينون تماحكم المجمع برده من الآراء . ومن هنا نشأت العداوات والفتن الشديدة بينهم وبين المسيحيين المتلعةين رأي الكنيسة (الارثوذكس) واد كان المسيحيون صاعقاً ومضطهدين لم يتنازعوا بينهم الا بالكلام والكتابة ولكن لما اصبحت الدلائل مسيحية كلها استحتمل الدراع بين المسيحيين والمخالفين منهم في بعض الآراء الى اصطهاد الملاحدة وكثيراً ما تدب منه حروب اهلية .

وتكاد تنشأ جميع البدع في ذاك العهد بين بوزن آسيا ومصر على يد اناس من الازكياء والسفسطائيين والمجادلين وقد نشأت تلك البدع في العادة من محاولة فهم اسرار التثليث والتجسد . وكانت بدعة آريوس اقوى جميع البدع فمن مذهبه ان الله الاب خلق المسيح وليس هو مثله فحكم المجمع النيقية بتبديعه ولكن مذهبه انتشر في بلاد الشرق عامة . ومذ ذاك العهد ظل الكاثوليك والاربوسيون يتنازعون بينهم ايهم يستأثر بالسلطة في الكنيسة والحرب الاقوى يعزل وينفي ويحبس واحياناً يذبح زعماء الحزب المخالف . ومضى زمن

والقوة للآريوسيين وقد تحزب لقولهم عدة من الامبراطرة تم ان الآريوسية كانت تقوى
كثيرة دخول البرابرة في الامبراطورية وتمذهبهم بهذا المذهب ومعاضدتهم لاساقفته .
فقضى الكاثوليك زهاء مائتي سنة حتى قضوا على هذا المذهب المبتدع .

اواخر ايام الامبراطورية

لما ذبح الجنود احوة قسطنطين وابناء اخته سنة ٣٣٨ املت منهم طفل في السادسة
من عمره اسمه جولين فجعله الامبراطور نسيبه في افاسي آسيا الصغرى ورباه على يد
قسيسين مسيحيين فبعث به هؤلاء الى قبر الشهداء يشد المرامير ويتلو الكتاب المقدس
امام الشعب ولما شب رخص له بالقدوم الى الاسكندرية فأتى يدرس كتب علماء الروم
وفلاسفتهم واولع باحد الفلاسفة الافلاطونيين فابصرفت نفسه عن النصرانية . واتم دروسه
في آثينا وتعلم فيها اسرار معبد الوزيريس ثم جاهر بانه من اشباع الدين القديم علماً واخذ
يحتفل بعبادة الارباب فلقبه المسيحيون بالمرتد .

كان جولين آخر من بقي حياً من الاسرة الامبراطورية واد لم يكن للامبراطور قسطنطين
وارث يرثه غير هذا اجمع امره على ان يلقبه باسم قيصر وبعث به قائداً على جيش عاليا
(٣٥٥) وكانت البرابرة قد هاجمت هذه البلاد وحالت عصابة من الالمانيين على مقربة من
مدينة اوتون . واذا لم يكن لجولين حبرة بالحرب انصرفت همته الى درس الفلسفة فصرف
شتاء بطوله في تعلم صناعة الكر والفر واشأ يريض نفسه ويتمرن ويتلو سيرة مشاهير الغرارة
فلما تم له ذلك حمل على الالمان في جيش صغير من المشاة الرومانيين والفرسان البرابرة
فكتب له الطفر في الحملة الثانية في سهل بالقرب من مدينة ستراسبورغ وركب اكتاف
الالمان ورجعوا يجتازون نهر الرين (٣٥٧) وقضى جولين في عاليا ثلاث سنين اخرى وجعل
مشتاه في بلدة لوتيس حاضرة الشعب الباريزي وهي منية في جزيرة من جزر السين وكان
يدعوها «لوتيس المحبوبة» وهو اول من وصفها .

وفي هذه المدينة اتاه امر الامبراطور ان نبعت اليه بقسم من جيشه الى الشرق ليقاتل
البارتيين الذين داهموا بلاد الامبراطورية فلم ير الجند ان يبتعدوا عن بلادهم الى مثل تلك
القاصية وابوا ان يقاتلوا تم اخذوا جولين ورفعوه على ترس (وكان هذا الاسلوب هو الذي يجري
عليه المحاربون الحرمانيون في مبايعة ملوكهم) وحملوه وهم ينادون «جولين اعسطس» (٣٦٠)
فكتب جولين الى الامبراطور يريد على ان يرتضيه رصيفاً له فابى قسطنطين عليه
ذلك فرحف حولين في جيشه على القسطنطينية وكان قسطنطين قضى نحبه قبل وصوله (٣٦١)
ولما خلا الجو لجولين واصبح امبراطوراً وحده اقام في الشرق وحاول ان يعيد الدين

القديم (الوئية) فارجع الى الكهنة املاكهم ومناصبتهم واعاد تقديم النذور الارباب بل اصدر امره الى المسيحيين بان يرجعوا المعابد التي كانوا حولوها الى كنائس وانساً يناهض النصرانية مباشرة واني ان يعين المسيحيين في الوظائف وطرد المعلمين المسيحيين من المدارس قائلاً انه لا يحق لهم ان يدرسوا كتباً يذكر فيها اسم الارباب وهم لا يعتقدون فيها . وسعى الى اعادة الدين القديم الى حاله بان عهد الى الكهنة ان يقرؤا على العامة مواعظ ودروساً دينية الا ان الزمن حانه فسافر في حملة على الباربيين وعلمهم واصيب بسهم في احدى المعارك . وقيل انه صرح وهو يجود بنفذه «لقد علبت يا عاليلي !» القضاء على الوئية — لم يقض على دين السوقة القديم لاول مرة فقد اهتدى الشرق في الحال اما في الغرب فلم يبق مسيحيون الا في المدن بل ان الامة ظلت هنا أيضاً تعبد الاصنام وذلك لان الامبراطرة الاول المسيحيين لم يريدوا ان يقصوا القضاء الاخير على دين المملكة القديم بل كانوا يحمون القسوس المسيحيين كما يحمون كهنة الارباب يرأسون المحامع الدينية وبقون اقباطاً عظاماً . وكان الامبراطور فراسين سنة ٣٨٤ اول من اذن ان يلقب بالحر الاعظم واذ عم التسامح في ذلك القرن بدىء باضطهاد الدين الروماني منذ عدا غير رسمي . واطيء الموقد المقدس الذي كان يستعمل في رومية منذ احد عشر قرناً وطردت الكاهنات اللاتي كن في معبد فستا بوقدن النار كما خمدت . واحتفل آخر مرة بالالعاب الاولمبية في بلاد يونان سنة ٣٩٤ . وعندئذ خرج النساك في مصر من الصحراء لينقصوا مآج الارباب المرورة ويجعلوا بقاياها في قبور انوبيس وسيرايس . وقام وارسل الاسقف السوري في مقدمة عصاة من الحند والمتعوزين فحرب معبد المشتري في ادمية وائساً يجوب البلاد ويجرب المزارات فقتله الفلاحون لمحلهته الكنيسة من القديسين فما هو الا قليل حتى لم يبق عبدة اوتان الا في القرى يأوون اليها فراراً من المراقبة وهم فلاحون ممن بقوا يعبدون الاتجار المقدسة والنياييع ويجتمعون في المزارات البعيدة . واخذ المسيحيون يطلقون اسم الوتنيين (الفلاحين) على من كانوا سموهم الى ذلك العهد بالظرفاء وبقي ذلك الاسم يطلق عليهم . وهكذا اشتدت الحال على الوئية في ايطاليا وغاليا واسبانيا الى اواخر القرن الرابع وطوي ساطها تحت طي السكوت .

التنظيم الجديد في الامبراطورية

رومية والقسطنطينية — حرب الغرب وقل سكاكه في القرن الثالث بما نواتر عليه من الحروب والغارات فاصبح الشرق اليوناني القسم المهم من الامبراطورية . وكان ديوكسين قد تحلى عن رومية وجعل عاصمته في نيكوميديا في اسيا الصغرى . اما قسطنطين فتوسع

في الامر اكثر من ذلك فانتأ رومية جديدة في الشرق وكانت القسطنطينية على رأس من البحر في محل لا يفصل اوربا عن آسيا غير خليج البوسفور الضيق في ارض كثيرة الكروم والغلات وتحت سماء صافية الاديماً وانشأ طواري من الروم مدينة بيزانس وكان لها من الآكام ما يجعلها سهلة على الدفاع ومروها والمعروف بقرن الذهب من احسن مرافئ العالم يؤوي ١٢٠٠ سفينة ويمكن سده سلسلة طولها ٢٥٠ مترًا ثلاثاً نخطاه اساطيل العدو فهناك أنشأ قسطنطين مدينته الجديدة القسطنطينية (مدينة قسطنطين) وجعل في اطراف الاسوار عالية وانشأ فيها ساحتين اثنتين تحيط بهما الروقة. وأنشأ فيها قصرًا وملعبًا ودبر تمثيل واقفية وحمامات ومعابد وكنيسة مسيحية

وزع قسطنطين من المدن الاخرى ما كان فيها من التايل والقوش البارزة المشهورة ليزين بها مدينته ولأجل اسكانها نقل اليها سكان المدن المجاورة بالقوة وقدر مكافآت والقاب تشريف للأشر الكرى التي ستقل اليها وقرر كما كان الحال في رومية توزيع الخنطة والحمر والريت على الناس وتوفير المتاهد والفرج لهم فكان تأسيس تلك العاصمة من السرعة العربية على محو ما يجب القوم في الشرق مبدأ العمل بذلك في ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ٣٢٦ واحتفل بافتتاحها في ١١ ايار (مايو) سنة ٣٣٠ ولكن اسست بحيث تبقى على الدهر فقد صارت القسطنطينية على هجمات المهاجمين عشرة قرون وقيت بمقام عاصمة ابدًا والمملكة الرومانية تفرق ولا زال الى اليوم اول مدينة في الشرق

ولما ترك الامبراطور رومية لم تعد مقرًا للحكومة وظل فيها مجلس اعيانها وان لم تعد له سلطة وبقية مزاراتها احتفالاتها كما بقيت الى اواخر القرن الرابع مركز الحزب الديني القديم . القصر - اخذ الامبراطرة الدين رولا الشرق في التمرد عاداته (١) وأنشأ بابسون نيابًا ضافية من الحرير والقصب ويجعلون على رؤوسهم تاجا مرصعًا بالؤلؤ ويحبسون في قصورهم حيث كانوا يحلون على عرس من ذهب يحف بهم وزرأهم ويفصلهم عن الناس جمهور من الحشم والخدم والموظفين والحرس . وعلى من ينال شرف الخنطة من (١) كثيرًا ما يتولى الامبراطورية اثنتان احدهما في الشرق والاخر في العرب وان تكن المملكة واحدة . فالامبراطوران وان كان احدهما ينزل الاستانة والاخر ايطاليا كانوا يمتنان بان يكونا كشخص واحد . فكان القوم اذا حاطبوا احدهما يحاطبونه بالجمع فيقولون له انتم كأنهم يحاطبون الامبراطورين كليهما وهكذا نشأت عادة الخطاب بالجمع المفرد لان الناس في القديم كانوا يحاطبون بصيغة المفرد «انت» حتى الملوك والامبراطرة

مواجهتهم ان يستجد امامهم ويمرر وجهه في الارض علامة العبادة والخضوع ويطانون عليهم القاب «المولى» و«الجلالة» ويماملونهم معاملة الارباب وكل مايمس اشخاصهم مقدس فيقولون القصر المقدس والغرفة المقدسة . ومجلس الامبراطورية المقدس والخزانة المقدسة .

فكان عيش الامبراطور في الامبراطورية العربية (ايطاليا) من القرب الاول الى الثالث اسبه بحياة حاكم او قائد اما قصر الامبراطور في الامبراطورية الشرقية (القسطنطينية) فهو اسبه بقصر ملك فارس . وقد أطلق على طريقة الحكم في الامبراطورية الشرقية اسم الامبراطورية الواطئة . معارضة لطريقة الحكم السالفة في القرون الثلاثة التي لقبوها بالامبراطورية العالية .

الموظفون — اصبح الموظفون اكثر عدداً مما كانوا ويحبب بالامبراطور جيش صغير من الخاصة يحرسون قصره وهناك حرس وقرنائه وكلاء وخدم ومجلس عال وحجاب وسعاة وامناء سريقتهم الى اربعة مكاتب . واصبح الموظفون في الولايات اكثر سواداً ايضاً اذ رأى الامبراطور ديوكسين الولايات متسعة فقسمها الى عدة قطع في عاليا متلاً قسم ولاية ليون الى اربع واكتين الى ثلاث . وبعد ان كان في الامبراطورية ٤٦ والياً اصبح فيها ١١٧ تم وصلوا الوظائف فعملوا مع الولاة والكلاء قواداً عسكريين من دوقات وكنيتية في الولايات الواقعة على التحوم .

واصبح جميع الموظفين لا تصلهم اوامر الامبراطور مباشرة فلا يحاطبون الا كبار الموظفين رؤساءهم . فيخضع الولاة لقائدي حرس القصر والموظفون في الاشغال العمومية لحرس المدينة وحياة الاموال الى الكونت الذي يتولى الاعطيات المقدسة . والكلاء للكونت المشرف على الاملاك والصباط الى موالى الاجناد وجميع موظفي القصر يرجعون الى مولى التشريرات وخدمة القصر الى رئيس الغرفة المقدسة . وهؤلاء الرؤساء كالوزراء وهذه الطريقة لا يصعب علينا فهمها فقد اعتدنا ان نرى موظفين وقضاة وقواداً وحياة ومهندسين على اختلاف في اعمالهم التي يتولونها ولكل واحد عمله الخاص ويرجع امرهم الى ناظر هو رئيس ديوانه . بل ان عندنا من النظارات اكثر مما في الاستانة . الا ان هذه الاداة الادارية التي ألفناها لاننا نعرفها منذ الطفولة ليس فيها التباس ولا خروج عن حد الطبيعة . فقد كانت الامبراطورية الشرقية نموذجاً في هذا الباب واحفظت به المملكة البيزنطية ومن ذاك العهد حاولت جميع الحكومات المطلقة ان تنسج على منوالها لان في ذلك من التسهيل في العمل ما ينتفع به من يتولون اعمال الحكم .

الملتئم في الامبراطورية الشرقية — كانت هذه الامبراطورية هي الحد الفاصل

في تاريخ الحضارة اجتمعت فيها سلطة الحاكم الروماني المطلقة مع خفخة ملوك الشرق يتألف منها سلطة لم يكن بها عهد الى ذلك العهد . وهذه السلطة التي لم يسمع بتبطلها تأتي على كل شيء في يدها فلم يعد مكان الامبراطورية وطمين رومانيين منذ القرن الرابع بل صاروا يدعون باللاتينية الرعايا (الخاضعون) وبالرومية « العميد » فكانوا كلهم من تم عبيد الامبراطورية ولكنهم يختلفون في المقام وهم درجات في الشرف الذي يوليهم اياه مولاهم ويورتونه اناءهم واليك تلك المناصب بحسب درجاتها .

- (١) اشرف الاشرف وهم الاسرة الامبراطورية
- (٢) المشاهير وهم وزراء رؤساء الدواوين
- (٣) المعترون وهم كبار ارباب المناصب
- (٤) الممعدون وهم كبار الموظفين (ويدعون الاعيان)
- (٥) اهل الكمال

ولكل صاحب شأن مقامه ولقبه ووظائفه . واكثر الناس احتراماً الندماء والموظفون حتى صبح ان يدعى ذلك العهد عهد الالقاب والتتريفات . وما فط شوهه الى اي حد تبلغ السلطة المطلقة اذا دعمها الخنوف في الالقاب والميل الى ترتيب كل امر بالاكثر من القوانين وعليه فقد كانت الامبراطورية الشرقية مثلاً تماماً لمجتمع بدار بالآلة الصماء والحكومة فنيبت في ارادة قيصرها لحازت اقصى ما يتطال اليه حتى اليوم انصار السلطة المطلقة وسيكبح بعد اتباع الحرية زمناً طويلاً تلك التقاليد التي انقبتها امبراطورية الشرق .

حكومة المدينة — لم يعن الرومان بحماية اموال الرعايا فانفسهم بل كان الامبراطور يكتفى ببيان الحراج المطلوب من كل ولاية (وذلك كل خمس سنين في الغالب) ويحدده كما يريد . ويعلم الوالي كل مدينة ما يجب عليها اداؤه . محكومة المدينة هي التي تقدم المبلغ المطلوب . وما دامت المدينة عنية يجبي الوالي حراجها موزعاً له بين السكان فاذا عجزوا عن الدفع يتحتم على من تولوا الحراج ان يسدوا العجز لانهم مسئولون عن الحراج وحرانة الامبراطورية لاننازل عن حقوقها .

ولقد كان منصب الحماية حتى القرن الثالث مرعوثاً فيه كأنه من أسباب الترف ويعبد الخافي في مدينته كهغو التيوخ في رومية . واذا افترقت البلاد يعود منصب الحماية من المناصب التي تكسر متوليها فتزق النفوس في توليها . ورأى الامبراطورة ان يسوا قانوناً لعقاب من يأبى جباية الحراج فصار الخافي يتولى ذلك رغم أنه ويجب على كل من يملك خمسة وعشرين فداناً من الارض ان يكون احد الجباة طوعاً أو

كثيراً . وكثير من الحباة كانوا يؤثرون ان يخرجوا عما يملكون من الاراضي ويهربوا ويدخلوا في سلك الرهينة والحورية او الاستخدام والخدمة . فأصدر الامبراطرة اوامره بالبحث عن هؤلاء الفارين وان يعادوا الى مدينتهم بالقوة . وقد جاء في احد القوانين المسبوبة اسم امبراطورية

مكائن الحكومة تحاول ان تبي محاسن التيوخ في المدن على هذه الكيفية واد كانت تحرب بيوتهم بجراحها اصح عدد الحماة انداً في قلة . وكان مجلس التيوخ يتألف على عهد الامبراطورية العربية من مئة عضو . وفي القرن الرابع سببت فن في احدى الولايات وأمر احد الامبراطرة ان يأتيه رؤوس ثلاثة من الحماة من كل مدينة فكتب اليه الوالي « ليسع حلمك ان يقرر ما الذي يجب ان نعمله في المدينة التي ليس فيها ثلاثة من الحباة »

المستعبرون -- وقع في الامبراطورية الرومانية مثل ما وقع في عامة المجتمعات القديمة مثل اسبارطة وبوناي واطاليا وهوان يصحّل الاحرار ويخلصهم العبيد ولم يبق في القرى ما يكفيها من الخراب . لاحرم ان المدينة الرومانية لم تحرب بل كانت آحدة بالماء . وقد كان عدد الوطيس في القرن الاول رها . مايون سمعة وفي القرن الثالث (٢١٢) اوقد صدر أمر الامبراطور بمنح جميع سكان الامبراطور يد حق الوطنية ودار الوطيسون الرومانيون يعدون بالملايين (١) وسمون استغلال سائر سكان العالم بيد ان الحكم الروماني كان سلباً في استغلال شعوب المملكة كما استعمل به من قبل اهل ايطاليا وكان بقصي له كثير من الخنود وكثير من العبيد

وهذا الحكم يلج الاعيان ويصعب على صغار ارباب الاملاك ان يقفوا امام انكراء مستخدمون في الخدمة او يخرجون بيوتهم بأيديهم . ويقضي صاحب الاملاك الواسعة اراضيهم حتى اثنى من لم يبق في بعض البلاد غير املاك واسعة يجرتها العبيد . وهؤلاء السكان من العبيد لا تجدون فاداً عرض عارض من العوارض المألوفة اذ ذلك من مثل ونا . وحرب وعارة رارة وهلك حمبور من الخراب في احدى الاملاك تسمى الارض نورا

خلت القرى على التدرج ولا سيما ما كان منها على التحوم من الناس ولم يبق سكان الا في المدن بل صار في عدة انحاء من المملكة قفار حقيقية حلت من السكان والعمران

(١) كان سكان المملكة يدعون كلهم بالرومانيين منذ ذلك العهد ولم يدخل الترابرة الى عالها لم يحدوا فيها العالين بل رومانيين حتى كان الشعب في التفرق حيث كان السكان يتسكنون باليونانية يدعى الى عهد الفتح العثماني بالشعب الروماني وما رالت الى اليوم بلاد الاستانة تدعى روم الي

ماشأ الامبراطرة يسكنون فيها عصابات من البربر من صربوهم وأسروهم ليحيوا بهم
موات تلك القرى . الا ان هؤلاء البرابرة لا يملكون الاراضي بل يستعمرونها فقط مثل
الهيلوتيين في اسبارطة ويقصى عليهم ان يبقوا في الارض التي أسروا فيها لا يفارقونها ولا
اولادهم بحال يؤدون الى صاحب الارض مالاً مقرراً . ثم كانوا مستأجرين الى الابد
بالقوة . وليس هذا النظام جديداً بل كان في ايطاليا على عهد الامبراطورية الشرقية
أناس من الطواريء من الاحرار الفقراء قيّدوا انفسهم في خدمة صاحب ملك عظيم
لينالوا منه أرضاً يرعونها . وراى سواد هؤلاء الطواريء زيادة كبرى لما صموا اليهم
الاسرى من البربر

وهذه الطريقة الشديدة لم تكف في احياء امة لان اولئك الجرايين كانوا يفرون
او يهلكون وفي القرن الخامس بعد مرور الحيموش العظمى من المحربين (داكيز وايتالا)
كان في اراضي المملكة فراع كبير تعذر على الامبراطرة ان يسدوه . وبقي في غالبا
واى بانيا وايطاليا وفي العرب كله حين من الاراضي نورا اقلية العاملين فيها واقفرت ولايات
التحوم وقد اصحح السبع الروماني في جميع حوض الطوبة من سويسرا الى البلقان منذ
القرن السادس فلم يكن في تلك البلاد الا اثم حرامية او سلافية . حتى ان افرنك لم
يجدوا في اللحيك غير قفر .

الذارة في الجيش الروماني — هذه الاراضي الحالية تستدعي سكانا جدداً . وكان
الذارة يحاولون على الدوام ان تخطوها وما دام للحكومة الرومانية بعض جيش لا يصعب
عليها ان تردهم على اعتاقهم . الا ان الامر في التخميد صار الى الصعوبة كالتجاذ المائل . وألف
سكان الامبراطورية حياة السكون ولم يعودوا يهتمون بحمدمة الحدية . حتى اضطرت
الحكومة ان تطلب حندا من كبار ارباب الاملاك فبأحد هؤلاء بعض الطواريء الذين
يعملون في اراضيهم وكان هؤلاء الملاكين المأخوذين بالقوة من وراء محاربهم حندا
غير كفوءة للقتال . وعند الحمود مد القرن الرابع من الصعف بحيث لا تستطيع حمل
الدروع واستعاذت عن الحود التمتع

واصبح القواد يؤثرون ان يستعملوا الخاربين من البربر لاسيما يقاتلون بشدة على الاقل
وقد جندت الامبراطورية في خدمتها مد رمن حدودا من الجرمايين يتناولون جرايات
ويقاتلون باسمهم وكان اكثرهم من الفرسان واحد امبراطرة الرومان في القرن الرابع
يحمدون منهم عصابات يرتبها يرون مع سائبهم واولادهم وخدمهم في اراض يهبونهم اياها
على سبيل الجراية . ويحتفظ هؤلاء المحاربون النارلون في ارض رومانية باعتهم وعاداتهم

وسلاحهم وزعمائهم ويدعون «المخالفين» ولمنع بالامبراطور انه احذ يقبل منهم في جيشه شعوباً يرمتها مثل الوزيعوت والبور عند وكانوا اجتازوا القحوم بالقوة احياناً ثم آثروا ان يكونوا في خدمته على ان يقاتلوه . فأصبحت ادالك جبهوش رومانية مؤلفة من شعوب بربرية يقودها قائد بربري . ولقد كان الجيش الروماني الذي رد غارة اتيللا سنة ٤٥١ مؤلفاً من الوريغوت والفرنك والبورتمند و صار كثير من القواد الرومان منذ القرن الرابع (سيلفاتوس وار يوكاست او معطهم في القرن الخامس) مل ستيككون ورسيمير وادواكر (من اصل بربري ولم تعد الامبراطورية الرومانية محمية الا باناس من المحاربين من الداراة فاحتملها بعد اناء جنسهم



